

دكتور يوسف محمد صالح

المشرك واللغوي نظرية وتطبيقاً

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عاصم
القاهرة ت ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الأولى

رمضان سنة ١٤٠٠ هـ - يولية سنة ١٩٨٠ م

جميع الحقوق محفوظة

مطبعة الدعوة الإسلامية
١ - سه ارضاعى - خلف مساكنه الهللة
القاهرة

مكتبة
مكتبة
مكتبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

صدق الله العظيم

* * *

ويقول العماد الاصفهاني :

(اني رايت أنه لا يكتب أحد كتابا في يومه . .

الا قال في غده :

لو غير هذا لكان احسن ، ولو زيد هذا لكان
يستحسن .

ولو قدم هذا لكان افضل ، ولو ترك هذا لكان
اجمل ..

وهذا من اجمل العبر ، وهو دليل على استيلاء
النقص على جملة البشر)

في هذا الكتاب أبحاث عن الفقه والتطبيق لموضوعات :

• المشترك اللفظي ، والداخل ، والشجر ، والسلسل

• والنضاد

• والمشارك المعنوي : المترادف .

تقديم

لغتنا العربية تجمع بين الحسية ، والمثالية المعنوية التي هي امتداد وتسام للواقعية ، وهي تناسب لأرومة عظيمة بين المجموعات اللغوية : (الآرية ، والحامية ، والسامية) .

وتمتاز بانسجام وتوازن وموسيقية ، لسعة مدرجها الصوتي ، وعدالة توزيع حروفها عليه .

كما أنها تفضل شقيقاتها (في المجموعة السامية) بكثرة المعاني الكامنة في أصولها ، وقدرتها في القبض على الامتدادات المعنوية المشتركة في أسسها ، لأن اشتقاقاتها من أصل حروف تمكنها من إنشاء سلسلة كبيرة مترابطة المعاني .

وقد وفّت العربية بمطالب العرب المحدودة في الجاهلية ، بدت حين بادوا وحضرت حين حضروا .

وغنيت بألفاظ جديدة في صدر الإسلام ؛ لتتسع للمعاني الجديدة ، وأصبحت لغة الدين والثقافة ، والحضارة والحكم في آن واحد ، ونهضت بالعبء العظيم بما وهبها الله من خصائص النور والحياة .

والعربية التي نزل بها القرآن الكريم ، كانت هي السائدة ، والقدر المشترك الذي يفهمه العربية جميعاً .

وسادت لهجة قریش ، وانزوت اللهجات الإقليمية وتفاقت ، لكن بعد أن تركت آثاراً من بصماتها في اللهجة السائدة . وفي القرآن الكريم

قراءة أربعين لهجة عربية غير قرشية ، وكلها فصيحة صحيحة ، والآخذ بها مصيب غير مخطئ ، وإن كانت غير جارية على السكثرة من سنن النهج اللغوي عند العرب .

وكا بالغ العرب في الحفاظ على أنسابهم .. حافظوا على منابع ومصادر لغتهم ، فأخذوها من البدو الخلف ، ومن ترضى عريتهم ، واللوثوق بهم ، من قلب الجزيرة العربية ، وبالذات من قبائل : قيس ، وتميم ، وأسد ، وهذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين .

وغابت عن التاريخ طفولتها ، ووصلتنا عروساً مكتملة ، قوية شابة .
وانحصرت فيها وصلنا من الأدب الجاهلي ، والقرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة .

وكان لها من سننها : حراس حفظاء أمناء بصراء بها : فكان أبو مالك يحجب في كلها ، وأبو زيد يحجب في ثلثها ، والأصمعي يحجب في ثلثها ؛ لأنه كان لا يميز إلا أفصح اللغات ، ويتحرج في أن يحجب في القراءات السكريم والحديث الفهوي .

* * *

وعن ميزات العربية يحدثنا - في إيجاز - أستاذنا الشيخ محمد علي النجار - رحمه الله - حيث يقول : هي « من أوسع اللغات وأغناها ، وأدقها تصويراً ، وأوسعها مذهباً » .

وسعت جميع الأغراض التي تناولها البشر ، ولم تضق ذرعاً بجميع العلوم والفنون .

وتقبلت - بصدر رحب - ثمرات قرائح الفحول ، ونتاج أفسكار
الفلاسفة والحكماء من سائر الأمم .

وكان أن نزل بها القرآن الكريم ، أبلغ كلام وأعلام طبقة ، وأسماء
بلاغة ، وأسمعه فصاحة ، وأفرعه بياناً ، وأبرعه افتناناً .

ويقول « رينان » :

« ... من أغرب ما وقع في تاريخ البشر ، وصعب حلُّ سر انتشاره ،
(اللغة العربية) :

قد كانت هذه اللغة غير معروفة بادية ذى بدء . ثم ظهرت فجأة لغة
كاملة سلسلة كل السلسلة ، غنية إلى أبعد حد ، ليست لها طفولة
ولا شيخوخة ... ظهرت لأول أمرها مستحكمة ... » .

وسحر رنينها الأسبان فاعتنقوها ، وتناولوها شعراً ونثراً ، تناول
الناخبين من أهلها ، وأبناء جلدتها الأصلاء ... بل كادت أن تصبح لغة
دولية ، كما ذكر العلامة : محمد كرد علي ، في كتابه : (الإسلام
والحضارة العربية) .

ورحم الله شاعر النيل ، حيث يقول في وصفها :

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله وتنسيق آيات الخبثات

* * *

واللغة - أى لغة - مقوم رئيسى من مقومات وجود الأمة واستمرارها ،
وأى خطر يهددها هو خطر يهدد شخصية الأمة في وجودها واستمرارها ،
وفى توجيه اختياراتها ومسارها فى شتى المجالات الحياتية .

ومن ثم فلا بد من دراسات عميقة وجادة في حياة اللغة وكينونتها لحفظها ، والدفاع عنها وتنميتها ، لحماية الذات الفكرية للشعوب ؛ لأن اللغة موجبة فكري ، وأداة حضارة ، وصانعة بلاغ . وفي هذا بلاغ .

* ولهذا فاللغة ، هدف للاستعمار الثقافي ، وأساسه الغزو اللغوي ، وينفذ ليعيقه من مسارب منها :

(١) إهمال الأبناء للغتهم : لجهلهم ، أو لأنهم تربوا في حجر المستعمر فكانوا في عونه ، وهم نوابه وأدواته حين يغيب شخصه ، وبخاصة حين يتصدرون التوجيه في بلادهم ، بعد إيمانهم درجاته العلمية بتوجيه معين حدده ونفذه ، فيحطون من شأن لغتهم ، ويقللون من قيمتها ويوهنون عراها ، فتقبض واحدة بعد الأخرى ، حتى تلتشى أو تسكاد ، أو تصبح خليطاً غريب الوجه .

(ب) وبالسعى الدائب والدفع القوي من الغاصب ، لنشر لغته ، والتكسين لها وغرسها وتثبيتها وتعهدتها .

(ج) أولأن اللغة المغزوة لا تحمل في طياتها وكوامنها عوامل النوا والحركية ، والنزوع نحو الحياة الدائبة ، والبقاء العزيز .. وقد حى الله العربية من (ج) ولكن اعترأها ما ذكر في (١، ب) وتحيقها لذلك الحثوف والندب السود ردها من الزمن ..

ولولا كفالة من القادر بحفظ كتابه العزيز ولغته ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١) .

ولولا بقظة الأزهر من قديم ، لكان الحال والمآل غير الحال والمآل للغة العربية حين غفا أهلها زمناً ..

* * *

وقد توفر علماؤنا - رحمهم الله - على العناية باللغة العربية ، منذ ظهور الإسلام ، وأصبح العلم باللغة العربية وعلومها - كوعاء لمقدساتنا - علما بالدين ، ومن تقوى القلوب

وجاءت كتبهم فى كثير من علوم العربية مفخرة لنا ولهم ، أضافت لإضافات بناءة إلى رصيد الحضارة الإنسانية ، وحفظت من الضياع أئمن مانعز به من مقوماتنا وتراثنا ، وخلفوا للبشرية رصيذاً ضخماً ، وللعربية معالم وخلوداً .

وتناثرت أبحاث (فقه اللغة العربية) فى كتبهم ، منذ القرن الثانى الهجرى ، فى صورة أبحاث ورسائل ، وتحدثت معالمه بعد رحلة طويلة .
ومن هذه الكتب :

الاشتقاق والأجناس للأصمى ، والغريب المصنف لأبى عبيد ، والجمهرة لابن دريد ، وفقه اللغة للثعالبي ، والخصائص وسر الصناعة لابن جنى ، والصاحبى لابن فارس ، والخصص لابن سيده ، والمزهر للسيوطى ، وكتب النوادر ، والأمالى ، والمعاجم ، واللغة ...

وتعابعت بحوث فقه اللغة بعد ذلك على يد المحدثين من علمائنا ، فاستمرت بالتحصيل والتنسيق والتصنيف .

وفى عصر النهضة قامت بحوث المستشرقين وكتبهم ، فى علوم اللغة . وتنوعت وارتقت ، بما توفر لهم من وسائل تقنية ومادية ، وبما عرفوا من لغات أعانت على دقة الفهم ، وعقد المقارنات ، وفك رموز المسكشفتات فى الحفائر اللغوية . واعترف بعضهم بفضل علمائنا القدامى وتعلمهم عليهم .

وفي كتب الأقدمين من علمائنا : عليم غزير ، ومحصول وفير ،
واستقصاء دقيق .

وفي كتب المستشرقين : فهم عميق ، وانساع رؤية ، وأسس منهجية ،
وفيها دسامة تشويها سموم أحياناً ، لانحراف في الفهم ، أو حاجات في
نفس يعقوب .

وبعض أبناء جلدتنا يحذون حذوم أحياناً ، بمن تربوا في حجرهم ،
أورضوا بأن يكونوا خلفاءهم حين وجودهم ، وحين تغيب شخصوهم ،
لغاؤوا لإدخال الضيم على العربية ، ورموها بما هي منه براء . وذلك يقتضى
الحذر ، ويطلب الحرص ، ويدعو إلى الحيلة واليقظة حين نقرأ لهم
أو نسمع منهم .

* * *

واللغة لا تثبت ثبوت الدين ؛ لأنها ألقاظ يعبر بها كل قوم عن
أغراضهم ، والأغراض لا تنتهى ، بل تتجدد وتقولد .. وكل حدث اجتماعي
لا بد من تغطيته بمدلول لغوي .

ونحن نملك لغتنا ، ولنا أن نتصرف فيها كما تصرف الأقدمون ،
والصواب اللغوي نهج معلوم ، ولنا أن نقيس على منوال العرب ، ولنا
سُمع من فصيح يخالف الجمهور ، ما وجدنا طريقاً إلى تعيل ما يورده .

ولابد أن نتقدم بلغتنا في ثورة واعية ، في أبحاث عميقة لكشف
الغامض ، وتذليل الشبوس ، وتقريب الجنى ، لتتقدم بنا ، لأجيال متطلعة
صاعدة ، شريطة أن تكون ثورة بيضاء تصون ولا تهدد ، ونحى ولا تهدد ؛
تجل عطاء علمائنا القدامى ، وتأخذ أطيب ما قدم المولدون والمحدثون ،

في حق وبصر وجدية ، وابتكار مبني على أصالة ، وبذلك نسدى جميعاً لغتنا - وهي صاحبة الجليل - التي هي جوهر أصالتنا ، وحتى لا يفقد شبابنا الطامح إيمانه ببلغته .

وقد أشار لناؤنا إلى وسائل التنمية اللغوية للعربية ومنابعها ، لتبقى بها لغتنا غنية ثرة معطاء ، تلبي أشواق الروح ، والمطالب المتجددة للحياة والأحياء ، وأفردنا هذه الوسائل ومشاكلها في كتاب يخصها ، بعنوان : (وسائل تنمية اللغة العربية) .

وأفردنا المشترك اللغوي بهذا البحث ؛ لطوله أولاً ، ولأنه لم يُبحث من قبل على حدة في وحدة مترابطة ، ولم شتاته ، وتجمع ما تفرق منه في ثنايا السكّيب وبطون المعاجم . كما أن سهام المعارضين استهدفته بحق أو باطل ، وأبحاث المفكرين له تناوشته ردحاً من الزمن . فكان لابد من إعادة الأمر إلى نصابه ، ورد السهام العادية ، وتقنين الحجج الواهية . وجع شمل الأمثلة المتناثرة ، في شواهد صحيحة فصيحة ، تقوى آصرة الحق ، وتكشف النقاب عنه ، وتستبين بها الطريق اللاحقة .

وفي هذا الكتاب أبحاث عن :

(المشترك اللغوي في القسم الأول نظرياً) ويشمل :

- المشترك اللفظي ، وما يتعلق به من : (المداخل والشجر والمسلسل) .
- والمتضاد من الألفاظ في لغتنا .
- والمترادف ، أو المشترك المعنوي .

ثم ذيلته بنماذج مختارة (في القسم الثاني تطبيقياً) من فصيح الشواهد والنصوص من أمهات السكّيب اللغوية والأدبية والمعاجم .

تلتزم الاعتراف بوجوده في اللغة العربية ، وثبت أنه يكاد لكثرته فيها يصبح خصيصة لها .

وأنه قين بأن يكون وسيلة فعالة في نمو العربية وإثرائها وبقائها .
وما ذكرته في هذه النماذج يمثل غيضاً من فيض مما عثرت عليه ،
وسطرته مخطوطاً عندى إبان البحث والتققيب ، عن قضية المشترك
اللفظي والمعنوي .

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به .
وما كان من صواب حمدت الله عليه . . وما كان غير ذلك ، فأعتذر
عنه وأستغفر الله منه .

وكما قال الشاعر :

من ذا الذي ماساء قط ومن له الحسنى فقط
(١) وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

توفيق محمد شاهين

القسم الأول

مع النظرية

المشترك اللفظي

• بين يدي المشترك :

المشترك اللفظي علامة واضحة في لغتنا ؛ وهو بكثرته خصيصة لها ، وعامل من عوامل تنميتها . وقد تنبه العلماء له ، وأشاروا إلى شواهد ، والمعاني التي تدور ألفاظه حولها .

وحاول بعض العلماء نفيه ، وتنزيه لغتنا عنه ، وتأولوا ماورد من أمثله . وجل أئمة اللغة على إثباته ، وأثبت المحدثون أنه وارد في معظم اللغات الأخرى .

وهو عكس المترادف ، ويشمل : المشترك والمتضاد ، والمداخل والسلسل . وقد فطن العرب للفروق الدقيقة ، وجعلوا لكل حال لفظها :

« فيقال لولد الظلمية حين تضعه : طلاً ، فإذا قوى فهو شاذن ، ثم خشف ، ثم رشاً ، ثم شصر حين يطلع قرناه ، ثم غزال ، فإذا طال قرناه ، واقتربا فهو أشعب »^(١) .

واللهجات تأخذ مفرداتها بصفة عامة عن الأصل المشترك الذي تولدت عنه ، وتعالج كل لهجة ما اكتسبت من مفردات بطريقةها الخاصة ، أو « قد تأخذ لهجتان كلمة واحدة وتضفي كلي منهما عليها دلالة خاصة ، وتكون هذه الدلالة عادة مرتبطة ارتباطاً ما بالمعنى الأصلي للكلمة ، ومثال ذلك : كلمة « وثب » بمعنى « جلس » في اليمنية القديمة ، وهي تناقض للمعنى في الدلالة

(١) شرح الجاهليين لابن الأثير ص ٥٢٥ .

الشائعة ، بمعنى « قفز » ، وبين الجلوس والتفزز علاقة تضاد ^(١) .

وملاحظ الاشتقاق كان يختلف ، مع اتحاد الأصل : روى ثعلب عن ابن سلام :

« التشريق من طلوع الشمس ، ومن تشريق اللحم .

وعرفات : عرف آدم حواء ، ومنى من المنية ، منى عليه إذا قدّر عليه المنية ، ومنى واحد ^(٢) .

كما اختار العلماء في توجه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين : وذلك إذا « اتفق اللفظ الهمّة واختلف في تأويله » ، وهذا هو الأكثر ، كقول الحارث ابن حلزة :

زعموا أن كل من ضرب الـ غير موال ، لنا وأنا الولاء

على ما فيه من الخلاف ، وقد أورد صاحب الفاج في (غير) عشرة أقوال ، والغير : كليب أو السيد ، أو المنذر بن ماء السماء ، وكان قد قتل ... ^(٣) .

• هي العرب تقول ماتشاء :

العربية ملك للعربى ، وهو مبدعها ، ويتصرف فيها كما يشاء ، ولغات القبائل على اختلافها فصيحة صحيحة ، يصح الأخذ بها ، والقياس عليها ، وإن كان بعضها أكثر شيوعاً وأوسع نفوذاً من بعضها الآخر .

والعربى كان يستعمل لهجة غير قبيلته ..

كما أنه كان ينفرد بالابتكار والتجديد ، وربما كان ما نصفه بالابتكار

(٢) مجالس ثعلب ص ٤٣١ ، ٤٣٢ ،

(١) العربية ولهجاتها لأيوب ص ١٣

(٣) الخصائص ١٦٤/٣ - ١٧٣

والتجديد - أحياناً - راجعاً إلى لغة قديمة وصلت إليه ولم تصل إلى غيره أو لغة أخرى ، كما روى أن الفارسي سأل ابن جني « عما جاء عنهم من « حوريت » (اسم موضع) ، ولما لم يسفر البحث عن شيء ، قال الفارسي : هو من لغة اليمن ، ومخالفة للغة ابني نزار ، فلا ينكر أن يجيء مخالفاً لأمتهم . وابن جني لهذا وغيره لا يشك في بمد لغة حمير ونحوها عن لغتي ابني نزار »^(١) والعرب قد عرفت الدقة في استعمال الألفاظ والمعاني ، وميزت بين الشيء الواحد باعتبارات مختلفة .

إلا أننا وجدنا لها بالتالي حرية واسعة في القول كما تشاء ، فقد قالت : أملود وعروس يستوى فيه المذكر والمؤنث ، وزور بوصف به المفرد والجمع^(٢) وذكرت الواحد وأرادت الجمع ، والعكس : هؤلاء ضيفي . ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾^(٣)

ومن سننها أيضاً : مخالفة ظاهر اللفظ لمعناه ، كقولهم عند المدح : قاتله الله ، ما أشعره ! ، وكذا هوت أمه وهبلته^(٤) .

واعتبر ابن جني الحمل على المعنى من شجاعة العربية : فذكر المؤنث والعكس ، وتصور معنى الواحد في الجماعة والعكس من هذا الباب . كقول الشاعر في تذكير المؤنث :

إِنْ أَمْرًا غَرَّهُ مِنْكُنَّ وَاحِدَةٌ بَعْدِي وَبَعْدَكَ فِي الدُّنْيَا كَعَرُورُ
وعكسه كقوله تعالى : ﴿ يَلْتَفِتُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾^(٥) .

(١) الخصائص ٣٨٦/١ (٢) الخصائص ٢٠١/١

(٣) الخصائص ٢٧/١٧ ، والصاحي ١٧٦ ، وفقه اللغة للثعالبي ص ٣٠٦ - ٣١٤

- والآية من سورة غافر : ٦٧

(٤) الخصائص ٣٣٠/١ (٥) الخصائص ٤٢٦/٢ - والآية من سورة يوسف : ١٠

{ ٢٧٢ من المعجم للبرهان }

وتأول السهيلي حديث « أقبلت راكباً على حمار أتان » ونظر له بحجة ذكر ، وبطلة ذكر ، وهذا بقرة^(١) .

وتسكماوا بالجمع على غير قياس ، كما في قليل وقل ، في قول الخطيئة :
 قالت أمانة عُرِيت وهى خالية إن المطامع قد صارت إلى قل
 جمع قليل ، وكان القياس : قليل وقل^(٢) .

ومحاولة العلماء التعميد بعدئذ إنما هي محاولات انضباطية ، كما قال لى الشيخ عبد الله العلايلي . ومن ثم نجد تجويز بعض العلماء لما منعه غيرهم ، كما جاء في حديث مطرف لا تقل : نعم الله بك عينا ؛ فإن الله لا ينعم بأحد عينا ، ولكن قل : أنعم الله بك عينا . أنشد ثعلب :

أَنعَمَ اللَّهُ بِالرَّسُولِ وَالرَّسُولِ وَالْحَامِلِ الرِّسَالَةَ عَيْنًا
 قال الزحشرى : الذى منع منه مطرف صحيح نصيح في كلامهم^(٣) .
 وورد الشيء مع نظيره مورد تقيضه ، كما في اجتماع المذكر والمؤنث في الصفة المؤنثة ، كرجل علامة ونسابة ، وهزة ولمزة . . . لأن القاء ليست للتأنيث ، وإنما هى للمبالغة في أن الموصوف قد بالغ الغاية^(٤) .

وقال بعضهم للأنتى : رجلة ، وللبقرة : ثورة : كما ذكر المبرد لبعضهم :

كُلُّ جَارٍ ظَلَّ مُتَعَبِّطًا غَيْرَ جِيرَانِي جَبَّهَ
 خَرَقُوا جِيبَ فَتَاتِهِمْ لَمْ يُبَالُوا حُرْمَةَ الرَّجُلَةِ

وقال الأخطل في ثورة :

جَزَى اللَّهُ فِيهَا الْأَسُورِينَ مَلَامَةً وَعَهْدَةً فَنَفَرِ الثَّوْرَةِ الْمُقَصَّاجِمِ^(٥)

(١) شرح ديوان الخطيئة لابن السكيت وآخرين ص ٢٥

(٢) تاج الروس ٧٨/٩

(٣) الكامل للبريد ٢١٠/١

(٤) أمال السهيلي ص ٦٢

(٥) الخصائص ٢٠٨/٢

(نفر الثورة : فرجها . والمتضاجم : الواسع) .

كأرفضوا استعمال ما يجوزه القياس ويسوغه ، كاستغنائهم بفعل : (ترك) عن ماضى يذر ويدع^(١) . واستعمالهم لاسم لم يستعملوا منه فعلا كالأين^(٢) ، وإبرادهم لمبتدأ كالعمر والأيمن بدون خبر مع أن القياس يجيزه^(٣) . وقد سمع فعل للأين .

وبترك العربى الأخف إلى الأثقل لغير ضرورة ، نحو الفتوى ، والتقوى ، إذ فيه ضرب من الاتساع والتصرف فى الاستحسان ، مع أن علته ضعيفة غير مستحكمة ، إذ كان التبادر ألا يجرى فيها إعلال فيقال : الفتيا والتقيا ، لكن عرض ما يقضى بالتصحیح للفرق بين الاسم والصفة ، فعمل العرب بما يقضى بهذا المعارض^(٤) .

وقالوا : فاضل وأفضل منه ، وكريم وأكرم منه ، فى الأغلب الأهم عند التفضيل .

وجاء فى التفضيل ثلاثة ألفاظ هى : خير ، وشر ، وحبّ بدون همز ، لكثرة الاستعمال : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾^(٥) ، وقوله تعالى : ﴿ شَرُّ مَكَانًا ﴾^(٦) ، وقال الشاعر :

* وحبّ شيء إلى الإنسان ما منعاً *

وقد ورد استعمالهن بالهمز على الأصل ، كقوله : بلال خير الناس وابن الأخير ، وقرأ بعضهم : ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنْ السَّكَدَابُ الْأَشِيرُ ﴾^(٧) بقشديد الراء ورفعها ، وكقوله عليه السلام : « أحب الأهمال إلى الله آدمها وإن قل » .

(١) الخصائص ٣٩١/١ (٢) الخصائص ٣٩٢/١

(٣) الخصائص ٣٩٣/١ (٤) الخصائص ١٣٢ - ١٣٣

(٥) الأعراس ١٢ : (٦) عرسب ٢٢ (٧) البحر ٢٦

نقول : تلك حرية العرب ، واختلاف لغات ، ولا ضرورة للتخريج على الضرورة أو أن خير وشر لأفعالهما ففهيما شذوذان (من باب أفعل) .
والعرب تضع عبارات طرق العلم في موضع العلم . يقولون : سمعت كذا ،
وسمع الله لمن حمده ، وذقت الشيء ، وشممت رائحة الفضل من فلان . . .
كل ذلك بمعنى : علم وخبرته ، قال المبتخل الشكري :
لَا تَسْأَلِي عَنْ جُلِّ مَا لِي وَأَنْظُرِي كَرْمِي وَخَيْرِي
قال الخليل :

الخبر هنا : الهيئة . وانظري معناه : اعلمي ، وعلى هذا قوله تعالى :
﴿ يُسْأَلُونَكَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ ^(١) أى يعلمون ذلك ويقتنون ^(٢) .
وفي مسألة الجواب ببلى ، ونعم - بعد النفي والاستفهام - لم تتفق كلمة
العلماء لما ورد من شواهد تميز مامنع ، وتمنع ما أجز ، حتى أصبح من
الممكن أن تقول : كل وارد ، وكل جائز ^(٣) . ولكل وجهة .
وقد اختلف العلماء حول تفسير معنى الرئم والأدم ، قال ابن الأنباري :
والرئم : وجهه آرام هو الظبي الأسمر الظهر الأبيض البطن ، له في جنبه
خططان مسكيتان . . . والرئم : الظبي الأبيض يكون في الرمل . .

وأما الأدم : فإن أحمد بن عبيد حدثني قال : كان أبو أيوب ابن أخت
الوزير يجمعنا كثيراً ففتح جاري بين يديه ، ويسألنا عن الشيء بعد الشيء .
فقال لنا يوماً : ما تقولون في الأدم من الظباء ؟ فقال له يعقوب : هي البيضاء

(١) الأفعال ٦ : ١٣٧ (٢) الحاشية بصرح التبريزي ٢٠١ / ٥٢١

(٣) الصامعي ص ١١٦ ، ١٣٧ حاشية الخليل ص ٤٤ - ٤٧

البطون السمرة الظهور ، يفصل بين لون بطونها وظهورها جدتان مسكيتان .

فقال لى أبو أيوب : ما تقول يا أبا جعفر ؟

فقلت : أما ما كان منها فى الرمال وهى بلاد تميم فهى البيض الخوالص البياض . . فإذا ذكرها شاعر من قيس فهى كما وصف . فإذا وصفها شاعر من تميم فهى على ما وصفت ، فأذكر ذلك يعقوب وأبى أن يقبله .

فكنا على ذلك إذ استأذن أبو عبد الله بن الأعرابى ، فقال : أبو أيوب قد جاء من يفصل بينكما . فدخل فسأله أبو أيوب عن الأدم من الظباء ؟ فكأما نطق على لسان يعقوب .

فقلت له : يا أبا عبد الله ، ما تقول فى ذى الرمة ؟ قال : شاعر . فقلت : ما تقول فى قصيدته صيدح ؟ قال : هو بها أعرف منها به . فقلت : هو الذى يقول فيها :

مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ الرَّمْلِ أَدْمَاءُ حُرَّةَ شُعَاعِ الضَّحَى فِي مَتْنِهَا يَتَوَضَّحُ
فَأُطْرَقَ مَفْكَرًا ثُمَّ قَالَ : هِىَ الْعَرَبُ تَقُولُ مَا تَشَاءُ . وَأَمَّا قَوْلُ
أَبِى عَكْرَمَةَ فِي الرَّثْمِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ ^(١) .

هذا : وقد صغر أعرابى الحبارى على حيور . وحقر غيره الدقلاء (القوى) على شخيت (الضعيف) ^(٢) . إذ قصدوا المعنى ولم يبالوا اللفظ ؟ إذ هى لغتهم ، ولهم أن يقولوا كما يشاءوا .

(١) الفضليات بشرح ابن الأبارى ص ٧٢

(٢) الخصائص ٦٢/٦

• ظاهرة التضمن في اللغة :

وقد جوز العلماء ظاهرة التضمن ، فأولى أن نميز ظاهرة المشترك :
يقول ابن جني :

« اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف
والآخر بحرف ، فإن العرب قد تتوسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه ،
لمبذناً بأن ذلك الفعل في معنى ذلك الآخر ، فلذلك جاء معه بالحرف المعتاد
على ما هو في معناه ، كقوله تعالى : ﴿ أَجِلَ لَكُمْ كَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى
نِسَاءِكُمْ ﴾^(١) وأنت لا تقول : رفثت إلى المرأة ، وإنما : بها أو معها . لكن
لما كان الرفث بمعنى الافضاء ، وكنت تعدى : أنضيت إلى ، جئت بالحرف
(إلى) مع الرفث لمبذناً وإشعاراً أنه بمعناه »^(٢) .

ولوسأت عن المادة المستعملة في التضمن : أهي حقيقة أم مجاز ؟
لوجدت المذاهب اختلفت فيها لفيل :

(أ) إنها استخدمت في الوجه الحقيقي مع قطع الصلة بينها وبين الأصل .

(ب) أو إنها استخدمت في الوجه المجازي مع القرينة الدالة .

(ج) أو جواز الرأيين (أي الاستعمال في الحقيقة والمجاز في آن واحد) .

ومجم اللغة العربية في القاهرة قد أقر ظاهرة التضمن نظراً لحاجة اللغة
في التنمية ، وقال بقياسيتها^(٣) .

(١) البقرة : ١٨٧ (٢) الخصائص ٢/٣٠٨

(٣) انظر ظاهرة التضمن ، في مهم الهوامع للسيوطي ١/١٣٤ ، ٢/٢٨ ، وتأويل
مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٦ ، والانصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ص ٢٢٨ ،
وشرح الرضى على السكانية ٢/٣٤٦ ، وشروح التلخيص ٤/٩٧ . والخصائص ص ٣٠٦ - ٣١٥
وفقه اللغة للسامرائي ص ٢٠٨ - ٢١٩

على أن من علماء اللغة من سلك طريق الاحتمال والإمكان أحياناً لبعض
كلمات ، حار أمامها ، وجوز أن تكون لغة درست أو درس أهلها :

قال ابن فارس : ما انتهى إلينا من كلام العرب إلا الأقل ، وأحر هذا
القول أن يكون صحيحاً : لأننا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير : ما قاله
العرب ، فلا يكاد واحد منهم يخبر عن حقيقة ما خولف فيه ، بل يسلك طريق
الاحتمال والإمكان . ألا ترى أننا لا نسألهم عن حقيقة قول العرب في الإغراء :
« كذبك كذا » ، وعما جاء في الحديث : « كذب عليك الحج » ونحن نعلم
أن قوله : « كذب » يبعد ظاهره عن باب الإغراء ^(١) . . وذكر أمثلة
أخرى من هذا الباب .

وقد وقف الزخشرى في الفائق كثيراً عند هذه اللفظة ، واستعرض
أمثلة كثيرة (لكذب) بمعنى الإغراء ، قال :
وهذه كلمة مشكلة قد اضطربت فيها الأقاويل ، حتى قال بعض أهل اللغة :
أظنها من الكلام الذى درج ودرج أهله ومن كان يعلمه .

وقال الشيخ أبو على الفارسي : (الكذب) ضرب من القول ، وهو
نطق كما أن القول نطق ، فإذا جاز في القول الذى الكذب ضرب منه أن
يتسع فيه ، فيجعل غير نطق في نحو قوله في وصف ثور :

قد قالت الأنساع للبطن الحقى ... وقال :

جاز الكذب أن يعمل في غير نطق ، في نحو قول معتز بن حماد البارقي ،

في (كذب) بمعنى : عليك :

وَذُبْيَانِيَّةٌ أَوْصَتْ بِنِيهَا بِأَنْ كَذَبَ الْقَرَّاطِفُ وَالْقَرُوفُ ^(٢)

والكذب معناه المعروف : نقيض الصدق .

فما ورد عن أئمة اللغة في المشترك اللفظي ، وما ورد من استعمالات ألفاظ المشترك في الأساليب الفصيحة ، والاختلاف في تفسير بعض الألفاظ ومرجعه ماورد عن العرب الفصحاء ، وأخذ القبايل العربية عن بعضها ، وثبوت ظاهرة التضمن في اللغة العربية ، ونسيان الأصل حين النقل ، أو استعمال اللفظة في الحقيقة والمجاز في آن واحد ... ، بقوى وجود المشترك اللفظي في لغتنا .

ولوقوع المشترك في لغتنا ، نجد للبحث في دلالة الألفاظ وتحديد أثره وخطره :

إذ « تتوقف كثير من القضايا في الحياة على فهم النصوص فهمًا صحيحًا دقيقًا : في ميدان الحقوق والقانون مجال كبير الاختلاف على دلالة الألفاظ في المعاهدات الدولية ، والاتفاقات التجارية والمعاملات الاقتصادية . وفي ميدان الدين وخاصة الفقه الإسلامي تحمل النصوص موقعًا خاصًا ، ويتعلق على فهمها تحديد الأنسكار في العقائد والأحكام في قضايا المعاملات والعبادات . ويقع لذلك الاختلاف في فهم مراد الشارع ، وتحديد معاني الألفاظ في القرآن والحديث » (١) .

كما أنه عامل تنمية للغتنا ، إذ يرى المعنيين من لفظ واحد في استعمالين مختلفين ، أو معان متعددة ، قربت معانيها أو بعدت .

ويرى ابن جني . أن ضلال المشبهة من المتكلمين راجع إلى سبب ضعفهم في هذه اللغة السريمة ، ولو كان لهم بها أنس ما وقعوا فيها وقعوا فيه ،

« وطريق ذلك : أن هذه اللغة أكثرها جار على المجاز ، ولما يخرج الشيء منها على الحقيقة »^(١) .

وتجد علماء الأصول الفقهية قد اعتمدوا كثيراً بالمبادئ اللغوية ، ومسائل الألفاظ ودلالاتها ، لأن استنباط الأحكام من النصوص مرتبط بتحديد الرأى فى فهم بعض المسائل اللغوية ، وهذا من أسباب اختلافهم فى الاستنباط . كما أن فهم النصوص والألفاظ بدقة يفيدنا فى معرفة العادات والعقليات والبيئة للشعوب ، والوقوف على أغراضهم من واقع نصوصهم :

جاء فى الأمالى : أن أعرابياً وقف فى المسجد يشكو السنين والجذب ، فكان مما قال :

« .. عكفت علينا سنون محش ، فاجتنبت الذرى ، ... وجهشت النجم .
(المحش جمع محوش وهى التى تحرق السكلاً . واجتنبت : أى اقتلعت ، وجهشت : احتلقت . والنجم : من النبات ما لم يستقل على ساق)^(٢) .

ومع أن الألفاظ لها معان أخر كما نرى ، فالنص دل على البيئة وما فيها أصدق دلالة . وأكثر أبيات المعانى من هذا النوع ، وألف فيها الكثيرون ، وسموها : أبيات المعانى ، « لأنها تحتاج إلى أن يسأل عنها »^(٣) . وسيأتى الاختلاف فى تفسيرها .

ونجد الشيء الكثير من ذلك أيضاً لدى الأقدمين كما فى مسائل ابن الأزرق التى سأل عنها ابن عباس رضى الله عنه ، واستشهد للتفسير بالشعر العربى الفصيح ، « كما أن هناك ألفاظاً قصدت بها العرب الإلغاز ، وأخرى

(٢) الأمالى ١/١١٣

(١) الحماص ٣/٢٤٥

(٣) الزهر ١/٢٥٧

لم تقصد بها الإلغاز ، وإنما جاء اللفظ مصادفة ^(١) .

وقد أنشد ابن سلام في كتاب الأضداد لأبي دؤاد الإيادي :

رُبَّ كَلْبٍ رَأَيْتُهُ فِي وَفَاقٍ جَمَلَ الْكَلْبُ لِلْأَمِيرِ جَمَالًا
رُبَّ ثَوْرٍ رَأَيْتُ فِي جُحْرِ نَوْمٍ وَقِطَاةٍ نَحْمِلُ الْأَثْقَالَ

(الكلب : الحلقة في السيف ، والثور : ذكر النمل ، وقطاة : مقعد
الردف للدابة) ^(٢) .

ولا يمكن القول بأن هذا من اختراع الوضعين ، لأن الوضعين :
« يراعون الذوق المعروف عند اختراع الأحاديث » ^(٣) . ولا يمكنهم أن
يحيدوا عن العيوب اللغوية وسمته بحال ، ونحن نحكيهم .

* * *

(١) المزهري ٢٧٥/١ ، والمثل السائر ص ٣٩٨ - ٤٠١

(٢) تاريخ أدب الرافعي ٤٧٣/٣ (٣) النثر الفني في القرن الرابع ص ٧٩

المشترك اللفظي في الكلام

قسم العلماء الألفاظ اللغوية إلى ثلاثة أقسام :

(أ) تباير اللفظين لتباير المعنيين ، مثل : إنس ، وجن ، وشجر ،

وحجر .

(ب) وتباير اللفظين ، والمعنى واحد ، مثل : قعد ، جلس ، قام ،

وقف ، زوج ، بعل .

(ج) واتفاق اللفظين وتباين المعنى مثل : عين ، خال ، ووجد .

يقول سيديويه في كتابه : (باب اللفظ للمعاني) ومن كلامهم :

« اتفاق اللفظين ، والمعنى مختلف ، نحو قولك : وجدت عليه من

الموجدة ، ووجدت ، إذا أردت وجدان الضالة . وأشباه هذا كثيراً »^(١).

وبقول المبرد :

« وأما اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، فنحو : وجدت شيئاً إذا

أردت وجدان الضالة ، ووجدت على الرجل من الموجدة ، ووجدت زبداً

كريمًا : علمت »^(٢) .

وافساح مكان له في التقسيم ، والنص عليه ، يثبت وجوده ووقوعه فعلاً

في اللغة ، بعد سوقهم للشواهد القصيدة .

وقال العلماء عن حكم وقوع المشترك في اللغة :

(أ) لأنه ممكن الوقوع ، أي لا يمنع مانع عقلي من وقوعه في اللغة .

(١) الكتاب : لسيديويه ١٥/١

(٢) كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ، للمبرد ص ٣

(ب) ويقولون أيضاً : إنه واقع (فعلاً) لوجوده في اللغة : لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ ؛ فقد نصوا أحياناً على أن هذا المعنى أصل الوضع ، وبعد ذلك نجد معنى آخر يجعله بعضهم أصلاً للوضع أيضاً .
(ج) وأوجب بعضهم وقوعه : لأن المعاني غير متناهية ، والألفاظ متناهية^(١) .

فيلزم الاشتراك ، ويجب وقوعه ، لينفي بقطعية المدلولات الاجتماعية التي تسبق المدلولات اللغوية ، وتجد في المجتمع ، حتى تفي اللغة بمطالب الحياة والأحياء .

والمشترك اللفظي : هو ما اتحدت صورته واختلف معناه ، على عكس المترادف .

أو هو « اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة »^(٢) .

وتنوع معناه أتي من تنوع استعماله .

ويعقبه الشيخ صبحي الصالح : « في لغتنا لكثرة خصيصة لها لا تنفكر ، وإلا فهو موجود في سائر اللغات »^(٣) .

ولا خلاف في أن الاشتراك على خلاص الأصل^(٤) : لأن المفروض فيه أن يكون للكلمة الواحدة عدة معان ، تطلق على كل منها على طريق الحقيقة لا المجاز .

(١) الزهر ٣٦٩/١ (٢) الزهر ٣٦٩/١ وتاج العروس ٨/١

(٣) دراسات في فقه اللغة للصالح ص ٣٠١

(٤) الزهر ٣٧٠/١

ولو كان منطق اللغة كمنطق العقل لوجب ألا يكون للفظ الواحد سوى معنى واحد ، وألا يكون للمعنى الواحد سوى لفظ واحد أيضاً .

ولكن اللغة كما رأينا في كثير من جوانبها ، لها منطق خاص يبدو - في أكثر الأحيان - على جانب كبير من الغرابة : حيث تجعل للفظ الواحد أكثر من معنى ، والمعنى الواحد أكثر من لفظ . ومربنا حريه العربى فى لغته ، حتى قال العلماء : « هى العرب تقول ما تشاء » .

وقد عت لغتنا العربية هذه الظاهرة العجيبة :

فإذا اشترك أكثر من معنى فى لفظ واحد .. سمي ذلك اشتراكاً ، مثل كلمة : « العين » : للباصرة ، والجاسوس ، وعين الماء ، والذهب ، ومنبع الماء ...

وإذا تعددت الكلمات للمعنى الواحد سمي ذلك ترادفاً ، مثل : (معلم ، ومدرس ، ومؤدب ، وأستاذ ، ومرب ..) وليست لغتنا بدعاً فى ذلك بين اللغات فكلها فيها المشترك .

ولاشك أن التعبير بقسع عن طريق الاشتراك ، كما يقسع عن طريق الترادف : إذ يرى اللفظ المشترك أكثر من معنى بلفظ واحد ، ويكون - أيضاً - مادة صالحة للتورية والتجنيس عند المشغوفين بالصنع البديعى كما ذكرنا ، وذلك كلفظ « الغروب » فى أبيات الخليل ، والتي رواها أبو الطيب بالسند عن الحرمازى ، وذكر أن تكرار اللفظ ليس بضائر إذا لم يكن للمعنى واحد ، وأن ذلك ليس بإعطاء ، بل بالتمسك

يَا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ دَوَاعِي الْهَوَى إِذْ رَحَلَ الْجَبْرَانُ عِنْدَ الْغُرُوبِ
أَتَبَمُّتُهُمْ طَرَفِي وَقَدْ أَرَمُّوا وَدَمَعُ عَيْنِي كَقَيْضِ الْغُرُوبِ
بَانُوا وَفِيهِمْ طَفَلَةٌ حُرَّةٌ تَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ أَقَالِحِي الْغُرُوبِ
« فالغروب » الأولى : لغروب الشمس ، والثانية : للدلو العظيمة ،
والثالثة : بمعنى الوهاد المنخفضة^(١) .

على أن فائدته إنما تقوم على السك لا الكيف - كما ذكرنا - : إذ أنه
يوسع من القيم التمييزية ، ويبسط مداها اللفظي .

* * *

أثر المشترك وخطره

للمشترك اللفظي أثره وخطره ، فهو : يخلص من المآزق ، ويستر الزلات :
 قد حكوا أن غلاماً أعرابياً خطبت له جارية ، وجاءت أمها إلى أم
 الغلام لتنظر إليه ، فدخل الغلام ، وقال لأمه : أودى يا أمي ؟ (أى يلعق
 ما علق على اللب) فقالت : اللجام معلق بعمود البيت . وأرادت بذلك
 كتمان زلة ابنها وسوء عاداته : وذلك أن الدواية - كتمانة وتسكمر -
 الجليدة التي تعلق اللب والمرق ، وتغلظ إذا ضربتها الريح ، ولبن داوود دواية .
 والتدوية عادة سيئة للصبيان ، ولولا فطنة أمه لفسخت الخطبة ، وباء ابنها
 بالعار ، ومن ثم ضرب المثل بذلك ، كما قال يزيد بن الحكم الثقفي :

بدا منك غش طالما قد كتمته كما كتمت داء ابنها أم مدوى^(١)

وكما أنقذ المشترك للغلام الخطبة . . أودى بحياة أسير : فقد جرى بأسير
 يرعد من البرد ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « اذهبوا به فأدفوه » .
 يريد الدفء من البرد ، فذهبوا به فقتلوه ، فرداه (أعطى أهله الديه) النبي
 ﷺ كما في الصحيح . قال ابن الأثير : أراد به - ﷺ - الإدفاء من الدفء ،
 فحسبوه الإدفاء بمعنى القتل في لغة البين^(٢) .

وألف ابن دريد كتابه « الملاحن » ، « ليفزع إليه الحجير المضطهد
 (المقهور) على اليمن المـكـره عليها ، فيعارض بما رسمناه ، ويضمر خلاف
 ما يظهر ليسلم من هادية الظالم ، ويتخلص من حيف الغاشم^(٣) » ، فلو قال
 قائل لأعدائه :

(١) المنصف لابن جنى ، شرح الزميريف المازني ص ٢٥ ، وناج الروس ١/١٣٠

(٢) وناج الروس ١٠/٢٢٨ (٣) الملاحن ٣

« والله ما كنت عاملاً قطّ ولا أصلح لذلك : فالعامل قدر الذراعين من أعلى الرمح ، كقول الراجز : وتغلب العامل فيها منكسر^(١)) (والتغلب أيضاً طرف الرمح الداخل في جبة السنان) .

وتقول : والله ما رأيت فلاناً قط ولا كليته ، وتقصد : ماضرت رثته ، ولا جرحته^(٢) .

وتقول : والله ما كنت ساعياً قط . وتقصد جباية الأموال^(٣) .
وتقول : أنا عند الأتان : أى الصخرة في بطن الوادى ، وعند الجحشة ، والجحشة هى الصوف الملقوف^(٤) .

وأيضاً فالمشترك اللفظى عون للشاعر والناثر على أداء غرضه ، واتساع مجال القول أمامه ، وقد تكررت الألفاظ بعينها في قواف ، ولا عيب فيها ما دامت الألفاظ قد اختلفت معانيها ، كما في (غرب) و (خال) و (عين) و (دين)^(٥) ، وسندكر طرفاً من ذلك في أمثلة المشترك المختارة .

وعد العلماء أجناساً كثيرة من ألوان البيان والبدیع جاءت نتاجاً للمشترك اللفظى ، أفسحت المجال للشعراء والأدباء ، مثل :

التجنيس ، والترصيع ، والمفالطات المعنوية ، كما ذكرنا ابن الأثير ، قول المتنبي يصف فرساً وسناناً :

بُعَادَرُ كُلِّ مُلْتَفٍّ إِلَيْهِ وَلُبُّهُ لِنَعْلَيْهِ وَجَارُ

فالتغلب حيوان معروف ، والوجار بيته ، والتغلب أيضاً طرف سنان الرمح ، فلما اتفق الاسمان حسن ذكر الوجار في طرف السنان^(٦) .

(٢) الملاحن ٨

(١) المرجع السابق

(٤) الملاحن ص ١٥

(٣) الملاحن ص ١٢

(٦) النحل السابق ص ٣٩٢

(٥) الكامل للمبرد ٣٢٦/١

وقال شاعريهمجو آخر :

وَحَلَطْتُمْ بَعْضَ الْقُرْآنِ بِبَعْضِهِ فَجَعَلْتُمْ الشُّعْرَاءَ فِي الْأَنْعَامِ
والشعراء سورة في القرآن ، وكذا الأنعام ، والشعراء جمع شاعر ،
والأنعام من الإبل والبقر^(١) .

وأنفذ المشترك تاريخ البشرية كلها ؛ إذ جاء في الأخبار : أن الرسول
ﷺ سار بأصحابه يقصد (بدرأ) ، فلقى رجل من العرب ، فقال : بمن القوم ؟
فقال النبي : من ماء . وأخذ العربي يفكر : من ماء ؟ من ماء ؟ لينظر أى
بطون العرب يقال لها : ماء ؟ فسار النبي لوجهته ، وكان قصده أن يكتم
أمره ، وهذا من المغالطة الثلثية ، لأنه يجوز أن يكون من بطون العرب من
يسمى ماء ، ويجوز أن خلقهم من ماء^(٢) . ومثله ما جاء في هجرة النبي مع
أبي بكر ، وسئل أبو بكر عن معه ؟ فقال : (هادي يهدي الطريق) .

ومن التجنيس قول البحترى في العين بمعنى الجاسوس :

إِذَا الْعَيْنُ رَاحَتْ وَهِيَ عَيْنُ كُلِّ الْهَوَى

فليس يسير ما تسير الأضالِعُ

وقول المعري في الخال بمعنى الشامة ، وأحياناً من الحياة ، وإنسان العين :

لَوْ زَارَنَا طَيْفُ ذَاتِ الْخَالِ أَحْيَانًا وَنَحْنُ فِي حَقَرِ الْأَجْدَاثِ أَحْيَانًا

وقوله :

لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ إِنْسَانًا يُلَادُّ بِهِ فَلَا بَرَحَ لَعَيْنِ الذَّهْرِ إِنْسَانًا^(٣)

(١) المصدر السابق ص ١٩٣

(٢) اللال العاشر ص ١٩٣

(٣) المصدر السابق ص ١٩٣

(٤) المعري في الألفاظ

(١) المصدر السابق ص ١٩٣

(٢) المصدر السابق ص ١٩٣

(٣) المعري في الألفاظ

وعد ابن الأثير من التجنيس سبعة أقسام ، ومثل له بقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَنفُخُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثْبِتَا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ (١) .

ونازع الصحابة جريراً البجلي زمامه ، فقال لهم النبي ﷺ « خلوا بين جرير والجريز » (٢) .

وقد أوقعت الغفلة عن المشترك رجلاً في شر عمله وأطاعه :
« إذ خطب رجل من النافلة إلى حى من اليمن امرأة ، فسأل عن مالها ؟ فقيل له : إن كُتِبَ بيتاً رتداً ، وكداً ، وخفصاً ، وملنگداً . فظنها أسماء عبيد لها وإماء .. فرغب في نكاحها ، ولما دخل بها عرف الخبر ، وأن لها : جرة ، وحوالق ، وهاون من خشب » (٣) . وهكذا ينجى الجهل بالمشترك .
وقال الخليل بن أحمد : إن تكرار اللفظ في القوافي ليس بضائر إذا لم يكن لمعى واحد ، وأنه ليس بإبطاء ، وأنشد للخليل :

* يا ويح قلبى . . . عند الغروب *

وذكر انشاد ثعلب لقصيدة الخال (٤) ، وسند ذكر شيئاً عن ذلك .
وسئل حكيم عن جماع البلاغة ، فذكر معرفة أشياء إلى أن قال :
وفرق ما بين المشترك والمفرد (٥) فقد كان حذفه أمر يسبق إلى .
• وذكر السيوطى فى « الوجوه والنظائر » أن الوجوه : اللفظ الذى يستعمل فى عدة معان كلفظ الأمة .

وصنف فيه مقاتل بن سلمان قديماً ، وابن الجوزى ، وابن الدماغى ، وغيرهم من المعأخرين (٦) .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٣

(٤) مرآة المفرد ص ٣٢ - ٣٦

(٦) الألفاظ فى علوم القرآن ١٤١/١

(١) الروم ٥٥ - ٥٦

(٣) الفائق للزحصرى ١٠٤٥/١

(٥) البيان والبيان ١٠٤/٢

وأشار كبار الأدباء واللغويين العلماء إلى المشترك صراحة أو ضمناً ،
بقولهم : « معناه هاهنا : كذا وكذا ، وفي غير هذا الموضع يأتي بمعنى كذا
وكذا . . . » . واستعملوه ، وحاولوا إحصاءه .

وذكر الأستاذ جورجى زيدان : أن من مميزات العربية :

دلالة اللفظ الواحد معان كثيرة ،

وأن هناك من الألفاظ نيفاً ومائتين يدل كل منها على ثلاثة معان ،

ونيفاً ومائة يدل كل لفظ منها على أربعة معان ،

ونيفاً ومائة يدل كل لفظ منها على خمسة معان ...

وجعلوا للحميم خمساً وعشرين معنى ، وللخال سبعةً وعشرين معنى ،

وللعين خمسة وثلاثين معنى ، وللعجوز ستين معنى^(١) ...

وانتزع ياقوت من كتابه « معجم البلدان » سقراً ضخماً أسماه

« فيما اتفق من أسماء البقاع لفظاً وخطاً ، ووافق شكلاً ونقطاً ، وافترق

مكاناً ومحللاً ، واختلاف صفماً ومختلاً »^(٢) .

وقد جوز العلماء المعانى السكثيرة حول النقطة الواحدة ، مثل « إل »^(٣) ،

كما سيأتى .

ويقول سيبويه : اهل أن كلامهم : اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ،

نحو جلس وذهب . واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، نحو : ذهب وانطلق .

واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، نحو قولك : وجدت عليه من الموجدة ،

ووجدت إذا أردت وجدان الضالة ، وأشباه هذا كثير^(٤) .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ص ٤٤ .

(٣) المشترك وما لياقوت (المقدمة) .

(٤) تلمذ غريب القرآن لابن زبينة ص ٨٣ ، وتفسير الطبري ص ١٠٠/١٠١ .

(٤) الكتاب لسيبويه ص ١٠٠/١٠١ ، في النظم الجديدة ، ص ٧٢/٧٣ في النظم الجديدة .

وضعف ملكة العربية فيهم ، و « فرنجة » بعض مثقفينا ، وإلا فإننا نرى معاصراً عظيماً هو : الشيخ عبد العزيز الميمنى الهندى ، صاحب التحقيقات الرائعة لأمّهات تراثنا يقول فى آخر « السمط » : إلى هنا وقف البراع عن زهر ما جشمت له نفسى . . وقد تسكفت محاكاة البكرى على ضعف منقى وقلة حيلتى^(١) . وما زالت لبنان تقول : ظهر فلان بمعنى ارتحل وذهب . ونلاحظ أن علماء الأضداد عدوا (ظهر) من الأضداد . بمعنى : ذهب واختفى ، وبمعنى جاء وهل . وفى ديوان الشاغورى : القسط للعدل والظلم . وجلل ، ورغوث ونسخ^(٢) ...

واستغل العلماء حبهم وولعهم وبصرهم بالمشترك اللفظى والمعنوى ، إلى جعله وسيلة لحفظ اللغة ، فألف الأقدمون مثل :

المأثور عن أبى العميش ، وفيه ما اتفق لفظه واختلاف معناه .

و « ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه للأصمى »^(٣) .

و « المشترك وضعاً والمختلف صقلاً لياقوت الجوى » . و « الملاحن لابن دريد » ، و « المداخل لأبى عمر الزاهد » ، و « المسلسل فى غريب لغة العرب لمحمد يوسف التيمى » ، و (شجر الدر فى تداخل الكلام بالمعانى المختلفة ، للإمام عبد الواحد اللغوى) ... الخ .

وقد يقطن بعض اللغويين إلى المعنى الجامع ، كما ذكر الفيروزآبادى أن البسل هو الضم والمنع : فالخلال يجمع ويضم ، والحرام : يمنع ولا يضم ، ولعل هذا ما يفسر طريقاً فى الأضداد ، وإن كنت أقول : إن العرب لم تعرف كل هذه الفاسقة ، ولا تستطيع أن تذهب إليها فى وقتها الجاهلى .

(١) سمط اللآلى ١٠٦/٣ (٢) ديوان الشاغورى ٣٥٦ ، ٢٦٨ ، ٧٣ ، ١٠٥

(٣) مخطوطة مكتبة الفناهرية بدمشق ١٢٦ تصوف ، وعندى صورة منه .

وإذن فالمشترك بعامة لا يقل أهمية في إثراء اللغة العربية ، عن أى عامل من عوامل تنميتها : فإذا كانت ألفاظه بهذه الكثرة ، ولها أكثر من معنى ، فما أجدره بأن يكون في مقدمة عوامل تنمية لغتنا العربية ، إن لم يكن في عدادها . كما وسع على الناظم والساجع في ذكر اللفظ بعينه مع اختلاف المعاني ، أو بمرادفه ، وأمن مؤاخذه علماء القوافي .

وبالجملة فإن تطور اللفظ المشترك - بأى طريق من طرق التطور - مقدمة طبيعية لثراء كل لغة تشتمل على جملة طيبة منه .

وفائدته تقوم على السكْم لا على السَّكِيف ، إذ توسع من القيم التعبيرية ، وتبسط من مداها اللفظي ، بينما لا نسمعنا إلا بصورة مموهة عن كيفية وصولها إلينا معبرة عن عدد المعاني ، بعد أن كانت في الأصل لا تعبر إلا عن معنى واحد .

وحسبنا أن تقوم فائدته على السكْم الذى هو وعاء للسَّكِيف ، كما كانت لغتنا وعاء لكتاب الله وسنة رسوله ومطالب الدنيا والآخرة .

أصل الوضع اللغوي

تقلبت اللغة في وجوه الاستعمال ، قبل أن تقسع هذا الاتساع الكبير ،
لغة تناسب مع تدرج وتطور حياة البدو ، منذ أن كانوا الجزء المتكلم من
تلك الطبيعة الصامتة ، وحين صارت لغة الحياة المبسطة تصرفها الألسنة
والأقلام في مناحي العلوم والآداب والصناعات التي قام بها التمدن الإسلامي .
والمأثور من ألفاظ اللغة :

لما أن يكون مرتجلا ، أو مشتقا ، أو منقولا على وجه من وجوه المجاز .
وتلك هي طرق الوضع التي تقلبت عليها اللغة . وهي أدوار ثلاثة تشبه أدوار
الخلقة السكاملة من : التركيب ، والقوة ، والجمال ، على الترتيب .

والارتجال هو : وضع اللفظ ابتداء في أول أمر اللغة بتقليد الطبيعة ،
أو غيرها ، غير أنه لا يمكن أن يحاط بأوائل كلامهم ، وعلى أي مقادير
كانوا يضعونها ، إذ كانوا يتصرفون في لغتهم كما يشاؤون . وأجاز ابن جني
قبول ما ينفرد به العربي ، فلهلله ارتجاله ، أو سماعه من لغة قديمة ، وهذا شرط
بفصاحته . وجل ما وضع من اللغة ارتجالا ، فإيما وضع لمناسبة بين الدال
والمدلول على وجه من الوجوه ، وقد يختلف الوضع لاختلاف الأوضاع وتعدد
القبائل كالمدينة في لغة دوس ، والسكينة في لغة غيرهم ، وكلا اللفظين موضوع
لمعنى واحد لا زيادة في دلالة ، ومن ثم نشأ الترادف .

ولتحقق هذه المناسبة تأتي للوضع أن يشعق لفظا من لفظ ، لأن
الاشتقاق يقتضي المناسبة في المعنى والمادة .

أما المجاز ، فقد اعتبره بعض العلماء الوضع الأخير في اللغة ، ولذا تجد

مراعاة المناسبة فيه على أضعف وجوهها ، فسكان العرب في الارتجال راعوا المناسبة القابلة التي لا زيادة فيها ، ثم توسعوا في هذه المناسبة بنوع من التصرف في الاشتقاق وهو الوضع الثاني ، ثم بلغوا آخر حدود المناسبة في المجاز .. إذ هو صنعة حقيقية في اللغة لا تنهياً إلا بعد أن يكون العرب قد استكملوا أسباب النهضة الاجتماعية من المخالطة والافتقار ، واعتبارهم أنفسهم في أمر اللغة مجموعاً معنوياً .

ومحصل رأى العلماء في اختلاف اللغات : (اللهجات) يرجع إلى معان ثلاثة :

١ - ما يكون من تباين اللهجات وتنوع المنطق ، وهذا يشمل الاختلاف في إبدال الحروف ، وحركات البناء والإعراب ، والتقديم والتأخير ، والزيادة الحذف وكيفية النطق . وقد روى الراجزى مثلاً لذلك في « أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب : ما ترى في رجل ظحى بظي ؟ فقال عمر : وما عليك لو قلت : ضحى بظي ؟ قال : يا أمير المؤمنين : إنها لغة » .

٢ - وما يكون من اختلاف الدلالة للفظ الواحد باختلاف اللغات تنطق به ، وهذا يشمل المترادف والأضداد والمشارك .. وسبق أن ذكرنا أن أبا هريرة لم يفهم السكينة على أنها هي المدينة مع أنها تحت بصره إلا بعد أن أشار إليها .

٣ - وما يتفرد به عربي واحد ، مع إطباق الجماعة على النطق بخلافه ، وعللوا مثل ذلك بأنه يجوز أن يكون من لغة قديمة طال عهدا وعفا رسمها ، وقد رووا عن أبي حاتم أنه سأل أم المهيم الأعرابية - عن نوع من الحب

يسمى (أسفيوش) ما اسمه بالعربية ؟ فقالت : أرنيه ، ففكرت ساعة ، ثم قالت : هذه البهقدق .

وبعض العلماء يرى أن اختلاف لغات القبائل إنما هي درجات تاريخية في سلم النشوء والارتقاء ، بمعنى اندماج النوع الأدنى منها في الأرقى ، حتى تميزت الوحدة اللغوية ، لم يبق بين اللغات إلا فروق جنسية أودعت تلك الفروق في معرض التاريخ ، وسموها لغات للدلالة على أنها مخالفة لما أطبق عليه أكثر العرب

جاء في طبقات النحويين لأبي بكر الأندلسي : قال ابن نوفل : سمعت أبا يقول لأبي عمرو بن العلاء : أخبرني عما وضعت مما سميت عربية ، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال : لا . فقلت : كيف تصنع فيما خالفك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أحل على الأكثر ، وأسبى ما خالفني لغات^(١) .

والمهم في التسمية والسمة أن تكون وقت التسمية ، ولو انتقلت بعد ذلك : « فقد سمي (شوال) شوالاً لأن النوق شالت بذنبها فيه ، فلو شالت في غير شوال أذناها فلا يسم ذلك : حيث انفق أن شالت النوق بأذناها فيه . وكذلك رمضان ، الذي أخذ من الرمض وهو الحر إذ تصادف أن جاء فيه ، فبقى عليه كذلك في البرد وغيره »^(٢) .

والعرب لاحظت - غالباً - صلة الوضع بين اللفظ ومدلوله ، كما قال الأصمعي ، قال عيسى بن عمر : سألت جبر بن حبيب أخا امرأة المعجاج : ما المبع ؟ قال : ما ينتج في آخر النجاج ، فإذا مشى مع الرباع أبطرته ذرعاً ، فجمع بعنقه ، أي استعان بها في المشي^(٣) .

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي ١٣٠/١ - ١٣٢ .

(٢) البيان والتبيين ١٦٩/١ (٣) دبران المفضليات شرح ابن الأنباري ٢٥١

وسأل هرو بن العاص ابن عباس في مجلس معاوية : لم سميت قریش قريشاً ؟ قال : بدابة في البحر ، وذكر قول المشمرخ بن عمرو الجعفي .
وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشاً^(١) .

ونقل السيوطي كثيراً من ألوان هذه المساءلات والاشتقاقات في المزهري عن : الثور ، والثوب ، وآدم ، والجرجير ، والخليل^(٢) . . الخ .

على أن مناسبة الوضع قد تخفى أحياناً حتى على من أخذت عنهم اللغة من العرب الأصحاح : كما أخبروا بالسند أن بونس سأل أبا الدقيش : ما الدقيش ، فقال : لا أدري ، إنما هي أسماء نسميها فنقسمي بها . وقال أبو عبيدة : الدقشة : دويقة رقطاء أصغر من العطاء . قال : والدقش : شبيه بالنقش ، وقد سموا دنقشا ، ولأن كانت النون زائدة فهو من هذا . وقال ابن الأعرابي : الدنقشة : الشر والاختلاط^(٣) .

فلم يفسر اللفظ المسمى به ، بينما فسر غيره للمح له ، وعلم وصله .
وقد تخفى علينا أسباب التسمية لبعدها في الزمان عنا ، كما قال سيبويه :
« أو لعل الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر ، وفسره ابن جني بأن يكون الأول الحاضر شاهد الحال ، فعرف السبب الذي من أجله وقعت عليه التسمية ، والآخر لبعده عن الحال لم يعرف السبب لتسمية ، وضرب مثلاً بقولهم : (رفع عقيرته) لمن قطعت رجله في الأصل فرفعها وصاح^(٤) ، وكذلك بنى بأهله ، إذ كانت بينى على امرأته ما يشبه الخيمة عند الدخول بها .

(٢) المزهري ١/٣٥٣

(١) المزهري ١/٣٤٤

(٤) الخصائص ١/٦٦

(٣) مراتب التجويد لأبي الطيب ٤١

ولإذا كانت المعاني كثيرة لا تقناهي والألفاظ تقناهي فن الطبعي أن يوجد المشترك - وهو أحد طرق تنمية اللغة - وأن يكثر النقل : فالعراق أصله في كلامهم شاطئ البحر ، وسميت العراق بذلك لهذا الملحظ ، كما قال ابن دريد^(١) .

وذكر ابن نايقا البغدادي : أن العرب نقلت كثيراً من أوصاف النباه والشجر إلى أوصاف الناس ، واطرد ذلك في كلامهم للعنسية بين الحالين ، مثل : كريم الغرس ، والحسب والعود ، والنبت ، واكتهل ، والجروثومة ، ولحاه الله ، وجذيلها المحسك ، وعذيقها المرجب ... كما نقلوا كثيراً من أسماء هذا الجنس إلى تسمية الناس لتلك العلة ، ومن المشهور من ذلك : أرطاة (شجر) لأبي الوليد أرطاة بن سمية الشاعر الأموي ، وحمزة بقله من أحرار البقل ، ومسلمة من شجر العضاة ، وسلامة واحدة السلام وهو شجر ، وعلقمة من المر^(٢) .

ويختلف ملمع الأصل والمأخذ ، فمتمدد معاني اللفظ ، ويأتي المشترك اللفظي ، وخذ مثلاً : العفو : عفو الله تعالى عن خلقه ، والصفح عن الجاني ، وترك عقوبة المستحق .

وأصل معناه : الترك ، وعليه تدور معانيه ، بما يناسب من ترك عقاب ، أو عدم إلزام ، أو ترك تأنيب .

وقيل : بل أصله : القصد لتناول الشيء ، وهو أصل المعنى ، وعليه تدور معانيه^(٣) .

(٢) الجمان لابن نايقا ٢٨٠ وما بعدها .

(١) شرح مقصورة ابن دريد ٧١

(٣) تاج الروس ٢٤٧/١٠

وعلمائنا القدامى من أكثر الناس تقديراً لحدود ما يعرفون ، وحدود ما يحفلون كما قلنا :

فقد تخفى أصول الاشتقاق عليهم أحياناً . قال أبو العباس عن ابن الأعرابي :

« كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد . في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه ، ربما عرفناه فأخبرنا به ، وربما غمض علينا ، فلم نلزم العرب جهله » .

وقال : الأسماء كلها لعللة خصت العرب ما خصت منها . . . ومن العلل ما نعلمه ، ومنها ما نجهله . . . كما ذهب ابن الأعرابي إلى أن مكة سميت مكة لجذب الناس إليها ، والبهرة سميت بهرة للحجارة البيض الرخوة بها^(١) . . . وأحياناً لا تعلق أسماء المسميات أو توضيح أصول الاشتقاق ، ومع هذا لا يليق أن يرميهم المحدثون بالاضطراب في الرواية . لأنه لا علاقة بين : « الليث بمعنى الأسد ، وضرب من العنكبوت ، واللسن البليغ » . أو بين « البلد بمعنى كل قطعة من الأرض عامرة ، ومكة ، والتراب ، والقبر ، والدار ، والأثر »^(٢) .

وحسناً ما ذكر الشيخ صبحي الصالح - في توجيه مثل ذلك - : بأن الروابط المشتركة بين هذه المسميات يمكن أن تلهم بإحدى طريقتين : سلبية وإيجابية :

فإذا كان في الليث معنى القوة الحسية في اللسان البليغ معنى القوة البنيانية . وفي العنكبوت معنى الضد المقابل ، فكان الربط فيها سلبياً عكسياً ، كما سنرى في بحث الأضداد .

(١) أزداد ابن الأثيري ص ٦ - ٨ (٢) اللغات لأليس ص ١٨٥ - ١٨٧

وإذا كان في البلد معنى اقتطاع الشيء لسكانه وعمرانه ، ففي مكة تجسيد لهذا المعنى عن طريق العملية ، وفي التراب تحقيق لهذا المعنى : لأنه وسيلة البناء والعمران الحسينيين ، ويزداد هذا المعنى تحقّقاً في الدار التي تم بناؤها لتتكون جزءاً من البلد العامر ، ثم في القبر والأثر معنى عكس للسكنى والعمران ، فإثر القبر إلا بلد الموتى ومسكنهم ، وما الأثر إلا الدليل على عمران المكان قبل أن يعفّو ويدرس .

ولقد يكون في التماس الروابط المشتركة بعض التكلف ، ولكنه يظل خيراً ألف مرة من التسرع في رمي القدماء بقلة الثبوت ، فأمثالنا بأهل السكيل الاتهامات جزافاً لأمثالهم^(١) .

ولنلاحظ : أن العلماء أبعدوا العقل الصرف عن معرفة اللغات ، وأرجعوا ذلك إلى النقل المحض لأكثر اللغة ، أو إلى ما يستنبطه العقل من النقل^(٢) .

على كل للكلمة حياة خاصة بها ، وقد شبهها علماء اللغة المحدثون بالأحياء ، فقالوا : إن الكلمة يعترها ما يعترى الأحياء من أحوال .

فهى تولد في بادئ الأمر ، وقد نحضر ولادة بعض الكلمات ، ولو كانت مادتها في الأصل موجودة كالمذباغ والطائرة ، وتشهر الكلمة بين الناس ، أو تكون خاملة الذكر لا يعرفها إلا عدد قليل من الناس .

ويعترها الضعف والهزال فيقل استعمالها ، وتهاجر وتساقر ، وقد تعود من مهاجرها في زى جديد : فكلمة (غول) انتقلت إلى الأوربية (السكول) ، ثم عادت إلينا قفلاً : (كحول) ظناً منا أن الكلمة الأفريقية مأخوذة منها .

وقد تمتوت الكلمة فلا تستعمل أبداً ، وتبقى مدفونة في النصوص القديمة ،
وقد تيمت من جديد بعد موتها .

إذا كان للكلمة كل هذه التقلبات والحركات ، وإذا كان القدماء لم
يؤرخوا لكل هذه التحركات تاريخاً واعياً كاملاً ، وإذا اختلف العلماء في ملحظ
بعض الكلمات ومأخذها . . . فسيظل استعمال الكلمة رهناً بجيرانها ؛ إذ
الألفاظ في لغتنا لا تعيش مفردة ، بل في جماعات تشبه الشعوب والقبائل التي
عاشتها العرب .

بقي أن تسأل ؟

• ماهو الوضع ؟

الوضع جعل اللفظ دليلاً على المعنى ، فيقهره منه العارف بوضعه له .
وعرفه التاج السبكي - في شرح منهاج البیضاوی - بأنه : « عبارة عن
تخصيص الشيء بالشيء ، بحيث إذا أطلق الأول فهم منه الثاني ، بشرط
القصد » .

والأرجح أن العرب وضعت المفردات لا المركبات ، وإلا لتوقف
استعمال الجمل على النقل عن العرب كالمفردات . وإن كان الفرائي والتاج
السبكي - في جمع الجوامع - وغيرهما رجحوا أن المركبات موضوعة كالمفردات ،
لأن العرب حجرت في التراكيب ، كما حجرت في المفردات^(١) .

وبرد هذا أن أهل اللغة لم يودعوا المركبات معاجهم كما أودعوا
المفردات . وقال الزركشي - في البحر المحیط - : « لا خلاف في وضع
المفردات ، والخلاف في المركبات » .

والأرجح أنه لا يجب أن يكون لكل معنى لفظ ، لأن المعاني التي تعقل لا تتناهى ، والألفاظ متناهية ، وهذا اعتراف بالمشترك .

وهل كان الغرض من الوضع : لإفادة المعاني المفردة ؟ أو لإفادة المركبات والنسب بين المفردات ؟ خلاف بين العلماء ، ورجحوا الثانى .

كما اختلف العلماء : هل الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية - التي وضعها الواضع في ذهنه عند إرادة الوضع - أو بإزاء المساهيات الخارجية ؟ خلاف :

فقد استدل مرجحو الرأى الأول بأن اللفظ يتغير بحسب تغير الصورة الذهنية .

ورد مرجحو الرأى الثانى : بأن الدوران مع المعاني الذهنية دون الخارجية إما كان لا اعتقاد أنها في الخارجية كذلك ، لا لمجرد اختلافها في الذهن .

والأظهر - كما قال بعضهم - أن يقال : إن اللفظ موضوع بإزاء المعنى من حيث هو ، مع قطع النظر عن كونه ذهنياً أو خارجياً . وحصول المعنى في الخارج والذهن من الأوصاف الزائدة^(١) .

ومن الطريف أن السيوطى نقل عن السكيل المهراس ، عند الكلام على ثبوت اللغة بالقياس :

« أن العرب وضعت اسم الفرس للحيوان الذى كان في زمانهم موجوداً ثم انقرض وحدث حيوان آخر ، فسمى بذلك بطريق الإلحاق والقياس » ١١
وهذا غريب ، وأثر من آثار فلسفة اليونان التي تناولها العرب ، فأثرت في تفكيرهم ، كما سنرى ذلك . ولذا عقب السيوطى بعدئذ بقوله : « هذا

ليس بصحيح ، بل العرب وضعت هذا الاسم للجنس ، والجنس لا ينقرض^(١) .
واللفظ قد يوضع لشخص بعينه . وقد يوضع له باعتبار أمر عام . .
إذا عقل أمر مشترك بين مشخصات . . ولتأثير بعض فروع معارفنا العربية
بالمنطق الأرسطي ، قسم علماؤنا الوضع إلى سبعة أقسام كما ذكر عضد الدين
الإيجي في رسالة الوضع وهي :

١ - وضع شخصي لتحقيق خاص نخاص ، كالأعلام الشخصية ، والأعلام
الجنسية على رأى .

٢ - وضع تحقيقى شخصى عام لعام ، كالصادر وأسمائها ، وأسماء
الأجناس وأعلامها على رأى .

٣ - وضع تحقيقى شخصى عام لموضع له خاص : كأسماء الإشارة
والموصلات والحروف .

٤ - وضع نوعى تحقيقى خاص نخاص ، ولا يوجد ذلك إلا فى أمثلة
فرضية تعسفية ، كأن يقول الرجل : كل ما كان مركباً من كذا وكذا
وضعته ليدل على ابني هذا .

٥ - وضع نوعى تحقيقى عام لعام : كوضع المشتقات مادة وهيئة ما عدا
الفعل ، كما يدخل المركبات الإضافية ، والخبرية ، والإنشائية .

٦ - وضع نوعى تحقيقى عام نخاص ، كوضع هيئات الأفعال الجزئيات
الزمان والنسبة ، والحلى بال ، والمنادى ، والمجموع ، والمصغر .

٧ - وضع تأويلى عام ، ولا يكون إلا نوعياً ، كوضع المجازات
والسكافيات^(٢) .

(١) الزهر ١/٦١

(٢) خلاصة الوضع للشيخ يوسف الجوى ص ٣١ و ٣٢ ، الزهر ١/٦١

هذا موجز ما ذكره علماء الوضع ، ولا شك في أن العربي الأول واضح اللغة لم يعرف هذا التفصيل والتقسيم ، ولعله لحظ بعضها ، ولكن من المقطوع به أنه ما كانت له هذه العقلية المنظمة الحاسية .

وإن احتجنا إلى التنظيم والتنظير والتقسيم إلى المنطق أحياناً ، يقول متى بن يونس القنأني لأبي سعيد السيرافي :

« لا حاجة بالمنطقي إلى النحو ، وبالنحوي حاجة إلى المنطقي : لأن المنطقي يبحث عن المعنى ، والنحوي يبحث عن اللفظ ، فإن مر المنطقي باللفظ فبالعرض ، وإن مرّ النحوي بالمعنى فبالعرض ، والمعنى أشرف من اللفظ ، واللفظ أوضع من المعنى »^(١) .

كما أن علم الدلالة ليس من مخترعات الغرب ، كما يدعى بعضهم ، فلقد عرفه اللغويون القدماء من العرب ، وألفوا فيه ، كما تناولوه المفسرون ، والبالغيون ، ومؤرخو الأدب ، وأهل المنطق وغيرهم : كل من وجهة نظره . وسنجد في الاتصال اللغوي : رمزاً دالاً هو اللفظ . ومدلولاً هو المعنى ، ودلالة هي الارتباط بينهما . والنحو هو الذي يبحث في صلات الألفاظ ببعضها ، بينما المنطق والفلسفة تبحث في صلات المعاني ، أما يبحث الدلالة من علم اللغة فهو الذي يبحث الصلات بين الألفاظ والمعاني .

وليس بلازم - بداهة - أن يتبع الواضع أفراد بعض الأقسام كالمشغقات بل يكفيها وضع واحد ..

واللغة لم توضع كلها في وقت واحد - سواء على الرأي بالتوقيف أو الإلهام أو غيره - بل وقعت مقتاربة متلاحقة^(٢) .

(١) المقابسات لتروحيدي ٧٤ ط الرحاية (٢) الخصائص ٢٨٨/٧

(٤) - المعترك اللغوي

ولتداخل الأصول الثلاثة - الاسم والفعل والحرف - وتمازجها ، وتقدم بعضها على بعض تارة ، وتأخرها عنه أخرى . . ذهب أبو علي الفارسي إلى أن اللغة العربية وضعت طبقة واحدة كالرقم نضعه على المرقوم . وارتضى هذا الرأي ابن جني^(١) .

وألفاظ اللغة إشارات ورموز ، وعناصر الاتصال اللغوي هي :

١ - اللفظ أو الصورة الصوتية .

٢ - والمعنى أو الصورة الذهنية للشيء الحسى أو المعنوى .

٣ - والشيء المعنى أو الصورة الخارجية المقصودة .

فاللفظ يثير في ذهن السامع صورة الشيء الذهنية ومفهومه لا الشيء نفسه ، والانتقال بعدئذ إلى الأشياء الحسية عن طريق هذه الصورة الذهنية بنتيجة تجاربهم ، أى أن الصورة الذهنية هي الجسر الموصل بين عالم الأسماء (اللغة) وعالم الأشياء .

وعلى هذا فالدلالة هي إثارة اللفظ للمعنى الذهني أى لدلوله . وبين اللفظ والمعنى في كل لغة إثارة متبادلة وتضاع مستمر . وعلم اللغة يبحث في هذه الصلة بين اللفظ والمعنى ، في أحد فروعه المعروفة باسم مبحث الدلالة أو علم دلالة الألفاظ^(٢) .

وكانت العرب من الدقة بمكان في الوضع بحيث « فاوتت في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني : فجعلت الحرف الأضعف فيها ، والألين ، والأخفى ، والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخفت عملاً أو صوتاً . وجعلت الحرف الأقوى ، والأشد ، والأظهر ، والأجهر ، لما هو أقوى عملاً ، وأعظم حساً »^(٣) .

(١) الخصائص ٢/٤٠٠ - (٢) اللغة العربية للبارك ١٤٤٢ - ١٤٤٣ - ١٤٤٤

(٣) الزهر ١/٣٠٤

وضرب ابن جنى الأمثلة الوفيرة على ذلك كالتخضم والقضم ، والوسيلة
والوصيلة ... بل وذكر أن للعرب حكمة في ترتيب الحروف في الكلمة بإزاء
المعنى ، مثل : بحث ، وجر ، وشد ... كما ذكر ابن جنى للحرف قيمة
تعبيرية ، لا تختلف غالباً ، حتى وإن تبدلت أما كتبها بالتقليل .

فمثلاً : حرف (النون) الذى يدل غالباً على معنى الظهور ، مثل : نبع ،
نشأ ، نجم ، نفث .. وحرف (الراء) الذى يدل على التكرار والديمومة ،
مثل : مرّ ، درّ ، فرّ ، قرّ ، سرى ، قرع .. وحرف (الغين) الذى يدل على
الغيوبة والستر ، مثل : غيم ، غيب ، غرق ، غفر ، غمس ^(١) ..

ويرى الكثيرون أن الدلالة الحسية للألفاظ أسبق من الدلالة المعنوية ،
التي انتقلت إليها لتشابه الصور الذهنية ، مثل (فصل) فهى بمعنى قطع أصلاً
في الحسيات ، ولما ارتقت اللغة انتقلت إلى معنى « أبان » فى الخصومات .
ويرى جورجى زيدان أنه « يكاد لا يوجد كلمة واحدة إلا واستعملت
للدلالة المعنوية ، وذلك دليل كاف على أن قابلية المعانى للانتقال ، هى كقابلية
الألفاظ للأبدال » ^(٢) .

وسنزيد هذا إيضاحاً عند الكلام على النقل ، وأنه يعد - عند بعضهم -
كالنسخ فى الشريعة ، أو وضع جديد .

وحكى السيوطى عن الإمام نجر الدين الرازى وأتباعه بأنه لا يجب أن
يكون لكل معنى لفظ : لأن المعانى التى تعقل لا تنهاى ، والألفاظ

(١) فقه اللغة المبارك ص ١٤٦ ، والخصائص ، ومقدمة العلايل ، وما ذكرناه فى بحثنا
عن « الثنائية » .

(٢) الفلسفة النظرية ص ١١١ .

متناهية ؛ إذ هي مركبة من حروف متناهية ، والمتناهي لا يضبط
مالا يقناهي ، وإلا لزم تنهاى المدلولات^(١) .

وهذا رأى منطقي ومقبول ، وهذا أحد أسباب ضرورة وجود المشترك
اللفظي الذي نحن بصدد البحث فيه . وأخيراً : إذا استبعدنا العقل ، واتبعنا
النقل ، أو استنهدنا العقل الناقص من النقل ، لآمنّا بوجود المشترك اللفظي بألوانه
في لغتنا العربية .

* * *

• كثرة أصول ؟ أم ترف عقل ؟ أم حيرة ؟

أوجب علماء اللغة اللفظ إلى أصل واحد نشأ منه ، وأخذ عنه ،
وابن فارس يرجعه إلى أكثر من أصل : (فالجد) مثلاً يرجع عنده إلى
أصول ثلاثة هي : العظمة ، والحظ ، والقطع ، بناء على مذهبه^(٢) . وبعضهم
بعد هذا من ابن فارس ترفاً عقلياً ، وهذا نقد شكلي في الحقيقة .

كما قيل : إن (المجلس) (بالفصح) هو الغليظ من الأرض ، وقيل :
هذا هو أصل المادة ، وقيل : بل هو الغليظ من الشجر ، أو الشديد من
العسل ، وابن فارس يعتبر أن (جلس) أصل واحد ، وكلمة واحدة وهو
الارتفاع في الشيء^(٣) .

وإذا كان (الخال) هو أخو الأم ، فمن أين أتت بقية معانيه
الكثيرة ؟

والعين (هي الباصرة في رأى ، وأنها حقيقة في ذلك ، بينما اعتبرها
رأى آخر من المجاز في الباصرة ، لأنها ترى بسببها .

(٢) المفاتيح ١/٦٠٤

(١) الزهر ١/٤١

(٣) شرح أشعار هذيل للسكري ١/٤٤٧ ، والمفاتيح ١/٤٧٣

وقد ذكر ابن فارس في (المجمل) و (المقاييس) أمثلة كثيرة من تعدد
الوضع لفظ الواحد ، وإن وصفه أحياناً بالشذوذ .

والصلاة : الدعاء عند الأعشى (١) . وصلى أبو بكر - رضي الله عنه -
أى أتى ثانياً ، والمصلى : الذى يلى السابق (٢) . والصلا : العجز (٣) .

ويصر جماعة على أن أصل (العفو) : التناول للشيء ، وعليه تدور
معانيه . بينما يصر آخرون على أن أصل معنى (العفو) : الترك . وعليه تدور
معانيه الكثيرة (٤) .

ولكن كيف يكون العفو أيضاً جرى الفرس . والجحش ؟
وكيف يكون النسخ موضوعاً في اللفظة بإزاء معنيين ، أحدهما : على جهة
الانعدام ، والثاني : على جهة الانتقال ؟ (٥) .

أمثلة كثيرة رأينا فيها حيرة العلماء لإزاء الوضع ، ويؤيد كل رأى
الشاهد الفصيح .. فيمكننا أن نقول مطمئنين إلى أن ذلك دليل على جواز
وقوع وجود المشترك بأفواعه في لغتنا العربية .



(١) جمهرة أشعار العرب ص ١٥ ، وديوانه ٣٥

(٢) مجالس تلمب ٤٢٣/٢ (٣) أساس البلاغة ص ٢٥٨

(٤) القواميس العربية (عفو) ، ومجالس تلمب ٨٧/١

(٥) مجالس تلمب ٥٥٩/٢ ، مجاز القرآن ٢/٢١١ . الأساس ٥٤٤

نشأة المشترك اللفظي

اختلفت كلمة العلماء في الطرق التي جاءت بالمشترك اللفظي في لغتنا :
أولاً : فقد قيل : لأنه وجد في اللغة بسبب الوضع ، إما من واضعين ،
أو من واضع واحد^(١) .

من واضعين : بأن يضع أحدهما لفظاً لمعنى ، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر ،
ويشتهر ذلك اللفظ ما بين الطائفتين في إفادة المعنيين ، وبمرور الوقت يشيع
الاستعمال عند الفريقين ، فيستعمل هذا ذاك والعكس ، حتى ينسى الواضع ،
وتبقى الاستعمالات ، وهذا معناه على أن اللغات غير توقيفية .

ولما من واضع واحد ، لغرض الإيهام على السامع :
حيث يكون التصريح سبباً لمضرة ، مثل : « رجل يهديني الطريق » ،
و « بنوماء » كما مر بنا وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه (في طريق الهجرة) ،
وقد لقيه رجل بكراع الغنيم ، فقال من أنتم ؟ فقال أبو بكر : باغ وهاد . لاذ
عرض ببغاء الإبل ، وهداية الطريق «^(٢) . وصرح علماء اللغة بأن الوضع
من واضع واحد نادر .

ولذا كان أبو علي الفارسي معتدلاً في رأيه حين قال : « اتفاق اللفظين ،
واختلاف المعنيين ينبغي ألا يكون قصداً في الوضع ، ولا أصلاً ، ولكنه
من لغات تداخلت «^(٣) وأقول : لا يمنع من واحد كأنه (شفرة أو شيفرة) .
وقال بعضهم : « إن الاشتراك بمعناه الصحيح من عوامل كثيرة أهمها :

(٢) الفائق ٦/٢ ٤٠

(١) تاج العروس ٩/١

(٣) التخصيص ٢٠٩/١٣

(اختلاف اللهجات العربية القديمة)^(١) ، فلما اختلف الاستعمال لديهم . . جاء جامعو اللغات فضموا هذه المعاني بعضها إلى بعض بدون أن يعنوا في كثير من الأحوال بإرجاع كل معنى إلى القبيلة التي كانت تستخدمه ، وبعض أمثاله كانت تختلف معانيه كذلك في الأصل باختلاف القبائل ، ولكن معانيه المختلفة قد انتقلت فيما بعد إلى لغة قريش ، وأصبح يُطلق فيها على جميع هذه المعاني .

وإذا لاحظنا أن قريشاً كانت تلتقي اللفظ الأرشق والأخف والألطف لتجود به لغتها . . صدقنا هذا الرأي .

ويؤيد مسألة الوضع أن العلماء كانوا يدركون المعاني التي تدور حول اللفظ الواحد ، ثم يدركون أيضاً الفرق متى اختلفت الصيغة .

فقد فسر يونس لفظة (رؤبة) بقوله : (الروبة : الحاجة ، يقال : فلان يقوم بروبة أهله أي بمحاجتهم . والروبة : جمام الفحل . والروبة : القطعة من الليل ، نحو الساعة . والروبة : القطعة من اللبن الحامض . والروبة (بالهمز) القطعة من الخشب يوأب بها النعب ، وبه سمى الرجل (رؤبة) رؤبة^(٢) .

ونبه العلماء على تعدد الوضع :

فقد قال الخطيئة في وصف الخليل . مثابرة رهوا .. قال شراح الديوان (ابن السكيت والسكري والسجستاني) : (الرهو) ها هنا ، المتتابع ، وفي قوله تعالى . ﴿ وَأَنْزَلْنَاكَ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾^(٣) ، أي ساكباً ، (والرهو) ما نظامن الأرض ، وكان ما حوله أشد ارتفاعاً^(٤) .

(٢) مراتب النحويين لأبي العلي ٢٢

(٤) الديخان : ٢٤

(١) فقه اللغة لواقص ١٨٥

(٣) شرح ديوان الخطيئة ٩

وقد ترددت عبارات تفيد تعدد الوضع للفظ الواحد كثيراً في المقاييس لابن فارس ، كما سيحى .

ثانياً : أو لأن سببه المعنى العام للأصول .

إذ أن أكثر الأصول التى تشق منها الألفاظ للدلالة على معان جديدة ذات معان عامة ، لذلك ، فقد تستعمل للدلالة على مسميات مختلفة تشترك فى تلك الصفة ، أو ذلك المعنى العام ^(١) .

مثلاً : (الدليل) يقصد بها من يدل على الطريق ، أو من يطوف مع السائحين فى عصرنا ليدلهم على الأماكن الجديدة بالزيارة .

وبراد بها الكتاب الذى تعطيه دوائر السياحة فى كل بلد ، لدلالة الغريب على آثاره ومعالمه .

ويقصد بها كذلك الحجة المنطقية والبرهان ... لأن جميع هذه المسميات ينطبق عليها كونها دالة لغاصدها ، وإن كانت هى ذاتها مختلفة .

وكلام الأستاذ المبارك إشارة إلى بيان نشأة المشترك ، وإن كانت بعض ألفاظ المشترك ليس فيه عمومية فى الدلالة ، مثل : (الغرب) للجهة ، وللدلو ، ودمع العين ... على أن الدكتور إبراهيم أنيس لا بسلم بالمشارك إلاّ إذا دلت النصوص على أن اللفظ الواحد يعبر عن معنيين متباينين كل التباين .. فما يخرج عن رأى الأستاذ المبارك يرضى الدكتور أنيس ، ويخلص لنا أن المشترك حقيقة واقعة .

(١) نفع اللغة للمبارك ١٩٨ .

جاء في الحماسة : للهذيل بن مشجعة البولاني :

إني وإن كان ابن عى غائباً لمقاذف من خلفه وورائه
قوله : (من ورائه بمعنى القدام ، وقد ذكر معه خلف ، واشتقاقه من
المدارة وهي المساترة ، لذلك صلح وقوعه موقع الخلف والقدام) ويقول نفس
الشاعر بعدئذ في نفس القصيدة :

وإذا أتى من وجهة بطريقة لم أطلع مما وراء خيائه (١)
ووراء هنا بمعنى : خلف . فالشاعر راعى في لفظ وراء . معنى المساترة
مطلقاً .

ثالثاً : وبعض العلماء يسببون وجود المشترك في اللغة بالاستعارة والمجاز ؛
أي أن اللفظ الواحد لم يكن له إلا معنى واحد على سبيل الحقيقة ، ثم تضمن
معاني أخرى على سبيل الاستعارة والمجاز .

وبعض المحدثين من علماء اللغة يخيّل أن هذا الرأي من اجتهاده ، ومن
بنات أفكاره ، والحق أنه قديم . أشار إليه ابن سيده في التخصيص ، وهو
رأى الفارسي حين قال : « أو تكون لفظة تستعمل لمعنى ، ثم تستعار لشيء
فتكثر وتصير بمنزلة الأصل » (٢) .

ويقول الشيخ صبحي الصالح : (طائفة من القدامى ترى هذه الشواهد
مصادقات محضة ، تنوسيت فيها خطوات التطور المعنوي عن طريق المجاز
والكناية ، ولو أمكن تتبع الخطوات للنسبة لوقعنا على المعنى الأصلي الحقيقي
لفظ ، ثم رأينا أخذاً في التطور ، يلبس كل يوم زياً جديداً ، ويعبر في
كل بيئة تعبيراً معيناً) (٣) .

(٢) التخصيص ٢٥٩/١٣

(١) شرح الحماسة لابن الأثير ١٦٨٠/٤

(٣) دراسات في فقه اللغة للصالح ٣٠٣

على أن بعض النافين لوجود المشترك ، يتخذ الاستعمال المجازى دليلاً له على النفي ..

لكننا رأينا في الكلام على ذلك من قبل . بأن القول بالمجاز يقصد به المجاز بمعناه الواسع لا الضيق ، كما هو مفهوم عند علماء البلاغة ، وبالتالى فإن كثيراً مما عدّ حقيقة أو مجازاً لم يكن - فى واقع التحقيق - كذلك ؛ والسبب :

أن المعنى الأصلى أحياناً ينسى ، وأحياناً يحفظ فى بطون المجمعات . وقد كان يلاحظ وحده حين أطلق للمرة الأولى . ثم جاءت بعض المصادفات المحضة التى قد تظل مجهولة لدينا فى بعض جوانبها أحياناً كثيرة . فغيرت معنى اللفظ واستعملته فى غير المراد الأصلى البدائى منه . (فوجوده بين الألفاظ المهجورة التى قد تستعمل . أو حفظه فى كتب اللغة بين الألفاظ المستعملة التى قد تهجر .. لا ينفى أن له فى الأصل معنى خاصاً يدل عليه دون سواه) (١).

(وفندريس) يذكر أن المجاز كُن السبب فى خلق جزء كبير من المشترك اللفظى فى اللغة ، لكنه أكد أنه سريعاً ما ينسى ، ويصبح المعنى الجديد الذى دخل اللفظ عن طريق المجاز لا يقل فى حقيقته عن المعنى الأول الذى كان له . ونحن إذا أردنا أن نحدد معنى الكلمة ، أو معانيها . فعليها أن ننظر إلى استعمالاتها كما هى اليوم ، لا إلى تاريخها .. يقول « فندريس » :

فى التسليم بأن للكلمات معنى أساسياً (حقيقة) ، ومعانى ثانوية

(مجازية) صادرة عن الأول إشارة لمسألة وجهة النظر القاريحية . ووجهة النظر القاريحية تلك لا قيمة لها هنا . ربما رأى الشخص الذى يشمل اللغة بأسرها فى تطورها وانساعها بنظرة واحدة : أن (الريشة) التى من حديد ، جاءت من (ريشة) الأوزة ، فهى عنده كلمة واحدة أخذت دالتين مختلفتين على مر الزمن : لذلك يجدر بقاموس يفخر باتباعه نخط سير المعانى أن يضع تحت كلمة ريشة ، معنى الريشة التى من (حديد) بعد معنى ريشة (الأوزة)^(١) .

ويمضى (فندريس) فى شرح الفكرة ، مبيناً الفرق الفعلى فى الاستعمال ، فيقول :

ولكن الفرنسى الذى يتكلم لفته اليوم ، لا يرى فى هذين الاستعمالين فى الواقع إلا كلمتين مختلفتين ، ولا يوجد شخص واحد يحاول أن يشكو من الغموض عند سماعه جملتين من قبيل : (يعيش من كد ريشته) و (اجثت له ريشة) . وكل واحد يفهم دون تردد أن الكلام فى الجملة الأولى عن أحد الكتاب ، وفى الثانية عن أحد الطيور . فالكلمتان مختلفتان بجميع المشتركات الأخرى . . .

وعلى فرض أن يكون هناك بريق أو ظهور للكلمة المستعمارة يؤكّد (فندريس) بأن أمد هذا الظهور قليل ، وسرعان ما ينسى ذلك تماماً ، يقول : « قد يعترض معترض فيقول : بأنه قد مرت لحظة كان يحس خلالها بأن كلمة ريشة استعمارة . ولكن هذه اللحظة لم تطل : فأى كلمة فى اللغة الجارية ليس لها إلا معنى واحد فى الوقت الواحد . إذ لما كانت ريشة الأوزة تستعمل

في الكتابة ، كان الذي قال : (آخذ ريشتي لأكتب كلمة) قد استعمل كلمة ريشة بمعنى أداة للكتابة ، ولم يقصد هذا التقدير . الاستعارة تشبيه مختزل ، تقديرها يحتاج إلى مجهود ، يستطيع الإنسان أن يسلم به لمؤلف يقرؤه عندما يتوفر له الوقت ، ولكنه في المحادثة لا يملك الوقت الكافي لهذا العمل .

ففندريس قد استعمل العادة في الحديث ، ولاحظ الطاقة في التقدير ، والوقت في السعة والضييق ، واعتبر الواقع في الاستعمال . وعن نسيان العقل لخطوات التطور وأن من الصعب تحديده ، وأن الكلمة - التي لها أكثر من معنى - لا تستعمل إلا في المعنى الحضورى .

ويحدثنا (بلى) العالم اللغوى ، فيقول : « الكلمات لا تستعمل في واقع اللغة توباً لقيمتها التاريخية ، فالعقل يندى خطوات التطور المعنوى التي مرت بها ، إذا سلمنا بأنه عرفها في يوم من الأيام ، والكلمات دائماً معنى حضورى ، محدود بالاحظة التي تستعمل فيها ، ومفرد ، خاص بالاستعمال الوقتى الذي تستعمل فيه »^(١) .

والمشترك - كما قلنا - ليس خاصاً بلغتنا ، بل هو ظاهرة مشتركة بين اللغات ، ولأنه يحمل في اللفظ الواحد أكثر من معنى - فكان مثار سؤال : كيف يتبين لنا أن نفهم المقصود منها ؟ قال علماءنا : يفهم من النص .

ويحدثنا العالم اللغوى (لروا) - وكلامه ينصب على الفرنسية خاصة ، واللغات الإنسانية عامة .

(١) دراسات في فقه اللغة لصالح ٣٠٦ .

إننا حينما نقول : إن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد ، إنما نكون ضحايا الانخداع إلى حد غير قليل ، إذ لا يمانع في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات ، إلا المعنى الذي يعينه سياق النص .

ويزيد (لروا) توضيح فكرته قائلا :

أما المعاني الأخرى جميعها فتمحى وتبدد ولا توجد إطلاقاً :

فنحن في الحقيقة نستعمل ثلاثة أفعال مختلفة عندما نقول : (انطياط يقص الثوب) أو (الخبر الذي يقصه الغلام صحيح) أو (البدوى خير من يقص الأثر) .

الذي يعين قيمة الكلمة إذن إنما هو السياق : إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً .

والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها .

والسياق - أيضاً - هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها إذا كررتناكم عليها ، وهو الذي يخلق لها قيمة (حضورية) ، ولكن الكلمة بكل المعاني السكاملة ، توجد في الذهن مستقلة عن جميع الاستعمالات التي تستعمل فيها ، مستعدة للخروج والتشكل بحسب الظروف التي تدعوها^(١) .

وإذا كان السياق هو الذي يحدد المعنى فلا داعي لخوف من قال : إن كثرة المعاني داعية للإبهام ، واللغة للإفهام .
والسياق أيضاً هو الذي يقطع الطريق على تداعي المعاني المتزاحمة على

(١) اللغة الهندوسية ٢٢٨ - ٢٣٢ .

اللفظ ، ويجعل القيمة الحضورية للمعنى الواحد المقصود . مع أن الكلمة في المشترك مشعونة بمعانيها ، تتخفz للخروج والظهور ، والمكلم يضع المعنى المراد في الإطار المطلوب المعين على الفهم والحدد للمعنى ، والسامع لا يجد صعوبة إطلاقاً في فهم المراد من بين السكثرة ، ومع نسيان المجازية .

ويقترb الدكتور أنيس مما ذكر (لروا) ، و (بلى) كما حكى عنهما (فندريس) ، ويزيد الأمر توضيحاً بأنه :

(ليس من الضروري أن يكون الاستعمال المجازى مقصوداً متعمداً ، كما نلاحظه في بعض الأساليب الشعرية والكتابية ، بل قد يقع من عدة أفراد في الهيئة اللغوية في وقت واحد ، ودون مواضعة أو اتفاق بينهم^(٢) . أى أن الناس في تخاطبهم قد يلجأون إلى مجازات لتوضيح معانيهم دون قصد ، كقولهم : رأس النخلة . ورأس الجبل . ورأس الحكمة . . . دون أن يعمدوا إلى مجاز أو يقصدوه : إذ يطلقون الرأس على البارز من كل شىء . ونحن نكتفى عادة بفكرة سريعة في فهم معانى الأشياء . ولا تتطلب الدقائق والقصايل .

فالدكتور أنيس يؤكد الواقعية في الكلام ، كما ويؤيد أن الخطوات التاريخية للفظ قد تنسى ، كما ذكر أن البحث عن تلك المجازات المنسية أمر صعب إذ تتطلب بحثاً جدياً ومضنياً في النصوص القديمة ، وتاريخ الحياة الاجتماعية لأمة من الأمم عبر المصور .

وأن النقلة المجازية للفظ من محيط إلى آخر كما تكون من عمل فرد ممتاز كشاعر أو ناثر . . . تكون من عمل مجموعة من الناس دون مواضعة أو اتفاق بينهم .

(١) الهجات لأيس ١٨٨١ و ١٨٨٢ .

ويرجع الدكتور أنيس أمر الخطوات المنسية إلى جهلنا بالحياة الاجتماعية قول الإسلام ، يقول : « وكل الذي نستطيع تأكيده بصدها ، أن معانيها قد تغيرت مع احتفاظها بصورتها ، أو أن صورتها قد تغيرت مع الاحتفاظ بمعانيها ، أما سبب هذا التغيير فأمر أقرب إلى الترجيح منه إلى مرتبة اليقين » . وذكر أن صاحب شفاء الغليل قد فطن إلى أنه (لا يضر العرب كونه موافقاً للفظ عربي (كسكر) ، فإنه معرب ، وإن كان عربي المادة بمعنى أغلق ، قال تعالى : ﴿ سَكَّرْتُ أَبْصَارُنَا ﴾^(١) . كذلك لا يضر ما حثت عربيته ووافق لفظاً فارسياً ، أو قرب منه ، مثل : (ضحك ، وتك ، وجناح) . ومن النادر أن تستعير اللغة كلمات تماثل صورتها كلمات أخرى فيها ، وإن اختلف معناها ، مثل : (البرج) بمعنى الحصن ، وقد استعارته العربية من اليونانية ، مثل هذا نادر وقليل المصادفة^(٢) . وعلى كل فالنقلة جائزة وأحياناً تصبح كوضع ثان ، وبخاصة إذا كانت ليس غريبة عن اللغة . بل من جسم اللغة وصميمها .

رابعاً : وذكرنا من أسباب نشأة المشترك : التطور الصوتي : فقد ينال الأصوات الأصلية للفظ ما بعض التغيير أو الحذف أو الزيادة ، وفقاً لقوانين التطور الصوتي^(٣) .

فقد تكون ظاهرة المشترك في بعض الأحيان نتيجة تطور صوتي في بعض الكلمات . مثل : (لزب ولسب) ، كما جاء في (القاموس) بمعنى اللصوق ، ولدغ الحية والعقرب و (الملح) بمعنى الشديد ، واليوم الحار ، والخالص ، مع أن (البحت) بمعنى الخالص أيضاً ، والميم أخت الباء .

(١) المجز ١٥٢ (٢) الأبحاث لأنيس ١٨٤-١٨٦

(٣) فقه اللغة لرواق ١٨٥ وعلم اللغة له ٢٨٥

و (الخبت ، انمايت) للتسع من بطون الأرض ، وللتحقير أيضاً ، والخبث صريح في التحقير . و (التغب) ، بمعنى الوسخ والدرن ، أو القحط والجوع . وجاء (السغب) بمعنى الجوع . فلعل السغب تطور إلى التغب . ويشفع لهذا ما يروى عن بعض قبائل اليمن التي تغلب السين تاء مثل : النات . بدلا من الفاس . . وذكرت المعاجم : أن (نسب) من الأضداد : بمعنى ذكر نسبه ، وأنسبت الريح : اشتدت . وفي موضع آخر : أنشبت الريح : اشتدت . فالأولى أن نقول : إن التطور الصوتي قلب الشين سيناً - لكن الأمر اختلط على جامعي اللغة ^(١) .

و (التطور الصوتي) ، عامل مهم في تكوين المشترك ويستحق البحث على نطاق واسع : فقد ذكروا أن (السدة) تكون بمعنى الضوء . وأيضاً بمعنى الظلمة . ثم ذكر علماء الأضداد بعدئذ أن (الشفة) بالشين . تتحمل المعنيين أيضاً . هذا فضلاً عما جاء بكثرة في باب الإبدال .

وقد فطن الأقدمون لعامل التطور الصوتي - إذن - وذكروا أنه لم يكن وليد الصدفة . وذكروا أمثله . وليس بصحيح إذن ما ذكره بعض المحدثين من أنهم لم يفتنوا له . وإن كانوا لم يعنوا له .

إنكار المشترك اللفظي

بعض العلماء ينكرون وجود المشترك اللفظي في اللغة ، ومنهم : ابن درستمويه ، الذي ألف كتاباً في «إبطال الأضداد» ، وللأسف لم يُعثر على هذا الكتاب حتى الآن .

وكل فريق من النافين والمثبتين قد نظر إلى الكلمات ومعانيها من زاوية خاصة كما يرى بعضهم .

« فالذين تأولوا أمثلة المشترك اللفظي على أنها كلها من الحقيقة قد نظروا إليها نظرة تاريخية وتبعوها في عصورها المختلفة .

أما الآخرون فنظروهم وصفية واقعية ، إذ بحثوا في الكلمات ومعانيها في عصر خاص^(١) . كما ذكر الدكتور أنيس .

لكنني أجد أن تطبيق هذا المذهب الحديث على القدامى ، فيه ظلم لهم فما كانوا يعرفون كل هذه المصطلحات ، وكان تعلق العلماء بالشواهد والنصوص هو الأساس .

ولا تضر مخالفة المخالفين : فقد أنكر بعضهم أن يكون في اللغة مجاز أصلاً ، ونفى بعضهم أن يكون فيها حقيقة ، وقال فريق ثالث بأن المدلولات تتبدل وتغير : ففرس امرئ القيس غير فرسنا اليوم . وسبق أن ألمعنا إلى أن هذه وجهة أمتها الفلسفة الإغريقية القديمة من إحدى زواياها ، واللغة لا تتحمل - عند البدوى القديم - ذلك .

(١) في التهجئات - د أنيس ١٨١ - ١٨٢ .

وحجة القائلين بالمنع : بأنه إن وجد مع اللفظ الثاني البيان فهو تطويل ، وإلا فالتقصود .

ورد المحيزون : بأن القائدة لم تنف ، إذ أنه يفيد فائدة إجمالية ، كما في أسماء الأجناس ، وأيضاً لقائدة البيان بعد الإجمال ، كما في البلاغة والبيان .

وتمسك المانعون أيضاً بأن المجاز والحقيقة لعبا دورهما ، وأن المجاز في النقل باق حتى بعد النقل ، ونقول لهم : إنه مات في زحمة الاستعمال ، والنقل في اللغة كالنسخ في الشريعة كما أسلفنا في التمهيد للمشارك .

وحجة بعض المانعين أيضاً : أنه أتى من اختلاف التصاريف ومخالفة بنية الكلمة من اختلاف المصادر . . ونقول : لئن أتى ذلك في بضعة ألفاظ ، فلا ينفى كثرته في أمثلة أخرى كثيرة ، على أن التصاريف - كما سبق أن ذكرنا - لم تستقر غالباً - على قاعدة ، أو رأى واحد ، مما دعا بالكثير من الدارسين والمدرسين إلى الشكوى من صعوبة الضبط والربط إلا على أساس من الضوابط الغالبة ، لا القواعد الجامعة المانعة ، كما هو مفروض في القواعد .

ويرد « ابن درستويه » ، المشارك ، لأن مثل لفظ (وجد) لوجود شيء مطلقاً ، خيراً كان أو شراً ، ولأن مصادره قد اختلفت وتعلق بكلام ابن درستويه ببعض العلماء ، فحاولوا التفريق بين المصادر كالتمالي في فقهه ، مع احترامه وتمثيله للمشارك بأمثلة أخرى^(١) .

وما دامت الهنية قد اختلفت عندهم ، فليس ذلك من المشارك ، حتى ولو حكاها سيبويه في أول كتابه ، لأن ابن درستويه يرى أن لفظ (وجد)

قد جاء لمعان مختلفة . وإنما هذه المعاني - التي حكاها سيبويه في (وجد) كلها لشيء واحد ، وهي إصابة الشيء خيراً كان أو شراً^(١) .

(فظن من لم يتأمل المعاني ، ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظ واحد ، قد جاء لمعان مختلفة) .

فالمعاني كلها في لفظ (وجد) عنده ، إنما هي لشيء واحد ، وهو : إصابة الشيء خيراً كان أو شراً ، ولكن فرقوا بين المصادر ؛ لأن المفعولات كانت مختلفة . فعملوا الفرق في المصادر بأنها أيضاً مفعولة .

ويعضى ابن درستويه فيقول : (والمصادر كثيرة التصاريف جداً ، وأمثلتها كثيرة مختلفة ، وقياسها غامض ، وعليها خفية ، والمفكشون عنها قائلون ، والصبر عليها معدوم) . ويخلص ابن درستويه من ذلك إلى :
(توهم أهل اللغة أنها تأتي على غير قياس ؛ لأنهم لم يضبطوا قياسها ، ولم يتفقا على غورها)^(٢) .

* * *

• وللدرد على ابن درستويه نقول :

١ - يكفي أن سيبويه - وهو من هو في تأصيل وتعميد اللغة - اعترف بالاشتراك للفظ (وجد) في أول كتابه ، وكذلك أعلام العلماء .

٢ - وإجماله بأن المعاني كلها لشيء واحد ، هو إصابة الشيء شراً كان أو خيراً ، فهذا معنى فلسفي لا يتفق مع طبيعة اللغة ، وإيقال في التفسير الشديد للفظ (وجد) .

(١) الزهر السيوطي ٣٨١/١

(٢) الزهر السيوطي ٣٨١/١ ، الكتاب لسيبويه ١٥/٢

٣ - وما ذكره من اختلاف المصادر ، وبحي المعاني على حسب هذا الاختلاف ، ينقضه ما ذكرناه من قبيل في المصادر المختلفة المتداخلة ، مع ورودها مختلفة على المعنى الواحد .

٤ - وما قاله من أن المصادر كثيرة التصاريح جداً . وأمثلة كثيرة ومختلفة . وقياسها الغامض .. كل ذلك حجة عليه ، لاله .

٥ - وما حكاه من أن المفقشين عن علل المصادر الغامضة والخفية قليلون وصبرهم معدوم ينقضه ما نلخصناه - في لفظي - (الصلاة) و (وجد) فيما سبق من كلام صاحب (تاج العروس) . وإلا فإذا يفعل العلماء فوق ذلك للغة واحدة ؟ !

٦ - وجهذا لو أوقفنا ابن درستويه - رحمه الله - على غور التصاريح . وضبط قياسها وتعيمها على سنن لا تحيد عنها ؟ وتمنع الشكوى . وحسبنا الجهد الذي وصلنا . في أمهات الكتب . ومن أعيان العلماء . وفي ذلك كفاية ؛ لأن الظاهرة تشيع . ولعل المستقبل يكشف لنا عن عكس ما قررته الكثرة الوفيرة من مدققي العلماء وتظهر من الدلائل القوية ما يرجح معها كلام ابن درستويه . وحينئذ : نرجع - مغتبطين - إلى رأي ابن درستويه .

٧ - طبيعة اللغة . واستعمال المفردات في الأساليب الفصيحة . وما ورد من المعاني المتنوعة . والشواهد الصحيحة لا يؤيد ما ذكره ابن درستويه من قريب ، أو من بعيد .

٨ - وكلامه يزيد في الغموض ، والحيرة ، وازدياد خفاء القياس ، وإن نخرج بذلك من وادي الظنون ، وعالم الضياع .

٩- معنى قوله : (وجد) بمعنى أصاب الشيء مطلقاً ، أشبه بالعلل الفلسفية ، واستعمالات اللغة وطبيعتها البسيطة من العربى البسيط غير ذلك تماماً .

وطبيعة اللغة فى استعمالاتها المتنوعة ، ودلالاتها المختلفة للفظ الواحد توحى بالفرق الدقيق أحياناً . والشاسع أحياناً أخرى ، والفيصل فى ذلك ماروى من الأساليب النصيحة والصحيحة ، لأرباب اللغة ، وماحكاه الأعلام ورعته الأسماء من الكتب .

١٠- روت الكثرة من العلماء وجود المشترك فى لفظ (وجد) . وعارضت القلة فى ذلك وما نظن أن كثرة تمدها أدلتها - تجتمع على غير صواب .

١١- وإن نفرق بين إصابة الشيء فى (وجد) خيراً كان أو شراً ، بين مرغوب فيه ومرغوب عنه فقط ، ولما كن الأمثلة فى الناحية الواحدة تقباين تبانياً شديداً وطريقاً : فوجد قارون بكنوزه ، لا يمكن أن يقارن بوجد غيره وغناه . ووجد قيس بليلى ، لا يمكن أن يقارن بوجد غيرها المهش . ووجد المخلص بربه كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها من السماء ، وشتمان بين وجده وبين وجد من يعبد الله على حرف . ووجد الخنساء على صخر ، لا يعدله وجد نساء الدنيا على أعزائهن . .

ولعل فى هذا كفاية ، وبرهان على أن (وجد) من ألفاظ المشترك ، الذى تعز به لغتنا ، وتشاركها فيه كثرة من اللغات الحية : إذ نجد اللفظة الواحدة أكثر من معنى ، فلم ننسك هذا على لغتنا ، وفيها ما يثبت ذلك ، وللعربى حريقه فى لفته ؟ !

• والختلاصة :

أن المشترك على خلاف الأصل ، لكنه ورد بأساليب نصيحة لا سبيل إلى إنكارها ، وسواء ورد من واضع واحد أو من واضعين ، أو بسبب اختلاف لهجات القبائل ، أو النقل والمجاز من لغة واحدة أو لفتين ثم مات المجاز ، أو بسبب تطور صوتي ..

فقد حكم كثير من علماء اللغة بوقوعه في لفتنا ، وأطبقوا على ذلك ، ويقوى هذا الحكم شهادة النحاة ، واستعمال الأدباء ، وشرح العلماء ، ورواية أمهات الكتب .. فلا سبيل إلى إنكاره ..

ولئن أسرف بعض المجوزين له بلا ضابط ولا رابط - أحياناً - وبغير روية وإمعان .. فقد أسرف المانعون في القول بمنعه وعدم وقوعه في لفتنا . والحل إذن هو التوسط : فلا مقالة ولا إنكار ، حتى لا يفضب شيخنا عبد الله العلايلي ، ويخطيء مناهجنا ، ويفزع من اتساع باب الاشتراك ، مع اعترافه به ، حتى يكاد أن يرى أن التعريب - إذا بولغ في ذكر المشترك - خير من المشترك في رأيه ونحن معه :

يقول : يعد من النهج الخاطيء : « ألا يتأق لِرْ لفتنا العربية بإزاء قريب من اللغات الحية ، إلا بتوسيع باب الاشتراك على صورة مرعبة مخوفة .. ونحن وإن كنا لا ننكر كون الاشتراك قانوناً لغوياً عاماً تخضع له اللغات كافة ، ولكن على هذه الصورة فلا قطعاً . هذه الصورة التي يكون التعريب أقوم منها سبيلاً ، حين يعقاص على أحدنا التعبير عن تمام أفكاره

إلا بضعف موضوعه قرائن ، لتكشف عن المعنى المراد في مشترك الألفاظ ،
هذا أن العمل اللغوي يظل بطاء جداً ومختلفاً حقاً فلا يخرج للقرن العشرين
إلا مولدات القرن الثامن عشر^(١) .
فالاعتدال هو الحل الوسط ، وقد رضى ذلك كثير من العلماء المحدثين ،
لأن الظاهرة شائعة في لغتنا .

☆ ☆ ☆

النقل والمجاز لا ينفيان المشترك

الأصل في اللفظ أن يستقر على حاله الأول ، مالم يدع داع إلى أن يترك ويقحول ، كما يقول ابن جني^(١) : والعرب - كثيراً - ما نقلت الأسماء إلى باب الصفات والعكس ، كما ذكر المرزوقي ، وذكر العلماء أن النقل في اللغة يعتبر كالنسخ في الشريعة ، وأنه وضع آخر ، ومثلوا له بلفظ : (النسخ) : فالنسخ - كما تذكر القواميس - أصله لمشتار العسل ، فنقل للنسخ الشمس للظل ، ثم نقل للمعنى الشرعى بعدئذ .

وقد نسى خطوات النقل ، وقد تحفظ . وقد يهمل للمعنى الأصلي أو يبقى أو يذسى . .

وهاله مثلاً : (الطف) ، أصله في المعاجم اسم الجبل بفصل العراق عن شبه الجزيرة العربية ثم تدرج استعماله بالاشتقاق الواسع ، فشمّل كل فاصل وحدّ حسي ، كشاطيء البحر ، وحافة الجبل ، والنهاية من كل شيء .

وكان طبيعياً أن يدل (الطف) بمادته على النهاية أو قرنها ، ثم تطور فأصبح يدل على ما يزيد على النهاية . كما توحى بذلك أصوات اللفظ عندما نحللها تحليلاً صوتياً ، ثم تطور فأصبح يدل على ما فوق النهاية وما تحتها .

ونعتقد أن نزول القرآن الكريم كان الطور الأخير للدلالة ، ومعنى ذلك : أن لفظ (طف) صار يدل على الزيادة والنقصان معاً ، أو على الشيء وضده . وقد استعمله القرآن الكريم بذلك المعنى : ﴿ وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ ﴾

يخسرون»^(١). فيفهم من مدلول عصر الإسلام أن الطف للذين يزيدون وينقصون عندما تكون لهم مصلحة في الحاليتين. والحكمة سامية في المعنيين المتقايين هي : الإيجاز والاقتصاد ، والحكم بأقصر لفظ على تلك الطائفة بأخصر عبارة لفظية ممكنة»^(٢).

ومع بيان القرآن بعد ذلك للزيادة والنقصان المفهومين عن اللفظ ، فإن المفسرين فسروه بالزيادة فقط ، وبذلك ضاع المعنى البلاغي واستمر معنى الزيادة سائداً حتى الأموي والعباسي والحاضر والدارج . فلو كان لهم للمسام - تام - بتاريخ اللغة أو أنهم التفتوا إلى تطور المدلولات اللفظية لما وقعوا فيما وقعوا فيه .

وعلى كل يمكننا أن نقول إن تتبع الخطوات أظهر لنا مراحل النقل في لفظه (طف) ، وباستعمال القرآن الكريم لها أصبحت من المشترك اللفظي .

وهناك نقل من العام إلى الخاص أو العكس ، كما في لفظ (الحج) ، والإيمان على أن الأصل يلمح وبذكر دائماً عند تعريفهما بأنه مطلق القصد أو التصديق .

وهناك إبطال الاستعمال بسبب الكراهة ، أو الشرع ، كقول الرسول ﷺ « لا يقولن أحدكم للعنب السكرم ، إنما السكرم الرجل المسلم »^(٣) . وسبب النهي : أن العرب سمت العنب كرمًا : ذهاباً إلى أن الخمر تورث شاربها كرمًا ، فلما حرم الحرام نهامهم عن ذلك تحقيراً للخمر ، وتأكيداً

(١) سورة الطائفين : ١ - ٣ (٢) دراسات في اللغة والتحول الحسن عون ص ١٧ - ٤٣

(٣) مختصر صحيح مسلم ١٣٢/٢

لحرمتها ، وبين أن قلب المؤمن هو الكرم - مشتق من الكرم - وذكر ابن بروهان اختلاف العلماء في نقل الأسماء : كلها أو بعضها ، وهل نقلت اللغة إلى الشرع ؟ وكل الأسماء أو بعضها ؟ كالصوم والزكاة والحج والصلاة عند المعتزلة : فهي منقولة - وأن القاضي أبا بكر يرى : أن الأسماء باقية على وضعها اللغوي غير منقولة^(١) ، وهذا ليس بالرأى .

على أن النقل عند جماعة لم يخرج عن أحد قسمي اللغة وهو المجاز . والمراد بالمجاز : المجاز بمعنى الواسع لا البلاغي الضيق ، كما ذكر أبو عبيدة في كتابه : « مجاز القرآن » .

والنقل عند جماعة أخرى وضع جديد : فقد نصت الأسماء من كتب اللغة بأن « اللغة لم تعرف المحرم والفاسق والمنافق والتفت ، وفي الجملة : أن المحرم لم يكن معروفاً ، وكان يقال له ولصقر : الصفرين ، وسماه النبي ﷺ المحرم بقوله : « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم » ، وكذلك (صير الهاب) بمعنى شقة . و (الزمارة) بمعنى الزانية^(٢) . وقال أبو عبيد : لم أسمع هذا الحرف (الزمارة) إلا في الحديث ، ولا أدري من أى شيء أخذ . ونطق النبي بها : إما وضع جديد ، أو لغة لم تصل غيره ، أو نقل غاب عنا مصدره .

والمذاهب في التضمن هي أن المجاز للمستعمل قد استعمل في الوجه الحقيقي مع قطع الصلة بينها وبين الأصل ، أو أنها استخدمت في الوجه المجازي مع القرينة الدالة ، أو أنها استعملت في الحقيقة والمجاز في آن واحد .

ونلاحظ : أن الأصوليين قد اختلفوا في لفظ (الصلاة) بين الحقيقة

والحجاز : هل هو حقيقة شرعية في أنفائها .. مجاز لقوى في الدعاء ؟ أو أن استعمال اللفظ في المنقول إليه مجاز راجح ، وفي المنقول حقيقة مرجوحة فيه ؟ خلاف . وسرى مزيداً من بحثه في الاشتقاق وأن الخلاف فيه لا يرد المشترك . بل إن ماعد من الحقيقة أحياناً ، قيل : لأنه من الحجاز ، كما في لفظ (العين) : ولتقف مع لفظ (العين) قليلاً لترى حقيقة الحقيقة والحجاز فيه ، إذ أن لفظ العين ، من الألفاظ المحظوظة في بحث المشترك ، التي حفلت واحتفلت بها قواميس اللغة العربية ، وكثر تداولها واستعمالاتها في بطون الأمهات من السكتب الأدبية وغيرها :

فابن فارس وبعض علماء اللغة معه يرون : أن الباصرة هي الأصل ، الذي يدل على عضو به البصر ، ثم يشتق منه سائر استعمالاتها ، كما في المقاييس : أى أن بقية الاستعمالات من الحجاز لا الحقيقة .

والطريف أن صاحب تاج العروس يروى عن السهيلي في « روضه » : أنه يرى أن هذه — العين الباصرة — هي الحجاز لحلول الإبصار فيها ، ثم يدعوننا إلى التأمل ، وقولعه حقاً جديرة بالتأمل !

ولم تذكر القواميس التي عنيت بالحجاز والحقيقة والإشارة إليهما — كالأساس ، وتاج العروس — إلا حوالى خمسة معان ، استعملت العين فيها مجازاً ، كطلوع النبت ، والنور ، وبعض المضافات كصديق عين ، وعبد عين ، وأعيان الناس ، والإخوة لأب ، وعد العين .

وإذا كان الأمر كذلك ، فقد بقيت معان كثيرة وكثيرة جداً — شهدت بها الأساليب الفصيحة — استعملت على سبيل الحقيقة لا المجاز .

على أن هذه المعاني العديدة وردت بمجلة في بطون القواميس العربية ،

ومفصلة ، ولها شواهد ، وأحياناً غفلاً من الشواهد - لشهرتها ، أو لأن راويها ثقة ، أو اعتماداً على أن القارىء عالم . . . استناداً إلى اشتقاق أو تصريح ، أو ما سمع من استعمال في غير ما يعد شاهداً مأثوراً عن أقبح العرب^(١) .

وعندما وضع الزنجشري أساسه على أساس الحقيقة والحجاز ، لم تسكن ضوابطه مضبوطة ولا كاملة ، بدليل أن ابن حجر (٥٨٥٢) استدرك عليه كثيراً في « الغراس »^(٢) : فقد عد الزنجشري : (أتب) وتأنب الغلام بالسلاح والقوس مجاز ، وهذا ابن حجر من الحقيقة . وذكر الزنجشري أن (أتى) حقيقة ، وهذا ابن حجر من المجاز . واستشهد بقول الشاعر :
تأتى له أمره حتى انجبر وأدى إناوة أرضه : أى خراجها^(٣) .
ومعنى هذا أن المجاز حتى القرن السادس لم يكن مستقراً ، حتى يحكم به على نقي المشترك اللفظي . وهذا مثل آخر - يسوقه ابن سيده - على صحة ما نراه : (الشعاع) : ضوء الشمس ، أو ما تراه ممتداً كالرماح بعيد الطلوع وقيل : الشعاع انتشار ضوئها : قال قيس بن الخطيم :
طَعْنَتْ ابْنَ عَمِيدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً ثَائِرٍ لَهَا نَفْذُ لَوْلَا الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا
وقال أبو يوسف (ابن السكيت) : أنشدني ابن معن عن الأصمعي :
« لولا الشعاع » بضم الشين ، وقال : هو ضوء الدم وحمرة . فلا أدري أهله وضعا أم على التشبيه^(٤) .

(١) راجع « الدين » للخليل ، والمحكم ١٧٩ - ١٨٤ ، والمفاتيح ١٩٩/٤ - ٢٠٤ والمزهر ٣٧٢ - ٣٧٥ ، والمصاحح (عين) . وشرح ديوان ابن أبي حصينة العمري ١١٥ ، والمختص ٣٣/١٠ في (الميون والإضافة إليها) .
(٢) عندي نسخة مصورة منه .
(٣) مقدمة أساس البلاغة : للشيخ أمين الخولي (٤) المحكم والمحيط الأعظم ٢٦/١

ووجدنا أن معنى المجاز عند أبي عبيد : الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته . وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة مجاز فيما بعد^(١) . (وانظر في ذلك فتح الباري ٢٥/٨ ، وارشاد السالك ٣٩/٧) فقد كان أبو عبيدة يستعمل : مجازه كذا ، وتفسيره كذا ، ومعناه كذا ، وغريبه ، وتأويله .. على أن معانيها واحدة أو تسكاد .
فقد كانت تسمية أبي عبيدة كتابه « المجاز » ضرباً من تسمية السكل باسم الجزء^(٢) .

وقد ورد نص في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (المعاصر لأبي عبيدة) يسعف في تقدير معنى المجاز الذي قصد إليه أبو عبيدة ، إذ يقول :
(وللعرب المجازات في الكلام ، ومعناها طرق القول وماأخذها ، ففيها : الاستعارة والتثيل ، والقلب ، والتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والتسكير ، والإخفاء ، والإظهار ، والواحد ، والجميع ، وخطاب الاثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، وبلغظ العموم لمعنى الخصوص وبكل هذه المذاهب نزل القرآن^(٣) .

ويتوى ما ذكره ما جاء عن أبي عبيدة : ومن مجاز ما جاءت له معان غير واحد ، مختلفة فتأويلاته الأئمة بلغناها فجاءت معانيه على وجهين أو أكثر من ذلك ، قال : ﴿ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾^(٤) وفسروه على ثلاثة أوجه ، قال بعضهم : على قصد . وقال بعضهم : منع ، وقال آخرون : على غضب وحقد^(٥) .
وبقول في موضع آخر : الحصور له غير موضع ، والأصل واحد ، وهو

(١) مجاز القرآن لأبي عبيد ١/١٩٠

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية م ١٢ ج ١ مايو سنة ١٩٦٧ م ص ١٦١

(٣) المصدر السابق ١٦٤ ، ١٦٥ (٤) القلم : ٢٥ (٥) مجاز القرآن لأبي عبيد ١/١٣

الذى لا يأتى النساء . والذى لا يولد له . والذى يكون مع الغداحى فلا يخرج شيئاً ، قال الأختل :

وَشَارِبِ مُرْيَحٍ لِلْكَأْسِ نَادِمَنِ لَا بِالْحُصُورِ وَلَا فِيهَا بِسَوَارِ

أى الذى لا يساور جليسه كما يساور الأسد . والحضور أيضاً الذى

لا يخرج سراً أبداً . قال جرير :

وَلَقَدْ تَسَقَّطَنِي الْوُشَاءُ فَصَادَفُوا حَصِيراً بِسِرِّكَ يَا أُمِّمُ ضَيْنَاً^(١)

وإذن فاستقرار المجاز بالمعنى المستقر فى أذهان النافين للمشارك اللفظى

- بناء على دعوى المجاز - لم يكن موجوداً حتى وقت قريب . فعلى أى

أساس نفى النافون وجوده ، بعد أن أقره العلماء وألقوا فى أصرح قسميه وهو

الأضداد ؟ الحق أنه لاحق معهم .

والخلاصة : أن مدلول الكلمة يتغير تبعاً للحالات التى يكثر فيها

استخدامها . كالصلاة والحج . . وأن كثرة استخدام انفراد فى معان عامة

عن طريق التوسع تزيد مع تقادم العهد خصوص معناه . وتكسبه العموم :

فقد كان الورد أصلاً لإتيان الماء . ثم صار لإتيان أى شئ .

وقيل : « إن كثرة استخدام الكلمة فى معنى مجازى تؤدى غالباً إلى

انقراض معناها الحقيقى . وحلول هذا المعنى المجازى محله . مثلاً فى العربية :

المجد ، والأمن ، والوغى ، والفقران ، والعقيقة :

فالمجد أصلاً : امقلاء بطن الدابة من العلف والماء . ثم كثر استعماله

مجازاً فى الامقلاء بالكرم حتى انقرض معناه الأصل وأصبح حقيقة فى هذا

المعنى المجازى .

والأنف : قلة لبن الناقة . فانتقل إلى قلة العقل .
والوغي : اختلاط الأصوات في الحرب . نقل إلى الحرب نفسها .
والغفر : من الستر إلى الصفح عن الذنوب .
والعميقة : من الشعر الذي يخرج على رأس الولد من بطن أمه إلى ما يذبح
عنه هند خلق هذا الشعر .
وكثرة استعمال الكلمة في العبارات المنفية ينزع عنها معيها الأصل .
وبكسبها معنى العموم والإطلاق . فتصبح أشبه شيء بأداة من أدوات النفي :
كأحد ودبار وقط وأبدا . . .
واستخدام الكلمة في فن ما بمعنى خاص يجردها في هذا الفن من معناها
الغوي . ويقصرها على مدلولها الاصطلاحي (١) .
وعلى ذلك فلا سند لمنكري المشترك اللفظي - إذن - من هذا الجانب .

* * *

اختلاف الأبنية لا ينفى المشترك

علماء العربية رسموا لأنفسهم صورة للغة لا يحميدون عنها ، ولحنوا غيرها ، ولم يقيموا بالاستعمال وتطوره ، وفي هذا تضيق واعفات . وجاء من بعدهم فزادوا هذا القيد إحكاماً ، وسموا ذلك بالقواعد ، وليست بالقواعد في الحقيقة ، وإنما هي - لو أنصفوا - ضوابط لما كثر وشاع .. على أنهم لوراعوا الاستعمال العربي في أساليبه القصيدة .. لانسع عليهم الأمر ، ولأصبحت ضوابطهم مرنة مطواعاً .

وجاءت المصادر مختلفة أحياناً ، والجموع ليست متماثلة غالباً ، والأبنية متشعبة ومتداخلة وكثيرة وخاصة في الثلاثي . وكان هذا الاختلاف حجة لبعضهم في إنكار المشترك اللفظي ، ولا حق لهم في ذلك :

لأن المصادر لم تثبت ، والجموع سمع فيها الكثير ، واضطربت أقيسة الأبنية ، وما سمع فيه مصدر ، وجدنا له بناء آخر في استعمال آخر ، حتى يكاد المدارس للعربية يجزم بأن أكثر من وجه يوجد في كل لفظة وبناء ومصدر ، وسنرى ذلك في لفظ « وجد » الذي هو عمدة في ألفاظ المشترك ، وإن رده ابن درستويه كما سيجيء . فلا حجة لمنسكري المشترك اللفظي - إذن - بسبب المصادر وتنوعها والأبنية ، وجواز أكثر من وجه فيها ، بل العكس : يرى أن ذلك مبرر لوجود المشترك وحجة على أنه واقع في اللغة . وقلنا غالباً ، لأن الأمر ليس على إطلاقه فالضوابط للوضوعة لها قيمها ، ولكن ما حكى في مصادر « وجد » مثلاً هو مثار اختلاف بين المبتعين والنافين . فأردنا أن نبين لهم أن الأمر ليس كما قالوا ، أو دليلهم تطرق إليه الاحتمال . ولما فأن الأقدمين تنبهوا إلى (اتفاق المصائر ، على اختلاف المصادر) مثل مختار من

من اخفاروا واختير . فهما مختلفان تقديرًا^(١) .

لكن ابن درستويه يشتط في رأيه فلا يرى أن فعل وأفعل بمعنى ومن الحال أن يميئنا معنى واحد ، وإنما ذلك لغات ، ويكون نقل عن العرب الاستعمال للفظين ، وحتى مع الاستعمال لا يرضى ابن درستويه أن يكونا بمعنى واحد ، وإلا أدى الأمر إلى التعمية ، وواضع اللغة عنده - جل جلاله - حكيم عليم .. ومن تأول على العرب بشيء من ذلك فقد أخطأ التأويل : يقول ابن درستويه في (شرح الفصيح) :

لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد ، إلا أن يحىء ذلك في لغتين مختلفتين ، فأما من لغة واحدة فحال أن يختلف اللفظان وللمعنى واحد ، كما يظن كثير من اللغويين والنحويين . وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها ، وما في نفوسها من معانيها المختلفة ، وعلى ما جرت به عافتها وتعارفها ، ولم يعرف السامعون لذلك العلاقة فيه والفرق ، فظنوا أنهما بمعنى واحد ، وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم .

فإن كانوا قد صدقوا في رواية ذلك عن العرب فقد أخطأوا عليهم في تأويلهم ما لا يجوز في الحكمة . وليس يحىء شيئاً من هذا الباب إلا على لغتين متباينتين كما بينا ، أو يكون على معنيين مختلفين ، أو تشبيه شيء بشيء على ما شرحناه في كتابنا الذي ألفناه في افتراق معنى « فعل وأفعل »^(٢) .

وقد بالغ ابن درستويه في رأيه ، لأن الاستعمال الفصيح أتى بالاستعمالين أحياناً ، بل وأتى بهما شاعر واحد ، وإن كان قد راعى لفته غيره ، فهي عربية فصيحة قبل كل شيء ، وقد رووا بالسند عن ثعلب ، قال : أجمعوا على أن أكثر الناس كلهم رواية ، وأوسعهم علماً الكسائي ، وكان يقول :

(١) الزهر ٣٨٤/١

(٢) المحاسن ١٠٢/٢

« فلما سمعت في شيء » فعلت « إلا وقد سمعت فيه » أفعلت . قال أبو الطيب : وهذا الإجماع الذي ذكره ثعلب لإجماع لا يدخل فيه أهل البصرة ^(١) . أقول ويكفيها إجماع غيرهم . وهذه حجة في الرد على ابن درستويه . فقد جاء (أشر وأخير) ، مع أن الأكثر في الاستعمال (خير وشر) : قال الشاعر :

فَتَبْتَ عَشْنَ حَرْبًا عَلَيَّكَ عَظِيمَةً وَمَا أَخِيرَ عَبْدَ الْقَيْسِ فِيهَا وَجُنْدُهَا ^(٢)
وقال الآخر :

أَلَسْتُ أَشَرَّ النَّاسِ حِينَ تَقِيَّتِي بِجِلْدِ حُورٍ حَارٍ لَمْ يُمَرَّنْ ^(٣)
وقال أوس بن علقم الهجيمي :

وَمُمْ أَدُّوا إِلَيْكَ بَنِي عَدَاءِ بِأَفْوَى نَاصِلٍ وَبِشَرٍّ ذَامٍ ^(٤)
وجاء في اللغة : نلته وأنلته ، ويقال : نلته أنوله ، وأنلته أنيله ، وذكر

ابن الأنباري شواهد فصيحة لكل ذلك . وذكر قول جرير :
أَعْذَرْتُ فِي طَلَبِ النَّوَالِ إِلَيْكُمْ لَوْ كَانَ مِنْ مَلَكِ النَّوَالِ يُنِيلُ ^(٥)
وقال ابن أبي حصينة :

خَيْرُ الْمَوَاطِنِ حَيْثُ هَذَا الْأَرْوَعُ وَأَجَلُ قَوْلٍ مَا أَقُولُ وَيُسْمَعُ ^(٦)
قال المعري : الأروع الذي يروعك بجماله ، ولا يقال : امرأة (روعاء)
ويقال : ناقة روعاء ، ومهرة روعاء : ولا يقال : رجل أروع ولا مهر أروع ،
قال مالك بن صريم الحمداني (جاهلي) .

* ترى المهرة الروعاء تنفض رأسها * ^(٧)

(٢) شرح المفصليات لابن الأنباري ٧٦٠

(٤) السابق ٧٥٩

(٦) ديوان ابن أبي حصينة بفتح المعري ٣١

(١) مراتب النحويين لأبي الطيب ٧٤

(٣) السابق ٧٦٠

(٥) السابق ٧٧٩

(٦) السابق ٤١٤٤٠

وورد في الأساس : رجل أروع وامرأة روعاء ، وناقاة روعاء . وفي الصحاح : امرأة روعاء بينة الروع !! فلا حجة لمنع لهذا أو لذلك ، ما دام قد سمع كل ذلك في الأساليب الفصيحة .

وجمع الشاعر بين لغتين ، كقول ليبيد :

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى نُمَيْرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالٍ^(١)
وذكر أبو الطيب اللغوي خلاف علماء اللغة حول غمد وأغمد ، ثم قال :
« وأما أبو زيد وأبو عبيدة وغيرهما من العلماء ، فإنهم قالوا : غمدت السيف وأغمدته لغتان فصيحتان »^(٢) .

وخلاف علماء اللغة في برق ورعد ، وأبرق وأرعد .. معروف مشهور : فقد حدث أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم ، قال : قلت للأصمعي : أتقول في التهدد : أبرق وأرعد ؟ فقال : لا . . إلا أن أرى البرق أو أسمع الرعد .

فقلت : فقد قال السكيت :

أَبْرَقَ وَأَرَعِدَ يَأْبِرُزِدُ فَمَا وَعِيدُكَ لِي بِضَائِرٍ
فقال : السكيت جرمقاني - أصلهم من العجم - من أهل الموصل ليس بحجة ، والحجة الذي يقول :

إِذَا جَاوَزْتَ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ ثَلَاثَةَ قُلُوبِ لَأَبِي قَابُوسَ مَا شِئْتَ فَارْعَدِ
وأنت أبا زيد ، فقال (في التهدد) : رعد وبرق وأرعد وأبرق ، فأجاز اللغتين . وأهل أعرابي محرم ، فسأله أبو زيد : . . فقال الأعرابي رعدت وأبرقت للسماء ، فقال في الجعيف ، يعني التهدد - رعد وبرق ،

وأرعد وأبرق (للرجل) ^(١).

وقد رأينا أبا زيد يميزهما م، وظهر أنهما جائزتان. وقال أبو ذؤيب:
أَجَزْتُ إِذَا كَانَ السَّرَابُ كَأَنَّهُ عَلَى مُخَزِّنَاتِ الْأَكَامِ نَضِيجِ
أَجَزْتُ : جَزْتُ ونَفَذْتُ هذا الطريق ، مخزِّنات : ما شَخَصَ واجْتَمَعَ .
ونَضِيجُ : الحَوْضُ ، يقال : أَجَازَ وَجَازَ لَفْظَانِ ، وقال العجاج : أَجَازَ مِنَّا
جَائِزٌ لَمْ يَوْقِ ^(٢) . . فجمع بين اللفتين في بيت .

وقال خالد بن زهير : ابن عم أبي ذؤيب : (في رواية الأصمعي) :
يَا قَوْمُ مَا بَالُ أَبِي ذُؤَيْبٍ يَمْسُ رَأْيِي وَيَشْمُ قَوْلِي
كَأَنِّي أَتَوْتُهُ أَتَوْتُهُ بَرَيْبٍ
يقال : أَتَيْتُهُ وَأَتَوْتُهُ جَمِيعًا ^(٣) .

وفلنا : إن الذي يجب أن نعتمد عليه إذا خفي علينا شيء أن نرجع إلى
الاستعمال ، أما الاختلاف في المصادر أو الاشتقاق فليس بضائر ، وليس
بحكم أو مانع من إجازة أحكام أخرى .

على أن الاشتقاق كان يخفى أحياناً ، فيحاول اللغويين تحريجه باجتهاد
منهم ، والعربي الأصيل لا يعرف شيئاً من هذه المصطلحات :

فأعرابي لا يهمز إسرائيل : لأنه ليس رجل سوء !!
وذكر ابن جني حيرة أستاذة الفارسي في « مدوي » ، في قول يزيد

ابن الحكم بن أبي العاصي النخعي :
يَدَا حِفْكَ غَشٍ طَالَمَا قَدْ كَتَمْتَهُ . كَمَا كَتَمْتَهُ دَاءُ ابْنِهَا أَلَمْ حُدُوِّي ^(٤)

(١) أمال القاتل ٩٦/١ و ٩٧/٢ والمصانف ٢٩٣/٣ ، ٢٩٤ ، وفقه اللغة للسمراي ١٧١

(٢) شرح أشعار الغزاليين ١٥٤/١ (٣) السابق ٧/١-٢

(٤) اللصق لأبي جني شرح قصيدته المأثور ٧٦

فدوى مفتعل من الدوّ ، والأصل مدتو ، فأجاز أبو علي في مدتو ثلاثة أوجه :

١ - أن يكون من قول المرأة التي قال لها ابنها : أودوى ؟ أى آكل الدّواية ؟ (وهو ما خسر من الدسم على اللبن) ، فقالت مجيبة . (لأن هذا أمر خسيس أمام أم الجارية الخطوبة له) : اللجام معلق بعمود البيت ، والسرّح بجانبه ، موهمة أم الجارية أنه يريد : أودوى : أخرج إلى الدوّ ؟ وهو القلاة ليروض فرسه .

٢ - أو يكون من أدوات يا فلان ، مما حكاه أبو زيد من قولهم : داء الرجل يداء من الداء ، فهى مفتعلا منه للحاجة إلى التافية ، فقلب المهمة ياء للضرورة .

٣ - وأجاز فيه أيضاً ، مما حكاه أبو زيد من قولهم : « رجل دوى ورجلان دويان ، ورجال أدواء ، وهو بمعنى السقيم . قال أبو علي : ويكون بناؤه مفتعلا منه ..

وابن جني يرى ألف « مها » واواً لأنه في الأصل من البلور ، ثم شبه النجوم بها ، وبقر الوحش لبياضها . وقد قالوا : موه على ، وكسروا أمواه .

وحكى أبو زيد : ما هت تميمه ميمًا ، وظاهر هذا : أنه من الياء لا من الواو^(١) . وهذا يفسر لنا حيرة اللغويين ، إزاء بعض ما قاله صاحب اللغة وصانها ، وكيف ننكر عليه أنه أتى بالمشارك واستعمله ؟ !

ونقف قليلاً مع لفظي : « صلى » و « وجد » ، لنجد إلى أى مدى اختلف العلماء في اشتقاقهما وتصريفهما .. وسنخرج بنتيجة أكيدة وهى

أن ماسى بالقواعد ما هى إلا ضوابط غالبية لما شاع أو كثر . . وأن اختلاف التصاريح لا يخرج بعض الألفاظ المشتركة عن أن تكون من قبيل المشترك اللفظى .

وبهذا أيضاً نرد على ابن درستويه فى أن تفرقه بين فعل وأفعل فى كتابه : « فعلت وأفعلت » لم يكن من باب التعميد الدقيق كشأن التواعد ، وإعما بنى على الغالب .

✱ ✱ ✱

• وقفة مع لفظة « صل ، وصلاة » :

اختلف العلماء فى الأصل الذى اشتقت منه لفظة صلى والصلاة . واختلفوا فى تعريفها ، كما اختلفوا فى معناها بعد اختلافهم فى مبنائها :

فقيل : إنها أخذت من « الصلاة » ، وهو ما انحدر من الوركين ، أو هو وسط الظهر ، أو الفرجة بين الجاعرة والذنب ، أو ما بين يمين الذنب وشماله من كل ذى أربع ، أو موصل الفخذين من الإنسان .

وأبو على الفارسى يرى أن الصلاة من الصلّون ، وهما مكتنفا ذنب الفرس وغيره ، وعمل اشتقاقه منه ؛ بأن تحريك الصلّون هما أول ما يظهر من أفعال المصلّى فى الصلاة ، وأما الاستفتاح والقراءة وغيرها : فأمر لا يظهر ، وما ظهر منه لا يختص بالصلاة ، ولكن الركوع أو ما يظهر من أفعال المصلّى ، هكذا نقله عنه ابن جنى فى « المحتسب » .

وصلّى الفرس تصلية : تلى السابق ، وفى الصحاح : إذا جاء مصلياً ؛ لأن رأسه عند صلا السابق . وفى الصحاح أيضاً : صلت الفرس وأصلت : استرخى صلوها لقرب نقاجها . ومن هذا : صلى الحمار أنثته تصلية : إذا طردها وقحها عن الطريق .

وقيل : بل الصلاة وصلى ، من الزوم : صلى واصطلى : إذا لزم . وهى
من أعظم القرض الذى أمر بلزومه ، واختاره الزجاج .
ويقول ابن فارس : إنها من صليت العود بالنار ، إذا لينته ؛ لأن
المصلى يلهن بالخشوع .

وذكر الراغب فى مفرداته : أنها من الصلى الذى هو الإحراق بالنار ،
ومعنى صلى الرجل : أزال عن نفسه - بهذه العبادة - الصلى ، الذى هو نار
الله الموقدة ، وبناء صلى إذا كبتاء مرض وقرد ؛ لإزالة المرض والقراد .
والجوهري يرى أن الدعاء أصل معانيها .

وابن الأثير فى « النهاية » يرى أنها من التعظيم ؛ لما فيها من تعظيم
الرب عز وجل .

وابن الأعرابي يراها من الله رحمة ، ومن الملائكة استغفار ودعاء .
والأصوليون والفتهاء أجعلوا ، وأضافوا المحترزات والقيود ، حتى يكون
تعريفهم للصلاة جامعاً مانعاً : إذ عرفوها بأنها عبادة مخصوصة فيها ركوع
وسجود... إلخ .

وقيل : الصلاة لغة : مشتركة بين الدعاء والتعظيم والرحمة والبركة ؛
فلا يكون قوله : ﴿ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ^(١) .. مشتركا بين معنيين ، بل هو مفرد
فى معنى واحد ، وهو لغة من إطلاق اسم الجزء على السكل ، وكذا الصلاة
مجازاً .

وقيل : بل هى حقيقة شرعية لا دلالة لكلام العرب عليها من حيث
اشتغالها على الدعاء الذى هو أصل معناها .

والراغب يقول : لم تنفك شريعة عنها ، وإن اختلفت صورها بحسب
شرع فشرع .

ويزرى الشهاب أن الصلاة الشرعية حقيقة معروفة للعرب .
والسيوطى فى المزهري يقول : هى من الكلمات الإسلامية .
هذا بعض ما ذكر لا كل ولا جل ما ذكر . ومن الطريف أن فى كل
ما ذكر وبعضه نظر لبعض العلماء واعتراضات ، لا وجه لذكرها هنا .
وذكر الفخر الرازى الخلاف فى وجه تسميتها على أقوال ، واختار أن
الأقرب أنها مأخوذة من الدعاء ، إذ لا صلاة إلا وفيها دعاء أو ما يجرى
بجراه .

وبعضهم يرى أنها سميت ببعض أجزائها . ويبرز سؤال :
وهل سبيل ذلك النقل ، حتى تكون الصلاة حقيقة شرعية فى هذه
الأفعال ، مجازاً لغوياً فى الدعاء ؟ لأن النقل فى اللغات كالنسخ فى الأحكام ؟
أو يقال : استعمال اللفظ فى المنقول إليه مجاز راجح ، وفى المنقول حقيقة
مرجوحة فيه . خلاف بين أهل الأصول .
ونقل المناوى عن الرازى : أنها عند المعتزلة من الأسماء الشرعية ،
وعند غيرهم من المجازات المشهورة لغة ، من إطلاق لاسم الجزء على الكل ،
لاشتمالها عليه - الدعاء - فأطلق الدعاء عليها مجازاً . وإن أراد المعتزلة هذا
المعنى فقولهم حق ، وإن أرادوا أن الشرع ارتجىها فذلك ينافيه قوله تعالى :
﴿ إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (١) .

والصلاة : واحد الصلوات المفروضة ، وهو اسم وضع موضع المصدر .
وصلى صلاة ، ويمحوز تصلية ، وإن أنكره بعضهم ، بل كفر من يراه ،
ولا حق له ، لأن القياس يميزه ؟ كزكى تزكية ، وروى تروية ، ويؤيده :
السماع من فصيح الشعر القديم كما سياتى .

والصلاة وواية لقولهم : صلوا ، وصلوات . وقيل : هي يائية على رأى ابن فارس والزجاج ، والراغب ^(١) .
وقال بعض المفسرين : (الكنيسة بالعبرانية) يقال لها : « صلوات » ،
فعربتها العرب فقالت : صلاة ^(٢) .

* * *

• وقفة مع لفظ « وجد » :

ترنم الشعراء بالوجد والهيام ، وزفر المحزونون بالوجد والأسى ، وهامت
الصوفية فى الوجد والوجود ، وغرق طلاب الدنيا فى الجدة والوجدان ، وندم
الواجدون بعد الغضب والانتقام ، ونعم المنشدون بوجد المفقود والضال ،
ووحد العلماء الله تعالى أكبر كل شىء ، وعنيد قدم هملا حتى إذا جاءه لم
يُجده شيئا ، وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ ^(٣) ...

وشقى اللغويون والنحاة بوجد ، ويحد ، والوجد والوجود ، وما يشق
منه ، وجدنا من معاركهم العجب والحكاية :

فقد حفلت أمهات الكتب القديمة اللغوية ، كالمعجم ومختصره ،
والصحيح وغيره ... وكتب من جاءوا بعدهم كالتهذيب والقاموس ،
والأساس واللسان ...

وكتب المتأخرين كتاج العروس وما دناه ... حفلت بالبحث
والتنقيب عن الأنصح والفصيح واللغة واللفيات ، والحسن وغيره من الوجوه
فى معنى وتصريف « وجد ».

(١) راجع فى هذا المقام : (صلى) فى صحاح الجوهري ، والقاموس ، وتاج العروس
والفردات للراغب ، والأساس للزحناوى ٢٥٨ ، وتفسير الرازى ط ٤٤/٣ ، والمزهر للسيوطى
٣٨١/١ ، وشرح الحامسة للرزوق ١٠٣/١ ، والنهاية لابن الأثير ٥٠/٣ (صلا) .

(٢) أسناد أنبارى ٣٣٩ ، والدهش ١٦ (٣) النور : ٣٩

كما تناوولها بالبحث الأئمة الأعلام : كسيديويه في (كتابه) ، وأبي عبيدة في (مصنفه) ، والفراء في (حكاياته) ، وأبي العباس في (مجالسه) ، والمجمر في (نقلياته) ، واللحياني في (نوادره) ، والزمخشي في شرحه (للفصيح) ، واليزيدي وابن الأعرابي في (نوادرهما) ، والراغب في (مفرداته) ، وابن سيده في (محكمه) ، والأزهري في (تهذيبه) ، وابن القطاع في (أفعاله وأبنيته) ، والجلال في (جمع الموامع) ، والزنجشري في (كلامه وأساسه) ، ومجد الدين في (قاموسه) ، والجوهري في (صحاحه) ، والصاغاني في (تكملته) ، على أن الزنجشري ، والفراء وغيرهما حكوا عن الفراء معنى « وجد » وما يشق منه ، وما ينبثق عن ذلك الاشتقاق من المعاني .

ودخل لفظ « وجد » دنيا النحاة واللغويين الواسعة ، وتفرعاتهم العديدة ، وتخرجاتهم القريبة والبعيدة ، وتقديراتهم الممكنة والمستحيلة . وهل يتعدى لفظ « وجد » إلى مفعولين إذا كان بمعنى العلم ، أو لمفعول واحد إذا كان بمعنى أصاب ؟ أو يلزم حده - فلا يتعدى - إذا كان بمعنى الاستغناء ، والحزن ، والغضب ... ؟

وهل « وجد » في ماضيها ، كوعد ؟ أو كورم ؟ وهل مضارعها : يجد بكسر العين ، أو بضمها ؟ وهل مصدرها : الوجد بفتح الاء ؟ أو جدة ؟ أو وجدانا ، أو وجودا ؟ أو موجدة ؟

ومتى يجوز كل ذلك ؟ أو بمعنى ذلك ؟ وما هي المعاني التي تنبثق عن معنى « وجد » ؟ ... ؟
خلاف طويل ، وجدل عريض ، ومحصول وفير ، يشهد للغتنا العربية بالطواعية والرونة ، والغنى والوفاء .

ولما حدث حول « وجد » من خلاف ، وقام من جدال ، ونشب من صراع : هل هي من المشترك أم لا ؟ وهل يحكم ذلك اختلاف الاشتقاق ، أو أن ذلك عام في لفظ « وجد » . ندع شيخ المتأخرين - صاحب تاج العروس - يعطينا زبدة البحث ، وخلاصة الآراء ، فيما حكاه من آراء السابقين المحققين .

فلنستمع إليه رحمه الله يحدثنا عن « وجد » :
قال القبروز آبادي نقلاً عن شرح الفصيح لابن هشام النخعي : « وجد » له خمسة معان ، هي ^(١) :

١ - العلم ، وهو مقعد إلى مفعولين ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ ^(٢) .

٢ - والإصابة ، وهو مقعد إلى واحد ، كقول الله تعالى : ﴿ وَرَأَى الْمَجِرِّمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ، وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ ^(٣) .

٣ - والغضب ، وهو مقعد بحرف الجر ، كقولك : وجدت على الرجل إذا غضبت عليه .

٤ - والإيسار ، وهو الاستغناء ، كقولك : وجدت المال .

٥ - والاهتمام ، وهو الحزن والاعتمام . وهو في هذا الوجه ، وما قبله لا يتعدى .

٦ - والوجد ، من المحبة ، استدركه مجد الدين ، كما استدركه الفهرى وغيره ، على أبي العباس في شرح الفصيح ...

(١) راجع تاج الروس ٥٧٢/٢ - ٥٧٥ ، ومصائر ذوى التميز ، والقاموس ، واللسان (وجد) . وشرح ديوان ابن أبي حصينة لأبي العلاء المعرى ١٧١
(٢) الضحى : ٧ ، ٨ (٣) الكهف : ٥٣

وقال الجلال في جمع الموامع :

- ١ - « وجد » بمعنى علم ، يتعدى لمفعولين ، ومصدره : وجدان ، عن الأخفش ، ووجود ، عن السيرافي . (فلم يتفقا لإذن على المصدر) .
- ٢ - ومعنى أصاب ، يتعدى لواحد ، ومصدره : وجدان .
- ٣ - وبمعنى استغنى ، أو حزن ، أو غضب : لازمة . ومصدر الأول : الوجد ، مثلية . والثاني : الوجد بالفتح . والثالث : الموجدة .
- وأخصر من هذا - عند صاحب تاج العروس - قول ابن القطاع في « الأنفال » : « وجدت الشيء ، وجداناً بعد ذهابه ، وفي الغنى بعد الفقر جدة ، وفي الغضب موجدة ، وفي الحزن ، وجداً » .
- وتصنيفاً لأنواع الوجود ، وقريباً من التقسيمات الفلسفية ، وتبلياً للفروق الدقيقة بين معاني (وجد) ، ما ذكره المصنف في « البصائر » نقلاً عن أبي القاسم الأصبهاني عن ضروب الوجود .
- ١ - وجود بإحدى الحواس الخمس ، نحو وجدت زيداً ، والطعم ، والرائحة ، والخشونة .
- ٢ - ووجود بقوة الشهوة ، نحو : وجدت الشبع .
- ٣ - ووجود أمدده الغضب ، نحو : كوجود الحرب والسخط .
- ٤ - ووجود بالعقل أو بواسطته ، كعرفة الله تعالى ، والنبوات .
- ٥ - ووجود بمعنى العلم المجرد ، وذلك فيما نسب إلى الله تعالى من الوجود ، إذ هو سبحانه منزّه عن الوصف بالجوارح ، قال تعالى : ﴿ وما وجدنا لأكثرهم من عهدٍ ، وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴾ ^(١) .

٦ - وكذلك المدوم يقال على ضد هذه الأشياء ، كما يعبر عن النكس من الشيء بالوجود: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾^(١) ، أى حيث رأيتموهم ، ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾^(٢) ، ﴿ وَجَدْتُنَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^(٣) .

﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ تَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾^(٤) . وقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾^(٥) . أى لم تجدوا .

وعن استعمالات (وجد) يقول (في إيجاز) :

١ وجد المطلوب والشيء :

كوجد ، وهذه هي المشهورة ، والمتفق عليها .

ووجد ، كدرم ، غير مشهورة ، ولا تعرف في الدواوين ، على أن المصنف ذكرها في « بصائر ذوي التمييز » ، فقال : ووجد ، بالكسر لغة ، وكذلك قال الصاغاني في التكملة .

ووجد الضالة ، مضارعه (يجد) على القياس ، وهي لغة جميع العرب . وأيضاً مضارعه يجد ، بضم الجيم لغة بني عامر بن صعصعة ، ولا نظير لها في باب المثال ، كذا في ديوان الأدب وغيره . وحذف الياء فيها ؛ لأن الضم عارض فلا يعتمد به .

والصدر : وجداً ، وجدة ، ووجداً ، ووجوداً ، ووجداناً ، واجداناً ، والأخيرة عن ابن الأعرابي .

(ونهdy كل هذه المصادر المتكررة المشترك اللفظي من هذا الجانب الاشتقاقى) .

(١) التوبة : ٥ (٢) النمل : ٢٣ (٣) النمل : ٢٤ (٤) التوبة : ٣٩ (٥) النمل : ٢٤

وذكر ابن القطاع في كتاب الأنبية ، أيضاً : يحده ، بالضم ، وذكر أنها عامرية ، ولا نظير لها . قال لبيد (وهو عامري) - وقيل : البيت لجبر ، وليس للبيد :

لَوْ شِئْتَ قَدْ نَقَعَ الْفُؤَادَ بِشَرِّبَةٍ تَدَعُ الصَّوَادِي لَا يَجْدُنَ غَلِيلاً

وذكر سيبويه : أن ناساً من العرب يقرن : يحد (بالضم) ، وهذا لا يكاد يوجد في الكلام . وابن عويس ذكر أن هذه لغة بني عامر ، والبيت للبيد :

وجزم شراح كتاب سيبويه ، بأن الكسر لغة في وجد بجميع معانيه ، وجعلها عامة ، وقال مجد الدين هو الصواب ، ويقرب هذا أن بيت لبيد ، ليست وجد فيه بمعنى وجد الشيء فقط ، وإنما هو من الوجدان أو الإصابة كما ذكر بعضهم . وفي الحديث : « أيها الناشد غيرك الواجد » من وجد الضالة يمجدها .

بل قال بعضهم : لأن لغة بني عامر هذه ضم العين في جميع الأفعال المضارعة ، ولكن الأكثرية ومنهم أبو عبيد في الغريب المصنف ، خصوا الكسر بلفظة « وجد » فقط .

وفي مفردات الراغب : وجد الله : علم ، حيثما وقع في القرآن ، وواقته الزخشرى وغيره .

٢ - و « وجد » المال وغيره : يحده وجداً مثلاً ، وجدة كهذة : استغنى ، كذا في المحكم . وزاد عليه التهذيب : وجداناً : أى صرت ذامال . ومثل ذلك في نوادر اللحياني ، وزاد اليزيدي في نوادره وجوداً . وأبو العباس انقصر في التصحيح على قوله : وجد المال وجداً بالضم وجدة ، وقال

شراحه : معناه : استغفيت وكسبت . وزاد في اللسان : وجداناً . . . والله
الواجد : أى الغنى الذى لا يفتقر . وفي الحديث : « الواجد يحل عقوبته
وعرضه » . أى القادر على أداء دينه ، ولا يؤدى .

٣ - و « وجد » عليه في (الغضب) ، يجد ، ويجد بالوجهين ، قاله
ابن سيده ، واقتصر في الفصيح على الأول . والمصدر : وجداً ، وجدة كمدة ،
وموجدة ، وعلى (موجدة) اقتصر ثعلب . وزاد الاحيانى وجداناً في النوار .
كل ذلك بمعنى : غضب ، والغضب .

وقد تكرر ذكر « وجد » في الحديث بمعنى الغضب : اسماً ، وفعلًا ،
ومصدرًا : وفي حديث الإيمان : « إني سألك فلا تجد على » . أى لا تغضب
من سؤالي . ومنه الحديث : « لم يجد الصائم على المفطر » . وأنشد الاحيانى
قول صخر النى ، في الغضب :

كَلَانَا رَدَّ صَاحِبُهُ بِيَأْسٍ وَتَأْنِيْبٍ وَوَجْدَانٍ شَدِيدٍ
لأن صخرأ أبأس الحمامة من ولدها فغضبت عليه ، وهى أبأسته من ولده
فغضب عليها .

وقال بعضهم في شرح الفصيح : وجدت على الرجل موجدة ، وأنا
واجد عليه .

وحكى بعضهم عن الفراء : وجد ، بكسر الجيم ، والأكثر فتحها
إذا غضب .

وحكى الزمخشري أيضاً : موجدة ، عن الفراء .

وقال أبو عبيدة في الغريب المصنف : يقال : وجد يجد من الموجدة
والوجدان جميعاً .

وحكى مثل ذلك أيضاً القزاز عن الفراء ، وأشد بيت صخر ، والسيراني يقول : إنه روى بالكسر قال : وهو القياس : لأنه إذا انضم الجيم وجب رد الواو ، كقولهم : وجد بوجه من الوجاهة ونحوه .

٤ - و « وجد » به وجداً ، بفتح فسكون في (الحب) فقط . وأنه ليجد بفلاحة وجداً شديداً : يهواها .

وقال أبو صرد ، في حديث وفد هوازن : ما بطمها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، أى أنه لا يحبها .

وقالت شاعرة تزوجها رجل من غير بلدها فعن عنها :

وَمَنْ يُهْدِ لِي مِنْ مَاءٍ بَقْعَاءَ شَرْبَةٍ فَإِنَّ لَهُ مِنْ مَاءِ لَيْنَةٍ أَرْبَعًا
لَعَدُّ زَادَنِي وَجْدًا بَقْعَاءَ أَثْنًا وَجَدْنَا مَعْلَايَانَا بَلِينَةَ ظُلْمًا
فَمَنْ مِبلغِ تَرْبِي بِالرَّمْلِ أَنْفِي بِسَكَيْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِعَيْنِي مَدْمَعًا
فما نقعاء على مرارته أعذب من ماء لينة العذب ... وهذه الأبيات

ابن سيده على أبي العلاء صاعد بن الحسن في كتاب : (القصص) .

وقالوا : إن الوجد في الحزن مثل الوجد في الحب ، أى ليس له إلا مصدر واحد ، وهو (الوجد) ، وإنما يخالفه في فعله : ففعل الحب مفتوح : وجد ، وفعل الحزن مكسور : وجد .

ورد هذا القول : بأن ما في الأمهات القديمة كالصحيح ، والعين ، ومختصر العين : اقتصروا فيه على الفتح فقط . والمصنف يقول : هو بالكسر فقط ، وهذا غريب :

لأن الذين ذكروا الكسر ذكروه مع الفتح الذي وقعت عليه كلمة الجاهل .

نعم حكى فيه اللحياني : الكسر والضم في كتابه النوادر ، فظن ابن سيده أن الفتح الذي هو اللغة المشهورة غير مسموع فيه ، فاقصر في الحكم على ذكر الكسر والضم فقط ، وهو وهم .

وبذكر صاحب القاموس : أن الذي في اللسان : وجد الرجل في الحزن ووجداً ووجد - كلاهما عن اللحياني - : (حزن) فهو مخالف لما نقله شيخنا عن اللحياني من الكسر والضم ، فلي تأمل .

(فابن سيده أسقط اللغة المشهورة ، والمصنف خالف ابن سيده في هذه المادة ، وهو مقتداه ، فاقصر على الكسر ، كأنه مراعاة لرديقه الذي هو حزن ، فهذا تصور وإخلال) .

وحكى الهجري الكسر ، وأنشد :

فوأكبدي بما وجدت من الأسى لدى رسمه بين القطيل المشذب
فمحصل لنا إذن : أن (وجد) بمعنى (حزن) ، فيه ثلاث لغات :

(أ) الفتح الذي عليه الجمهور ، وهو المشهور .

(ب) والكسر الذي اقصر عليه المصنف والهجري وغيرهما .

(ج) والضم الذي حكاه اللحياني في نوادره ، ونقلهما ابن سيده في الحكم ، مقتصرًا عليهما .

٥ - و (الوجد) الفنى : ويثلت . وفي الحكم : اليسار والسعة :

وقد قرىء بالثلاث في قوله عز وجل : ﴿ أَشْكِرُونَهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ ﴾^(١) . أى من سعيكم وماملتكم . وقال بعضهم : من مساكنكم . وقال ابن خالويه : والضم أنصح ، ومعناه : من طاعتكم ووسمكم . انتهى

ما أوجزناه من « تاج العروس »^(١).

وذكر أبو مسحل الأعرابي في نوادره : « ويقال من الجدة في المال :
الوَجْد ، و الوَجْد ، والوُجْد »^(٢).

* * *

• وتحصل اذن من ذلك :

- ١ - أن وجد كـرعد ، أو ورم ، ولها من يؤيدها .
- ٢ - والمضارع في يجد بكسر العين ، وفيها الضم ، لغة بني عامر ، وقيل عامة عندهم .
- ٣ - وشرح كتاب سيبويه يقولون : الكسر لغة في وجد بجميع معانيها .

- ٤ - وفي الغضب ، جاء المضارع بالضم وبالكسر .
- ٥ - وابن القطائع ذكر يجد ، بالضم ، وعلق عليه سيبويه بأنه لا يكاد يوجد في الكلام .

٦ - وتنوعت المصادر بحسب كل معنى ، ولم نجد لها ثباتاً ، بل ذهبت هنا وهناك . ووجدنا الجواز لأكثر من رأى :

- ٧ - فالوجد في الحزن يثلث (بالفتح والضم والكسر) .
- ٨ - ومثله : الوجد في الغنى ... لمخ الآراء والاستنتاجات .
وكل له ما يبرره ، وله شاهده . وكله يحكى عن أئمة .

* * *

(١) تراجع تاج العروس ٢/٥٢٢ - ٥٢٥ .

(٢) نوادر أبي مسحل الأعرابي ١٩٧ .

عُلماءُ أمناءَ وَلغةٍ واسعة

وعلماءُونا الأجلاء المرابطون في سبيل العلم ليقفوا وجه الله ، لا يجوز أن
نرميهم بالكذب كما رماهم بعض الكتاب ؛ لأنهم ما عرفوا أن « الدليم »
من أعداء العرب ، أو حياض بالغور ، وأن « مالك » من ملك أو من
مالك ، وأن « الدر » من الماء العذب أو الملح ، وأن « اليرندج » جلد
مصبوغ ، أو نسيج ينسج^(١) ، كما ذكر المعينون ... وذلك لأن من الكلام
ما عرف معناه سماعاً ، مثل : « بعين ما أرينك »^(٢) ، وفيها وأشياء
ما عرفتُها العلماء .. فكانوا يعتمدون على النص القصيص ، ومراعاة الجوار
والسياق .

ويروى بالسند أن الحجاج (الفصيح) لقي أعراباً قد انحدروا للميرة ،
فقال : كيف تركتم السماء وراءكم ؟ فقال متكلمهم :

« أصابتنا سماء بالمثل (موضع بنجد) ، مثل القوائم (جبال لهذيل) ،
حيث انقطع الرمث (نبات سهلي) ، بضرب فيه تفكير (الضرب : مطر
فوق الديمة ، وهي مطر يدوم مع سكون) وهو على ذلك يمضد (بلغ ثراه
المضد .) ويرسغ (يتلغ ماؤه الرسغ لمن حاول سبر غوره) ... » .

وأقبل الحجاج على زياد بن عمرو العتكي - وكان معه - فقال : ما يقول هذا
الأعرابي ؟ قال : وما أنا وما يقول ! ! إنما أنا صاحب رمح وسيف^(٣) .
والفظة أحياناً معنوا تسعمل فيهما ، وشتان ما بينهما : « فالصيد (بكسر

(١) ضحى الإسلام / ١ / ١٩٨ - ٣٠٢ (٢) مجمع الآداب لبيد / ١ / ١٩٨

(٣) بحالي / ١ / ٢٨٦

الصاد) التكبر : ملك أصيد : أى متكبر لا بلغت يمنة ولا يسرة ، والخليل يقول : لانه ذباب يقات البعير إذا دخل أذنه (وتأمل النقلة والفرق) .
أو الأصيد « الذى لا يستطيع الالتفات من دائه » . وبيت جواس السكابي (إسلامى) يحتمل كل ذلك حين يهجو :

أُؤمى ربّ كَتَبْتَبَةِ مَجْهُولَةٍ صَيْدُ السُّكْمَاةِ عَلَيْكُمْ دَغْوَاهَا^(١)
ويفرض المقام المعنى أحياناً ، ويميزه عن غيره الجائز مثل (مَجْدًا) بمعنى ساهرين ، فى قول عمرو بن سالم الخزاعى ، يخاطب الرسول ﷺ :
* هُمْ يَبْتُونَا يَا لَوْتَيْرِ هُجْدَا^(٢) *

وقد يباعد الاستعمال ما بين المعانى وإن لمح الأصل : فالعلام الباشق ، والعلام بالتشديد : الحناء ، (وإن حكاهما جميعاً كراع بالتخفيف) .
وأما قول زهير :

حَتَّى إِذَا مَا رَوَتْ كَفَّ الْعُلَامَ لَهَا طَارَتْ وَفِي كَفِّهَا مِنْ رِيشِهِ بَتَكُ
فقد روى ابن جنى عن أربعة من كبار علماء اللغة بأن العلام ها هنا الصقر ، وهذا من طريف الرواية وغريب اللغة^(٣) .

فقد جوز الاستعمال الوجوه كآرأينا ، ولا مرجح ، فالاحتمال راجح ،
والاشتراك أرجح .

وأهل اللغة أمناء : لا يفتنون بهواهم - كما يرميهم خصومهم - :
فمحمد بن حبيب يسأل أستاذه ابن الأعرابي عن بضع عشرة مسألة من
شعر الطرماح ، فيجيب فيها كلها : لا أدرى .

(٢) تاج - المروزي ٣/ ٥٩٧

(١) شرح الخاتمة للمروزي ٣/ ١٤٩٧

(٣) المحكم لابن - يده ١٢٧/٦

وأحمد بن أبي دؤاد يسأل ابن الأعرابي - أيضاً - عن استوى بمعنى استولى؟ فيقول: لا أعرفه. وثار على رجل حكى عن العرب أن استوى بمعنى استولى، لأنه لا مضاد لله تعالى في ﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾^(١) فمن يغلب يستولى، كما في بيت النابغة:

أَلَا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ سَبَقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمْدِ^(٢)
فإذا لم يسمف الاستعمال والثابت للمعنى، فهم يلوزون، « بلا أدري ».
كأمانة العلماء !

وقد تضل بعض المعاني والألفاظ في الصحراء، فتند عن الفهم، أو تختلف الفهوم فيها، حتى تند، أو ينطق بها - في كلمة تفسرها - أعرابي من آلهاء: فقد فهم ابن عباس - رضى الله عنه - فطر بمعنى بدأ، وكان لا يدري ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٣) حتى نخاصم أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: (بئرى أنا فطرتها) أى ابتدأها^(٤).

ويروى عنه أيضاً أنه ما فهم: افتتح بمعنى احكم واقض، في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾^(٥) حتى سمع بنت ذى وزن تقول لزوجها: (تعال أفانحك)^(٦) تريد أخاصمك. وابن قتيبة يقول: يقال للحاكم: الفتح^(٧). وقيل: ذلك بلغه المين.

وقد يلتمس المعنى في دروب الاشتقاق أو من محاولة الاستنباط والفهم، ولكل أدلة ووجهة:

قال قطرب: عنبرة يكون مشتقاً من العنبر وهو الذباب. وقد يجوز أن

(١) طه: ٥ (٢) كتاب البئر لابن الأعرابي ١٩، ومعجم الأدباء ١٨/١٩٠

(٣) الانعام: ١٤ (٤) البئر لابن الأعرابي ٥٥، والاتقان ١/١١٣

(٥) الاعراف: ٨٩ (٦) الاتقان ١/١١٣

(٧) تفسير غريب القرآن ١٧٠

يكون من العتيرة ، وهى التى تنحدر للآلهة أول ما تنفتح ، يقال : عتر الرجل
يعتر : فعلى ذلك قال زهير :

فَزَلَّ عَنَّا وَأَوْفَى رَأْسَ مَرْقَبَةٍ كَنَاصِبِ الْعَتَرِ دَمِيَّ رَأْسُهُ النَّسْكُ

وفى الحديث : « لا فرعة ولا عتيرة » : (الفرعة) كانت تذبج فى

رجب للأصنام .

وقال قطرب : أو من المعتز وهو الذكر . أو من العترة وهى شجرة
صغيرة بنجد وتهامة كثيرة اللبن^(١) .

والقبائل العربية قد يقنوع الاستعمال لديها : فتستعمل هذه لفظة لشيء ،
والأخرى تجعلها لشيء آخر (وهذا من طرق المشترك اللفظى) : فالجحش
ولد الحمار كما فى الجمهرة ، وهذيل تجعله لولد الظبية^(٢) .

وتحتمل اللفظة فى المسكان الواحد أكثر من معنى ، والإعراب هو
الفارق ، يقول النابغة :

فَارْتَأَعَ مِنْ صَوْتِ كَلَابِ فَبَاتَ لَهُ طَلُوعُ الشَّوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرْدٍ

فإن رفعت طوع فالشوامت جمع شامت من الشماته ، وإن نصبت فالشوامت
هى القوائم^(٣) . على أن لفظ الشوامت يصلح للأنثى .

والسليط الزيت عند عامة العرب ، ودهن السمسم خاصة عند أهل اليمن ،
وله شواهد الوفيرة عند الزبيدى . والسليط : الفصيح الحديد اللسان ، قال
ابن دريد : وهو مدح للذكر والأنثى^(٤) .

ومن مراعاة القاسم المشترك بين المعانى يأتى بالمشترك : جاء فى الجمهرة :

(١) شرح الجاهليات ٢٩٤ (٢) شرح ديوان ابن أبى حمينة للمعرى ٦٨

(٣) السابق ١٤٦ (٤) تاج العروس ١٥٨/٥

قال أبو حاتم : قلت لأُم الهيثم : ما الوغد ؟ قالت : الضعيف . فقلت : إنك قلت مرة : إنه العبد . فقالت : ومن أوغد منه ؟ !^(١) .

وقد وردت نوادر وشوارد وغرائب من الألفاظ ، لعلها بقية كلام لم يصلنا ، أو ضاعت وشائج في الصحراء ، مثل : العيقة : ساحل البحر . والحرش : الأثر ، وأض : صار .

ومن الغرائب : الخازبار : السنور عن ابن الأعرابي ، قال : وهو من أغرب الأشياء ، والمشهور أنه اسم للذباب ، وداء يأخذ الإبل في حلقها ، ونبت رى . وأبو ال بغال يقول : هي السراب ، وهو حرف غريب حدثناه أبو هرير الزاهد^(٢) .

وقد يكون اللفظ مغرقاً في الإبهام فيصلح لأكثر من معنى بطبيعته مثل : « الحين » : وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طالت أو كثرت : فهو سنة أو دهر ، أو سقة أشهر ، أو شهرين ، أو كل صباح ومساء ، أو المدة كقوله تعالى ﴿ حَتَّى حِينٍ ﴾^(٣) ، حتى تنقضي المدة التي أمهلها ، ﴿ وَلَاتِ حِينٍ ﴾^(٤) و ﴿ حِينٌ تَمُوتُونَ وَحِينٌ تُصَبِّحُونَ ﴾^(٥) ، أي ساعة^(٦) .

والعصبة من الرجال عشرة لا يقال لأقل من ذلك . وإخوة يوسف عليه السلام كانوا عشرة قالوا : ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾^(٧) . ويقال : هو ما بين العشرة إلى الأربعين وقوله تعالى : ﴿ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ ﴾^(٨) وقالوا : أربعون . ويقال : عشرة . وأما في كلام العرب : فشكل رجال أو خيل إذا ساروا قطعة فهم عصبة ، وكذلك العصابة من الناس أو الطير قال النابغة :

إذا ما التقى الجمعان حلق فوقهم عصائب قوم تهتدى بعصائب^(٩)

(١) المزهر ١/١٣٩	(٢) المزهر ١/٢٣٦ - ٢٣٩	(٣) يوسف : ٣٥
(٤) سورة ص : ٣	(٥) الروم : ١٧	(٦) بمائر ذوى التمييز ٢/٥١٠
(٧) يوسف : ٨	(٨) القصص : ٧٦	(٩) العين للغيل ٣٦٤

وبعد :

فأمهات كتب الأدب واللغة التي وعت ، وغول العلماء هي التي حكمت ،
والشواهد هي التي رجعت ، واستعمالات اللغة هي التي جوزت ، وطبيعة اللغة
ومرونتها هي التي مررت ، وقبائل العرب هي التي وضعت واستعملت . واللغة
للامتاع كما هي لغيره ، وللالغاز كما هي للجد والهزل ..

* * *

• والراى فى المشترك :

الأكثر من علماء اللغة قالوا : إن المشترك اللفظى واقع فى اللغة .
واعترف به ابن فارس ، ومثل له (بالمين) (وقضى)^(١) ، كما ألف
كتاباً فى الرد على مفكرى الأضداد .
وأفرد بعضهم بآليف مثل : الأصمى ، والخليل ، وسيبويه ،
وأبرعبيدة وغيرهم^(٢) .

ونبه ابن جنى ، على حروف وأسماء وأفعال لم يقتصر بها على معنى واحد ،
لأنها كما عبر : « وقعت » مشتركة « وأنها : اتفق لفظها واختلاف معناها »^(٣) .
وقول العلماء الكثيرين بأن المشترك أمر ممكن الوقوع شائع ومشهور .
و (لا معنى لانكار المشترك اللفظى مع ما روى لنا من الأساليب
الصحيحة من أمثلة كثيرة لا يتطرق إليها الشك) ، كما يقول الدكتور
أنيس^(٤) . وقد جاءت شواهد كفلق الصبح ، وله من الأسباب ما يدعو
لوجوده فى اللغة ، من واضح أو أكثر ، فالقبائل عربية ، وهى صاحبة اللغة .

(١) الصاجي ١٧١ (٢) راجع الزهر ٣٦٩/١ ، وتاج العروس ٨/١

(٣) الخصائص (باب الاحتياط) ١١٠/٣ (٤) اللهاجات لأنيس ١٨٠

فالمشترك واقع ملموس ، وحقيقة لا خيال ، وكثير لا قليل : فإذا ما ذكرت المعاني العديدة للفظ الواحد نحمد الله على ذلك ..

يقول شيخ المفسرين الطبرى ، وهو يعلق على (الحفدة) فى قوله تعالى : ﴿ بنين وحفدة ﴾^(١) الحفدة : الخدم والأعوان . وقيل بنو المرأة من غير زوجها وقيل : الأصهار . وأصل الحفدة : مداركة الخطو والإسراع فى المشى ، وإنما يفعل هذا الخدم . ويقال فى دعاء الوتر : (وإليك نسعى ونحمد) ، أى نسرع . ويعلق الطبرى بقوله : لم يدل الله بظاهر تنزيله ، ولا على لسان رسوله ، ولا بحجة عقل ، على أنه عنى بذلك نوعاً من الحفدة دون نوع ، وهذا من فضل الله علينا ومن نعمه : فالسكل داخل ، إذ له وجه فى الصحة ومخرج فى التأويل^(٢) .

وفى أمالى المرتضى كلام نفيس منه : « وليس يجب أن يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله إذا كان له شاهد من اللغة وكلام العرب ؛ لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعانى ، فيجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد منهما منفرداً ، وليس عليه العلم بمراده بعينه ، فإن مراده مغيب عنه ، وأكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام »^(٣) .

وقال ابن قتيبة : (السلطان) هو الملك والقهر ، فإذا لم يكن ملك ولا قهر فهو : بمعنى حجة وبرهان^(٤) . واستشهد بقوله تعالى : ﴿ وَكَأَنَّا أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾^(٥) وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّاتِ مُسْتَقِيمُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾^(٦) .

(١) النحل : ٧٢

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، وتفسير الطبرى ٩٨/١٤

(٣) أمالى المرتضى ١٨/١ ، ١٩ (٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٧

(٥) هود : ٩٦ (٦) الطور : ٣٨

رأى علماء الأصول في المشترك

عنى علماء أصل الفقه بكثير من مسائل الألفاظ ودلالاتها عناية كبيرة ، وبدأت جل كتبهم يبحث المبادئ اللغوية ، فبحثوا فيها العام والخاص ، والحقيقة والمجاز ، والمشارك والمترادف ، وغير ذلك من الأبحاث اللغوية ، لأن استنباط الأحكام من النصوص منوط . ومحصول ما بجنوه من أبحاث اللغة ، ونظموها ، وجادلوا فيها ، حتى وفوا المقام حقاً ، لأن منطلق الأحكام الشرعية والاستنباطات الفقهية ، واختلافات المذهبية من منطلق لغوى . فلاحق إذن لمن قال : إن اشتغال علماء الأصول باللغة من الفضول .

وقد بحث الأصوليون في الدليل الشرعى من ناحيتين :

١ — دلالة اللفظ على المعنى ، أى كيفية فهم المعنى الذى احتواه اللفظ ، وهو النطق واللسان العربى ، ومرده إلى اللغة واللغويين .

٢ — ودلالة المعنى الذى احتواه اللفظ على القاعدة الشرعية ، وهذه الناحية زائدة على أصل الوضع اللغوى ، إذ تقرّر بعضها اللغة ، وبؤصلها اللغويون ، ويقرّر بعضها الآخر أهل الشرع ، فالصلة بين اللغويين والأصوليين وثيقة . ولعلماء الأصول حس لغوى ، يواكبه ضبط منطقي ، إذ أن ألفاظ اللغة منطلقهم لفهم كتاب الله واستنباط الأحكام الشرعية . لتستمع إليهم يقولون في مفتتح كتبهم عن المبادئ اللغوية :

إن اللفظ والمعنى إما أن يتحدّا كلفظ : (الله) وهو المفرد .

أو يتكثرا وهى : المتجانية ، سواء تفاضلت معانيها كالسواد والبياض ، أو تواصلت ، مثل : السيف والصارم ، والناطق والفصيح .

أو يتكثر اللفظ ويتحد المعنى وهي المترادفة .

أو العكس : فإن وضع للكلمة فهو المشترك ، وإلا فإن نقل للعلاقة واشتهر في الثاني سمي بالنسبة إلى الأول منقولاً عنه ، وإلى الثاني منقولاً إليه ، وإلا لحقيقة ومجاز .

كما اعترفوا بالحقيقة اللغوية ، والحقيقة العرفية العامة : كاللابة ونحوها ، والعرفية : الخاصة كالقلب .

أما الحقيقة الشرعية : كالصلاة والزكاة والحج ، فقد اختلفوا فيها : فبعضهم منع مطلقاً ، وبعضهم - كالمعتزلة - أثبتها مطلقاً ، والمحققون على أنها مجازات لغوية اشتهرت لا موضوعات مبتدأة ، وإلا لم تكن عربية ، إذ لم يضعها واضع العرب بإزاء هذه المعاني . .

والذي جرم إلى الخلاف حول الحقائق الشرعية : هو أن الشارع اخترع معان فلا بد لها من ألقاظ . . فهل توضع لها ألقاظ ؟ وما محل هذا الوضع ؟ أم يكفي بالنقل والتعجوز ؟ على أن محقق الأصوليين - أيضاً - اتفقوا على أن النقل خلاف الأصل : أي إذا تردد اللفظ بين النقل وعدمه : ترجح العدم^(١) .

وبعيد كل ذلك أن المشترك اللفظي واقع في اللغة العربية وأن الاستعمال دليل الاشتراك ، وأن النقل لا يبطل ذلك .

والحق أن اشتغال الأصوليين باللغة ومبادئها ليس من الفضول كما قال بعضهم ؛ فلقد رأوا أن الأحكام تنطلق من منطلق لغوي قبل كل شيء ، ورأوا معاني جدت في الشرع ، ولا بد لها من ألقاظ .

(١) راجع في هذا المقام حاشية البثاني على شرح المحلى ، على متن جمع الجوامع ٢١١/٢ ، وشرح البخشي على الأسنوى ١٨٧ - ٢٥٩ باختصار .

ومن الطريف أن الحريري بنى المقامة الثانية والثلاثين - من مقاماته - على ذكر أسئلة فقهية وأجوبة عنها .

وفي (المزهري) في فتيا فقيه العرب ، (والمثل السائر) ، لابن الأثير مثل ذلك فيها براءة لغوية وسداد في الإجابة .

وأمثلة ذلك : قال : أيجوز أن يسجد الرجل في العذرة ؟ قال : نعم ، وليجنب القذرة ، فالعذرة هنا : فناء الدار .

ومن هذا : « قال : أيجوز للمعذور أن يفطر رمضان ؟ قال : مارخص فيه إلا للصبيان » فالمعذور هنا : المحتون ، فجاء الجواب صحيحاً على هذا^(١) .

وكقولهم : قال : فإن توضع ثم أتكأه البرد ؟ قال : يجدد الوضوء من بعد : (والبرد هنا : النوم) ..

وقد تنبه الذين يكتبون المعاهدات والشروط أن يتجنبوا الالباس ، وأن ينصوا على (أن ليس لموقع المعاهدة أو الشروط نية غير النية الظاهرة) .

ومن الطريف في هذا أن سعيد بن العاص من أمراء بني أمية صالح أهل حصن من حصون فارس على ألا يقتل رجلاً واحداً منهم فقتلهم كلهم إلا رجلاً واحداً ، نقل هذا صاحب العقد الفريد في « المسكيدة في الحرب » في كتاب السلطان^(٢) .

وللدكتور محمد فوزي فيض الله بحث قيم في : « صلة علم الأصول باللغة » تحدث فيه عن : نشأة علم الأصول ، وأهميته ، ومنطلقه ، واتجاهاته ، وماتيز به بحث الأصوليين للغة ، ويمكن إيجازه فيما يلي^(٣) :

١ - بأن علم أصول الفقه من أقدم العلوم الإسلامية في النشأة والأصالة .

(١) المزمع ٦٠٦/١ - ٦٣٧ (٢) مجلة مجمع اللغة (بأقاهرة) ١٢/١٦٧

(٣) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض - العدد الثاني ١٣٩٢ ص ٣٢

٢ - وأن كل مجتهد من الأئمة أرسى قهقه على قواعد الأصول ، وليس لدينا قهقه معزول عن الأصول .

٣ - وأن من أقدم ما وصلنا فى الأصول رسالة الإمام الشافعى رضى الله عنه .

٤ - وأن علم الأصول قام على نوعين من القواعد : لغوية وشرعية .

٥ - وأن مواقف الأصوليين من اللغة لم تخرج عن خمسة مواقف هى :

الأول : موقف الالتزام ، وهو التسليم بالقاعدة اللغوية ، والتخريج عليها ، وعدم الخروج عليها إلا للضرورة أو صرف : ويتجلى هذا الموقف بالنسبة إلى حروف المعانى .

الثانى : موقف الاختزال : وهو اختصار مقالة اللغويين ، والتعلق بنقائجها دون التوسع فى التقسيم والتفريع : وتجلى هذا الموقف بالنسبة إلى علاقات المجاز ، التى ردوها إلى الاتصال الصورى أو المعنوى .

الثالث : موقف التكميل : بمعنى أن الأصوليين وقفوا على مقالة أهل اللغة ، ثم توسعوا فيها حتى استوت واستقمت . واندرج تحت هذا الموقف :
(أ) إضافة القيود على التعاريف ، كالعام والمطلق ، والمشارك ونحوها .
(ب) إضافة الشروط إلى التعاريف والقواعد ، كاشتراط الاستغراق فى العام ، وكشروط التأويل ، وشروط الاستثناء . .

(ج) وضع تقسيمات جديدة تشمل ما ذكره اللغويون ، كتقسيم الجمل باعتبار أسبابه ، وتقسيم المحكم بالنظر إلى موضوعاته ، وتقسيم مفهوم المخالفة باعتبار أنواعه .

(د) استدراك مباحث لم يقابلها اللغويون ، كحكم المطلق على المنفرد ،

وحكم العام من حيث تناوله أفراده قطعاً أو ظناً ، وحكم العام إذا ورد عقب سبب خاص ...

الرابع : موقف الترجيح : وهو تأييد رأى فى العربية على آخر بالدليل ، عند اختلاف اللغويين أنفسهم فيه ، أو تقوية معنى لفظ على آخر إذا وردا فى اللغة نفسها . كالترجيح فى اللفظ المشترك ، وفى مسألة الاستثناء الوارد عقب جل متعاطفة . .

الخامس : موقف الإنشاء : وقد أريد به أن الأصوليين كونوا أحياناً نظرية مستقلة قائمة بذاتها فى البيان العربى ، لها هيكلها ومخططها ، وتقسيماها ، واصطلاحاتها ، وضوابطها ، وشروطها ، وقیودها ، وأمثلةاها من النصوص القطعية ، وتطبيقاتها القروعية العملية الشرعية ، على نطاق واسع . وقد تجلّى هذا المرقف فى نظرية الدلالات ، التى انحصرت فى عبارة النص ، وإشارته ، ودلالته ، واقتضائه .

٦ - وقد تجلّى لنا أثناء البحث أن الأصوليين وقفوا هذا الموقف من القواعد اللغوية ، وتناولوا كل موقف بطابع دراستهم الشخصى ، الذى يعتمد على الأمانة العلمية فى البحث والاستقصاء ، ويستهدف خدمة الوحى ، واستكناه حقائق النصوص ، واستنباط الأحكام الشرعية منها ، وذلك ابتغاء مرضاة الله سبحانه ، والتزام حكمه .

٧ - أن الأصوليين خدموا اللغة العربية - فى مباحثهم - كما خدموا الشريعة نفسها ، فחקقوا قواعد اللغة ، كما حرموا قواعد الأحكام ، وبذا كان

علم الأصول مزيجاً من اللغة وقواعد الشريعة^(١) .

فهمة الأصولى استنباط الأحكام الشرعية ، ومصادره التى يستمد منها تعتمد على اللسان العربى ، وتتطلب منه تعمقاً فى العربية وأسرارها ، ليقيس له البحث . ومن ثم عنوا ببعض المباحث التى لا يستقنون عنها ، والتى تسمى (المبادئ اللغوية) ، مثل المشترك والمتضاد والمترادف ، ومعانى الحروف^(٢) .
فقد جوز مالك والشافعى (ومعه القاضيان أبو بكر من الأشاعرة ، وعبد الجبار من المعتزلة ، وأبو على الجبائى ، كما فى شرح البهخشى والأسنوى) معانى المشترك دفعة واحدة حال التلفظ به ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ .. ﴾^(٣) فالسجود قد استعمل فى معنيتين دفعة واحدة : فى وضع الجبهة على الأرض من آدمى ، ومن غيره بالانقياد والخضوع ، فقد قصد المعنيين مرة واحدة .

ورفض بعض الأحناف هذا ، وقالوا : إن ذلك يؤدى إلى الإبهام والتعمية ، وينأى عن ذلك الواضع الحكيم ، وفسروا السجود عامة بالخضوع والانقياد ، وهذا يحقق من الإنسان وغيره ، وتفاوت صور السجود : فهو من آدمى : وضع الجبهة على الأرض ، ومن غيره بانقياده لمولاه .. ويرجح الدكتور إبراهيم نجار رأى الحنفية^(٤) وهو رأى أقرب إلى الصواب ، لأن اللغة تقرر أنه لا يصح أن يراد من اللفظ المشترك كلا معنيتين ولا كل معانيه دفعة واحدة ، بل لابد أن يراد منه معنى واحد ، فى الاستعمال الواحد ، لأن الكلام للانهمام ، وهذا لإبهام وتلبيس .

(٢) فقه اللغة لإبراهيم نجار ، ص ٥

(١) السابق

(٣) المحج : ١٨٠ - (٤) - السابق .

ولا شك في أن الأئمة قد بلغوا منزلة سامية في فهم أغراض القرآن والسنة ، وأسرار الشريعة ، ولكن بعد أن بصروا بالأدب واللغة . وقد التزموا وسلموا بالقضية اللغوية ، والمبدأ العربي ، ولم ينصرفوا عنه إلا لضرورة أو صارف يقتضى ذلك . فإذا كانت الواو لمتقتضى الجمع .. فلا يلزم الترتيب بين أعضاء الوضوء مثلاً .

وجوهر البحث في (المبادئ اللغوية) لغوى ، ولكن طابعه أصولى : فالأصوليون درسوا ما انتهى إليه أهل العربية في مسألة من المسائل ، ثم لخصوه واختصروه وغيروا فيه ، بحيث أصبح ينى بالنتيجة التى أرادها اللغويون ، ويحقق الغرض منه فى الأصول .. وهذه الألفاظ ذوات مدلولات لغوية حددها أهل اللغة ، وتناولتها المعاجم وتناقلتها كتب الأدب ، والبيان ، والتفسير والحديث .. والأصوليون إنما تناولوها وهم بصدد البحث فى الكتاب والسنة .

وقد عرف الأصوليون المشترك بأنه لفظ وضع لمعنيين فأكثر وضعاً متعدداً^(١) .

بينما عرفه ابن منظور اللغوى : بأنه الذى تشترك فيه معان كثيرة^(٢) . فللدة والتحديد وضع الأصوليون التديد ، بينما أطلقه اللغوى . ومثل اللغويون والأصوليون للمشارك بالعين ، والقرء ، والمولى ، والعم ، وذكر الأصوليون : أن الاشتراك يكون فى الأسماء ، والأفعال كما فى (راح : بمعنى ذهب ورجع) والحروف ، مثل (من الجارة : تكون للابتداء ، وللتبعض ، والواو للعطف ، والحال) ..

على أن الأصوليين وقفوا موقف الناظر الفاحص فيما ترددت فيه اللغة ، واختلف فيه اللغويون ، فأمعنوا فيها النظر ، واستعرضوا الأدلة ، وألموا بالنصوص والشواهد ، وانتهوا إلى ترجيح معنى لغوى أو ترجيح رأى فريق على مخالفه فالتزموه وطبقوا عليه الأحكام الشرعية . وربما استعانوا في هذا الصدد بنصوص من اللغة ، والشرعية ، وبأقوال بعض الأئمة من أهل اللغة أو الشرع ، أو بقواعد النحاة ، أو بدلالة اللفظ ، أو مقصد الشرع ، وغير ذلك^(١) .

وهاك مثالا يوضح الاتجاه اللغوى للأصوليين في الترجيح اللغوى - بعد أن قرروا أن الاشتراك خلاف الأصل ، وإذا ورد في كلام الشارع يجب الاعتقاد بحقيقته ، والبحث عن الدليل المرجح لبعض معانيه ، بالصيغة نفسها أو بدليل خارج منها^(٢) .

لفظ (القرء) في قوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾^(٣) .

(والقرء جمع قرء كبيت وبيت . وهو يطلق في اللغة بالاشتراك على دم الحيض ، والطهر) ، فبأيهما تعتد المطلقة ؟

• من المجتهدين من رجح لإرادة الطهر في النص الكريم ، وذلك :

١ - لأن تأنيث العدد ، يدل على تذكير المعدود ، والمذكر هو لفظ الطهر .

٢ - ولأنه روى عن عائشة - رضى الله عنه - قولها : « إنما الأقراء الأطهار »^(٤) .

(١) مجلة كلية الآلة العربية بالرياض عدد ٢ سنة ١٣٩٢ هـ ، ص ٣٤ .

(٢) كشف الأصرار ٣٥٤/٢ (٣) البقرة : ٢٢٨ .

(٤) أخرجه مالك بن عبد بن صالح .

(٥) أنظر الفلك اللغوى .

• ومنهم من رأى ترجيح إرادة الحيض في النص الكريم ، واستدلوا :
١ — أن مادة (قرأ) في اللغة تدل في معظم استعمالها على معنى الجمع
أو الانتقال . تقول : قرأت الشيء : إذا جمعته ، وقرأ النجم إذا انتقل .
فيكون الحيض أحق بأن يراد بالراء من الطهر ، لوجود هذين المعنيين فيه
من دون الطهر لأن الحيض دم يجتمع في الرحم ، وينقل منه إلى الخارج ،
فيحمل عليه عند عدم القرينة على خلافه^(١) .

٢ — وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْحَيْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ
ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾^(٢) . جعلت الآية الاعتداد
بالأشهر عند عدم الحيض ، فدل على أن الاعتداد بالحيض دون الأشهر .
٣ — وقول ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - « طلاق الأمة تطليقتان
وعدتها حيضتان^(٣) » .

٤ — ولأن الحكمة من تشريع العدة ، التعرف على براءة الرحم ، والمعرف
هو الحيض لا الطهر ، لأن الحامل لا تحيض ، غالباً .
٥ — ولأن لفظ (ثلاث) خاص ، لا يحتمل زيادة ولا نقصاً . وقد شرع
الطلاق في حال الطهر ، فيمكن احقساب ثلاث حيض بعده كوامل ، بلا زيادة
ولا نقصان ، ويتحقق بذلك مدلول اللفظ الخاص^(٤) .
• وقد أجاب هؤلاء - ويدور رجحان مذهبه - عما استدل به الأولون
بقولهم :

(١) نساء الأسفار ١٧ . (٢) الطلاق : ٤ .

(٣) رواية الأوزاعي ، وأخرجه مرفوعاً ، وراجع بلوغ المرام من أدلة الأحكام ١٩٩

وراجع أسانيد في أحكام الفرائض ص ٣٦٦/١ .

(٤) « حاشية الأزمهرى على مائة الأصول » ١٣٣٦/١ والبلوغ ٣٦٦/١ ونساء الأسفار ٢٥

١ - أن تأنيث العدد مراعاة لفظ القراء المعدود ، وهو مذكور .
 ٢ - وحديث عائشة عارضه أثر ابن عمر ، بل روى عنها مثل الذي روى عن ابن عمر^(١) وهو مع ذلك لا يكاد ينهض للأدلة المذكورة ...
 على أن بعض الأصوليين ذكر أن الأصل هو عدم الاشتراك وأن المجاز خير منه ، كما سبق^(٢) .

فقد رأى كل فريق من كلام العرب ما لا يراه الآخر ، ويحجم عن ذلك تعدد الآراء ، كما رأينا في لفظ القراء .
 وذهب مالك - رضي الله عنه - إلى أن المراد منه الطهر ، وحجته في ذلك قول الأعشى :

أَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَانِمٌ غَزْوَةٌ تَشُدُّ لَأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِمِكَ
 مُؤَرِّثَةٌ مَالًا وَفِي الْحَيِّ رَفْعَةً لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءٍ نِسَائِمِكَ
 أي من أطهارهن بسبب الغزو^(٣) .

• بينما يذهب أبو حنيفة - رضي الله عنه - إلى أنه (القراء) يحتمل الحيض ، ومقتضاه قول الرازي :
 بَارَبُّ ذِي ضِفْنٍ عَلَى فَارِضٍ يُرَى لَهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْخَائِضِ
 ورواية الجاحظ : • له قرؤ كقرؤ الخائض^(٤) .

فقد كان المطلق أقوى قوياً عند كلا الفريقين ، على أن الأحناف

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣١٦/١

(٢) مسلم الثبوت وشرحه فواتح الرحموت ٣٣٦/٢

(٣) مفتاح الوصول للنفساني ٦٠ ، وراجع حاشية البناني على المحل ٢٩٢ - ٢٩٨ ،

وشرح البهذهفي والإسنوي على منهاج الوصول ٢٢١ - ٢٤٣ .

(٤) الجاحظ في المحاظ ٦٦/١

اصطحبوا الحديث الشريف : « دعى الصلاة أيام أقرأئك »^(١) . فالمراد أيام الحيض لا الطهر .

فاختلاف الصحابة ، وهم أهل اللغة ، والفقهاء وهم بصراء باللغة ، دليل على ثبوت الاشتراك بين المعنيين لغة .

• على أن بعض الفقهاء ، من رجح ما ذكره ابن الأنباري - كنفوى - من أن (القرء) مفرداً يحتمل الطهر والحيض ، فإن جمع على أقرأء : فالمراد به : الحيض كقوله في الحديث « .. أقرأئك » . وإن جمع على قرؤ ، فالمراد به : الطهر ، كقول الأعشى : « .. من قروء نساءك » وإذن فالقرؤ في الآية : الطهر لا الحيض .

ولم يسلم الأحناف بذلك وقالوا : لو صح هذا لما اختلفت الصحابة في ذلك فإنهم أهل اللغة وأعرف بها ، فاختلفتهم دليل بقاء احتمال حالة الجمع ، كما كان حالة الأفراد ، وقد قال الشاعر :

يَارُبِّ ذِي ضِفْنٍ وَضَبِّ فَارِضٍ لَهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحَائِضِ

وقرينة ابن الأنباري لفظية ، فالجمع قد يختلف باختلاف المعاني : وإن كان اللفظ المفرد مشتركاً ، ألا ترى أن « العود » مشترك بين الخشبية ، وجمعه إذ ذاك أعواد . . وبين آلة الغناء ، وجمعه إذ ذاك عيذان .

وكذلك (الأمر) مشترك بين القول الخصوص ، - وجمعه إذ ذاك

أوامر - وبين الفعل - وجمعه إذ ذاك أمور ؟

• وقال أصحابنا : الأطهار مذكورة ، فيجب ذكر التاء في العدد المضاف

(١) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي ، وأخرجه الدارقطني وابن رباح ، وقال أبو داود لا يصح .

فيقال : ثلاثة أطهار . والحبيض مؤنثة ، فيجب حذف التاء ، فيقال : ثلاث حبيض . ولما قال تعالى : ﴿ ... ثلاثة قروء ﴾ علمت أنه أراد الأطهار .

وأجاب الحنفية : بأن اللفظ الواحد قد يكون له لفظان : أحدهما مذكر والعكس فيكون التأنيث فيه لفظياً لا معنوياً ، مثل جسد وجنة ، والمراد واحد ، ثم تقول : ثلاثة أجساد وثلاث جثث . ولفظ الحبيضة مؤنث فوجب حذف التاء ، والعكس في القروء^(١) .

فما ذكره ابن الأنباري محتمل ويحتمل ، وبقي لإذن أن الاشتراك في اللغة شغل الأصوليين والفقهاء ، واختلاف الصحابة . كما ذكرنا . دليل كبير على كون اللفظ حقيقة لغوية في كل من المعنيين .

• ويتصل بهذا الخلاف أن المشترك إذا تجرد عن القرينة المعينة للمراد يكون مجحلاً عند المانعين لا عند الشافعي ومن تبعه ، لأنه يحمل عندهم على الكل وإن اقترنت به قرينة تعين واحداً فإنه يحمل عليه اتفاقاً أو قرينة لواحد غير معين فيجمل بالاتفاق ، أما عند الحنفية فظاهر ، وأما عند الشافعي فوجود قرينة صارفة عن الكل .

• وقد جعل الأصوليون الاشتراك في الوضع في مقابلة الانفراد فيه ، فهو قسمه عندهم ، وإن قدم بعضهم المجاز على الاشتراك إذا تعارضاً . كما يظهر من المثال الآتي . فهذا مجال آخر في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾^(٢) بعض يقول : الأمر هنا محمول على الوجوب ، والمخالفون يقولون بل هو الأمر التولي ، وباحتمال أن يراد به الشأن والفعل ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾^(٣) ، وإذا صح إطلاق لفظ الأمر على غير القول

(١) مفتاح الوصول للسانى ٦٠ - ٦٧ ، ٩٦ - ٩٨

(٢) هود : ٩٧

(٣) النور : ٦٣

المخصوص - والأصل - ل في الإطلاق الحقيقة - لزم اشتراك لفظ الأمر بين المعنيين (١) . . .

• وشرط العلماء في آداب البحث والمناظرة لحسن التعريف : ألا يشتمل على لفظ مشترك بين معان متعددة إلا مع قرينة تعين أحد المعاني (٢) .

• والختلاصة :

أن الأصوليين عرفوا المشترك ، وذكروا للتوحيدين والنافعين له ، والسبب في وقوعه :

قالوا : وقال قوم بوقوعه ونفاه ثعلب والأبهري والبلخي .
وقالوا : وإما حقيقة أو مجاز كالعين حقيقة في الباصرة مجاز في غيرها :
كالذهب لصفائه ، والشمس لضياءها .

وإما كلى كالترم : فإنه موضوع للجمع أو الانتقال من قرأت الماء في الحوض إذا جمعته فيه ، أو من قرأ النجم إذا انتقل ؛ لأن الدم يتجمع وينقل .

• وحجة القائلين بوقوعه :

أن أهل اللغة أطبقوا على أن الترم موضوع للطهر والحيض معاً على البذل من غير ترجيح ، وهو معنى الاشتراك ؛ إذ لو كان حقيقة ومجازاً لكانت الحقيقة أرجح ، ولو كان موضوعاً للكلى لما صح قولهم على البذل .
والفائلون بعدم وقوعه يقولون :

إن وجد معه البيان فهذا تطويل وإلا فالتقصود وهو الإفهام .

(١) مفتاح الوصول للتلساني ٧٥ - ٩٣ .

(٢) رسالة الآداب في علم البحث والمناظرة ٥٢ وما بعدها .

والجواب : أن البيان بعد الإجمال أوقع في النفس . وأيضاً لم يفت المنصود : لأنه يفيد فائدة إجمالية ، كما في أسماء الأجناس ، والنسبة للأحكام فائدته الخاصة : في الاستعداد للامتثال إذا بين وأنه مطيع بالزم على الامتثال ، والاستعداد له كما يعصى بخلافه .

قالوا : والسبب في وقوعه :

تعدد القبائل : فيجوز أن تضع قبيلة كلمة لمعى ، وتضعها الأخرى لمعى بدون مناسبة بين المعنيين . وهذا رأى اللغويين ، كما سبق .

ويناقش الأمدى جوازه ووقوعه :

بأنه لا يمتنع عقلاً أن يضمه واحد من أهل اللغة ويوافقه عليه الجاقون . أو تضعه أكثر من قبيلة على الحقيقة من غير شعور بما وضعته الأخرى ، ثم يشتهر الوضعان ، ويخفى سببه وهو الأشبه . . ولو قدر ذلك لما لزم من فرض وقوعه محال عقلاً .

كما استدل بأن وضع اللفظ تابع لفرض الواضع ، وأعطى الواضع حرية تعريف الشيء مجزئاً أو مفصلاً ، إما لأنه علمه مجزئاً فقط ، أو لمحدود يتعلق بالتفصيل ، فل هذه الفائدة - لا يبعد - أن يضع اللفظ مجزئاً من غير تفصيل . وقال أبو الحسين البصري :

« أطلق أهل اللغة اسم القرء على الطهر والحيض ، وهما ضدان ، فدل على وقوع الاسم المشترك في اللغة » (١) .

وقال قوم بضرورة وقوع المشترك : لأن الأسماء متناهية ، والسميات غير متناهية ، وتناهى الأسماء إنما هو لتناهى الحروف .

وقيل : بأن المسميات غير المتناهية ليست كلها بحاجة إلى الوضع .
ونقول : يكفي أن السيارة ستفترض ، والعربية لا تعرف أن تسمى
أجزاءها .

واعترض بعضهم فقال : المقصود من وضع الألفاظ إنما هو التفاهم ،
وذلك غير متحقق في الاشتراك ، من حيث أن فهم المدلول منه - ضرورة
تساوى النسبة - غير معلوم من اللفظ . والقارئ قد تظهر وقد تخفى ، وبتقدير
خفائها يختل المقصود من الوضع وهو الفهم .

وأجيب : بأنه وإن اختلف فهم التفصيل على ما ذكره ، فلا يختل معه
الفهم من جهة الجملة ، وليس فهم التفصيل لغة من الضروريات ، بدليل
وضع أسماء الأجناس ، فإنها لا تفيد تفاصيل ما تحتمل . وإن سلمنا أن الفائدة
المطلوبة إنما هي فهم التفصيل ، فإنما يمنع ذلك من وضع الألفاظ المشتركة ،
أن لو لم تكن مفيدة لجميع مدلولاتها بطريق العموم ، وليس كذلك ، على
ما ذهب إليه القاضي والشافعي رضي الله عنه (١) .

فالتفصيل يفهم من الجملة ، كوضع أسماء الأجناس ، والألفاظ المشتركة
تفيد مدلولاتها بطريق العموم على ما صرح به بعضهم .

• واستدلوا على وقوع المشترك في كلام الله تعالى - كما وقع في اللغة -
بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ (٢) فإنه مشترك بين إقبال الليل وإدباره ،
وهما ضدان ، كما ذكر صاحب الصحاح .

• ومفهوموا المشترك واسمان عند الأصوليين : فهما إما أن يقابنا
كالقمر ، والمين ، أو يتواصلا لجواز اجتماعهما ، فيكون أحدهما جزءاً

(٢) التكوثر : ١٧

(١) الاحكام للامدنى ١٧/١ ، والبزخفى ٢٢١ .

للآخر كالممكن للعام والخاص، أو لازماً له، كالشمس للسكراب وضوئه، وكالرحيم : فإن الجوهري قال : إنه تارة بمعنى المرحوم ، وتارة بمعنى الراحم ، وكلاهما يستلزم الآخر ، فيكون مشتركاً بينهما أى بين الشيء ولازمه (١) .

• وجوز بعضهم فى اللغة أن يراد بالمشارك المعنيان فى النفي لا الإثبات : فنحو لا عين عندي : يجوز أن يراد به الذهب والباصرة مثلاً . بخلاف : عندي عين ، فلا يجوز أن يراد به إلا معنى واحد ، وزيادة النفي على الإثبات موهودة كما فى موهوم النكرة للنافية دون المثبتة ، ومحل الخلاف فيما إذا أمكن الجمع بين المعنيين (٢) .

وهذا رأى جديد وجيه .

وزاد الأصوليون فى بحثهم على اللغويين فقد بحثوا جمع المشترك اللفظى : وقال أكثرهم : بأن جمعه باعتبار معنييه جائز ، كقولك عندي عيون ، وتريد باصرتين وجارية ، إن ساء ذلك فى الجمع - وهو ما رجحه ابن مالك وخالفه أبو حيان - مبنى عليه فى صحة إطلاقه على معنييه ، كما أن المنع مبنى على المنع ، والأقل على أنه لا يبنى عليه فيها فقط : بل يأتى على المنع أيضاً : لأن الجمع فى قوة تكرير المفردات بالمطف (٣) .

وخلاصة رأى الأصوليين والفقهاء فى المشترك اللفظى ، من حيث الوقوع وعدمه هى :

١ - جواز وقوع المشترك فى الكلام مطلقاً : (أى فى القرآن والسنة وغيرهما) .

(١) شرح البذخى والإسنوى ٢٢١ وما بعدها .

(٢) حاشية البنان على المحلى ٢٩٦ . (٣) السابق ٢٩٧ .

٢ - نفى وقوعه مطلقاً ، كقول ثعلب والأبهرى والبلخى : وما ظن أنه مشترك ، فهو - عندهم - إما حقيقة أو مجاز ، أو متواطىء : كالعين : حقيقة في الباصرة مجاز في غيرها كالذهب لصفاته ، والشمس لضيائها . وكالقرء : موضوع للقدر المشترك بين الحيض والطمهر ، وهو الجمع : من قرأت الماء في الحوض أى جمعته فيه ، والدم يجتمع في زمن الطهر في الجسد ، وفي زمن الحيض في الرحم .

٣ - ونفى قوم وقوعه في القرآن الكريم (وأنه واقع فيما عداه) .
٤ - ونفى آخرون وقوعه في القرآن الكريم والسنة النبوية : لأنه لو وقع فإن بين ، فيطول بلا مائدة ، وإن لم بين فلا يفيد ، والقرآن والسنة تنزهها عن ذلك .

وسبق الرد على ذلك .

٥ - وقيل : هو واجب الوقوع : لأن المعانى أكثر من الألفاظ الدالة عليها ، ويعنون المعانى المدلول عليها بالألفاظ لا مطلق المعانى ، إذ من المعانى ما لا لفظ له (كروائح المشومات مثلا) .

وأجيب بمنع ذلك : إذ ما من مشترك إلا ولكل من معنييه مثلا لفظ يدل عليه .

٦ - وقيل : هو ممنوع لإخلاله بفهم المراد المقصود من الوضع .

وأجيب : بأنه يفهم بالتقربة ، والمقصود من الوضع : الفهم التفصيلي أو الإجمالى ، المبين بالتقربة ، فإن انتفتت التقربة حل على المعنيين .

٧ - ويقول الإمام الرازى : هو ممنوع بين التقيضين فقط ، كوجود الشئ وانتهائه : إذ لو جاز وضع لفظ لهما لم يقد سماعه غير التردد بينهما ، وهو حاصل

في العقل ، وأجيب : بأنه قد يفقل عنهما فيستحضرهما بسماعه ، ثم يبحث عن المراد منهما^(١) .

وبعد :

فقد رأينا جهود علماء الأصول في بحث المشترك ، وقد وفوا أبحاثه حقها من الدقة والتمحيص ، والإحاطة والشمول ، بغير ابتسار لنصوص اللغة ، ولا قهر وإلزام لأحكام الشريعة . .

وكانوا منصفين وأمناء في عرض وجهة نظر مخالفهم وأدلتهم بمقتضى الأمانة العلمية وروح الإنصاف .

وكما استعانوا على الاعتراف بوجود المشترك بالأدلة العقلية والنقلية ، وتعقب كل الاعتراضات الفعلية أو المتخيلة بالإيراد والبحث الهادئ ، ثم الرد المقنع والدليل الناصع المرضي .

ولم يفرقوا بين المشترك اللفظي والمتضاد : لأن المتضاد جزء من المشترك اللفظي كما تقرر .

وأخيراً لم يكن - إذن اشتغال الأصوليين بالمبادئ اللغوية من الفضول - كما قال بعضهم - وإنما كان من الأصول والواجب والمعقول .

تلك كانت جولة قصيرة مع الأصوليين في موقفهم من المشترك اللفظي عامة ، ورأينا فيها أنهم أثبتوا المشترك اللفظي ، واعترفوا به حقيقة واقعة في لغتنا ، ودارت معه أحكامهم وتفرعاتهم على هذه الأحكام حلاً وحرمة ، وجوازاً ومنعاً ، وحتماً واحتمالاً ، ويقيناً وشكاً ، وترجيحاً وتخليفاً ، ورأيناهم في بحثهم هذا أكثر تنظيماً ، وأشد احتياطاً ، وأحكم تقسيماً ، وأذكي أخذاً ورداً ، وجمعاً ومنعاً .

ومن قبل وجدنا القدامى من شيوخ المفسرين ، مثل : ابن جرير الطبري
يقفون مع اللفظ من المشترك اللفظي وقفة تمحيص دقيق ، ثم اعترف صريح
بأن المشترك اللفظي ممكن الوقوع عقلا في لغتنا ، وواقع فعلا في استعمالها ،
الأمر الذي حدا بالطبري أن يقرر في وضوح عند تقريره : بأن اللفظ أحيانا
يحمل أكثر من معنى ، وإذا أمكن حمله على أكثر من معنى عند التفسير ،
فلا يجوز قصره ولا قصره على معنى معين ، ما دام لم يقف معناه على معنى
معين بتفسير من تنزيل مقدس ، ولا وحى معين .

وكثير من كبار المفسرين اعترفوا بوقوع المشترك اللفظي في القرآن
الكريم ، كما بيناه في (الصريم) و (خفي) و (ظن) و (أَسْرَوْ النِّجْوَى) ...
فالمشترك اللفظي واقع في اللغة .

المدخل والمشجر والمسلسل

المدخل والمشجر والمسلسل : عنوانات الكتب حملت هذه الأسماء ،
لفن طريف من فنون اللغة يلحق بالمشارك ، أساسه :
تسلسل الألفاظ وتداخلها وشرحها ، والإلماح إلى وشائجها : فتذكر
الكلمة وتفسر بكلمة ثانية ، وتفسر الثانية بثالثة ، والثالثة برابعة ، وهكذا . .
مع الاستشهاد على بعض المعاني بشاهد نصيح .
وقد ابتداء هذا الفن في القرن الثالث ، واستمر حتى القرن السادس الهجري ،
إذ أن من ألف فيه - فيما علمنا - ثلاثة من أئمة اللغة ، وكتبهم التي وصلتنا هي :

* * *

• المدخل في اللغة :

الإمام أبو عمر المطرز البغدادي ، المعروف بالزاهد (٣٦١ - ٤٣٥ هـ)
والمتق بعلام ثعلب .

ألف كتابه : المدخل في اللغة . وأخرجه وحققه الأستاذ محمد عبد الجواد .
والذي دعا الزاهد إلى تأليفه : كثرة حفظه ، ووفرة محصوله في اللغة ،
وإلمامه بالمشارك اللفظي وإن بدت ألفاظه غريبة ، ومعمنة في البداوة ، واستعرض
فيها الزاهد قدرته اللغوية ، وبصره باللغة وغريبها .

وقد جمعه في واحد وثلاثين باباً ، رواها عن أستاذه ثعلب ، عن
ابن الأعرابي ، أو عنه عن عمرو عن أبيه : حماد بن مرارة الشيباني ، عن
أبي نجرة ، عن أبي زيد : سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، أو عن
سليمة بن الكراء ، كما جاء في سديد الأثر .

وسندكر نموذجاً لهذا الفن الطريف من كتاب « المداخل في اللغة » ، في آخر هذا الكتاب بإذن الله .

* * *

• شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة .
هذا هو الكتاب الثاني ، صنعه الإمام أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي المتوفى (سنة ٣٥١ هـ) تلميذ المطرز .

وقد حققه وقدم له - أيضاً - الأستاذ محمد عبد الجواد جزاءه الله الخير .
وعلى التسمية - كما جاء في مقدمة كتابه - لاشتجار بعض كتابه ببعض
أى تداخله ، ومنه سميت الشجرة شجرة لتداخل بعض فروعها في بعض ..
وشجر الدر يعتبر أكثر سهولة ، وألفاظه أخف وأرشق ، على عكس
المداخل الذى أظهر فيه الزاهد براعته اللغوية ، فجاءت ألفاظه تميل إلى
البداهة ، وتعمق في الغرابة .

والمسلسل جاء وسطاً بين هذا وذاك .
ويتألف كتاب « شجر الدر » من مقدمة وست شجرات ، منها خمس
ذوات فروع ، والسادسة لا فروع لها .
وترجم أبو الطيب كل باب بشجرة ، أصلها كلمة ، يبنى عليها مائة كلمة ،
وتتضمن من الشواهد عشرة أبيات ، وكل فرع عشر كلمات فيها من
الشواهد بيتان .

والشجرة الأخيرة عنده فيها خمائة كلمة ، أصلها كلمة واحدة .
ويمكننا القول : بأن أساس وضع كتاب « شجر الدر » أولاً هو :
الاشتراك اللفظي ، بقبوب الأشجار وفروعها .

وسندسوق نموذجاً له في الملحق بآخر هذا الكتاب إن شاء الله .

• السلسل في غريب لغة العرب :

هذا هو الكتاب الثالث ، الذى يكون مع السكتابين السابقين - على تفاوت الزمان والمكان - وحدة لغوية يتم بعضها بعضاً :

« كتاب السلسل في غريب لغة العرب » لأبى الطاهر محمد بن يوسف ابن عبد الله التميمي الأندلسي ، المتوفى (سنة ٥٣٨ هـ) بقرطبة .

والكتاب يحتوى على خمسين باباً ، كل باب يفتتح ويختتم بشاهد شعري ، يأخذ من الشاهد الأول : الكلمة التى يجعلها أساساً للسلسل ، ويكون الشاهد الأخير استشهداً على معنى الكلمة الأخيرة فى الباب .

ويبدو أن التميمي لم يطالع على المشجر ، ، وإنما اطلع على المداخل ، للزاهد فاستنزره ، وأفرغ جهده فى « السلسل » ، فكشف عن مقدرة لغوية ثرة ، وشواهد قوية ، وألفاظ كثيرة .

وسبب تأليفه للكتاب ، هو - كما جاء فى مقدمة كتابه :

أن معرفة اللغة ضرورية ، لأنها (لسان العلوم الشرعية ، والهادى إلى المعرفة الأصلية والفرعية ..

وأنه لا يوصل إلى معرفة كتاب الله تعالى ، ومعرفة حديث رسول الله ﷺ ، وصحابه والتابعين وأئمة الهدى من أمته ، إلا بحفظ لغات العرب وأصنافها ، والأنس بإطرائها وإيجازها ، وإبلاغها وإيجازها ، وتوسعها وإيجازها ...

وذكر أنه اطالع على : كتاب المداخل فى اللغة لأبى عمر المطرز ، رحمه الله ، فاستنزرته لقدره ، ولم أحظ به لاله فيه ولا بدره ، فرأيت أنه رأى لم يعرف تعامه ، وغرض لم تقرطنة بهامته .

فركنى ذلك إلى صلة ما ابتدأ ، وتمكين ما رسم منه وأنشأ .
واقترضت ذلك في خمسين باباً ، افتتحت كل باب منها بشعر عربى ، ثم
ختمت الباب بمثل ذلك ...

وشواهد السلسل ، كثيرة تجمع بين الغريب والمستعمل .
وهذه الكتب الثلاثة - كما قلنا - تؤلف وحدة لغوية متكاملة ، إذ
يكمل بعضها البعض ، ولا يستغنى عن واحد منها .

وأصحابها من علماء اللغة الأعلام ، الذين أبلا البلاء الحسن فى حفظ
تراثنا ، ورعاية لغتنا ، حسبة لله تعالى ، فجزاهم الله خير الجزاء .

ومثل هذه التأليف حرة بأن تغرى النشء على حفظ اللغة ، والإلمام
بمفرداتها وغريبها ، وتقيد شدة الأدب بعمرة مواطن استعمالها ، فى زمن
انصرف فيه الناس إلى السحطية ، وقنعوا من الغنمية بالإياب ، ولم يصبروا
على بذل جهد ، ولا إتمام بحث .

على أن الحافظ الأكبر لتأليف هذه المصنفات الثلاثة :
كان هو الولوع بالمشترك اللفظى ، الذى شد أنظار اللغويين ، وجذب
انتباههم .

وما فى هذه المؤلفات من المشترك اللفظى سيضيف جديداً إليه ، وهو
من ناحية أخرى تأكيد لوقوعه فى لغتنا وتثبيت وتأيد .
كما أنها تعرضت - أيضاً - لشق هائل من وسائل تنمية لغتنا العربية ،
ألا وهو المشترك المعنوى .

ونشير إلى أن أصحاب هذه المؤلفات الثلاثة لم يفرقوا بين اللغوى الحقيقية
والجارية فيها ذكرها من الشرح والتفسير :

فقد فسر أبو الطيب (الأذن) بالسليم القلب . (والإصبع) بالآثر الحسن . (والأصابع) : بالفواضل من الله عز وجل . (والبسرة) بالجارية الرطبة البدن . .

وذلك إما لأنهم اعتبروا خطوات المجاز منسية ، أو لكثرة الاستعمال في المعنى الثانى ، حتى طغى على الأول ، أو أن المراد أمام السكتاب على النقط المقصود والمرسوم ، ولما لو أرادوا الإيمان بالحقيقة خالصة وحدها لأنوا وما هجزوا عن ذلك : فقد جاء غيرهم بتفسير القرآن الكريم خال من النقط ، كقدرة لغوية طويلة النفس ، وفيرة المحصول ، بصيرة الرؤية .



الأضداد في اللغة العربية

• الأضداد :

اتصل العرب بلغتهم اتصالاً وثيقاً ، لا نرى له مثيلاً في الأمم الأخرى . وأسعقتهم بما يعوزهم ، ووفوا لها فكانوا أمناء محافظين عليها ، وشرفت بالقرآن والسنة ، فازدادت منزلتها سمواً ، وانبرى العلماء ، يضبطونها ، ويوثقونها ، ويدونون جهدهم في رسائل ذات طابع خاص أو عام ، أو يكون لها في الغرابة نصيب ، أو لها طابع من ظاهرة لغوية معينة ، مثل : غريب القرآن ، أو الحديث ، أو الأضداد .

وتأخر توثيق رسائل الأضداد حتى القرن الثاني الهجري ، وإن نبه عليها الأقدمون ، وتحدثوا عنها ، والتفتطوا أمثلتها .

وظلت مشكلة الأضداد غامضة في العربية ، وطال النقاش والجدل فيها ، مع كثرة البحوث والكتابات حولها في أقدم ما يكون قدامة ، وفي أحدث ما يكون حداثة . . وأسأل الله أن يعينني على إضاءة شمعة على الطريق ، توضح المشكلة ، وتفصل فيها .

* * *

• تقسيم الكلمة والكلام :

قسم القدماء الكلمة - كما سبق أن أشرنا - إلى اسم وفعل وحرف ، وقالوا : إن أول من قسمها على هذا النحو هو الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(١) .

وقسموا الكلام العربي على هذا النحو :

(١) ترجمة الألباء لابن الأثير ٢

- (أ) اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، نحو : الرجل والمرأة .
 (ب) واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، نحو : جلس وانطلق .
 (ج) واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، كقولك : وجدت عليه ، من
 الموجدة ، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة ، والأمة لمعانها الكثيرة ، والجنون
 للأبيض والأسود^(١) .

واعتبر قطرب الأول الأعم الأكثر ، لأن أكثر الكلام عليه ، وذكر
 أنهم أرادوا بالثاني : اختلاف اللفظين وإن كان الواحد مجزئاً أن يوسعوا
 في كلامهم وألفاظهم ، كما زاحقوا في أشعارهم ليتوسعوا في أبيتها ولا يلتزموا
 أمراً واحداً . وذكر قطرب أيضاً أن من النوع الثالث ما يكون متضاداً في
 الشيء وضده ، وروى ابن الأنباري أن قطرباً اعترض على الصنف الثاني
 (المترادف) ، وأعلن أن كل كلمة منها لها معنى ليس في أختها ، أحياناً نعرفه
 وأحياناً لا نعرفه وسنبحث ذلك في الكلام على المترادف ، ويقول قطرب :
 « وإنما خصصناه (الضد) بالاخبار عنه لقلقه في كلامهم ولظرافته »^(٢) .

* * *

• التضاد نوع من الاشتراك :

يقول أبو الطيب اللغوي في صدر كتابه : « الأضداد جمع ضد ، وضد
 كل شيء ما نافاه ، نحو البياض والسواد ، وليس كل ما خالف الشيء ضداً له :
 ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين ؟ وإنما ضد القوة الضعف ،
 وضد الجهل العلم ، فالاختلاف أعم من التضاد : إذا كان كل متضادين مختلفين ،
 وليس كل مختلفين ضدين »^(٣) .

(١) الكتاب السميوي ٧/١ ، والأضداد لقطرب ٢٤٣ من مجلة إسلاميكاهاتر كوفلر
 (ألمانية) ، والصاحي ٩٦ ، وأضداد ابن الأنباري ٦ ، والخمسي ٢٥٨/١٣ ، والزهر

وكلام أبي الطيب هذا صحيح ما ورد في مقدمة كتاب السجستاني بأن :
 « ضد الشيء خلافه وغيره » . وأزال إسهام التعريف - كما سنرى - للأضداد .
 وإذا كان التضاد نوعاً من الاشتراك ، فهو من أعجب ما في أمر هذه
 اللغة : لأنه إيقاع اللفظ الواحد على معنيين متناقضين . ومثل ذلك إذا لم تصح
 فيه الحجة ، ولم ينهض به الدليل كان حيناً : لما فيه من التباس أطراف الكلام
 ورجوع بعضه على بعض بالنقض . غير أنه - كما يقول الرافعي - لما « أصحب
 من القرينة بما يوضح تأويله ، ويعين جهة انطاب فيه ، وذلك ما لا يمكن أن
 يغمز فيه على العربية ، وهي بخصائصها ، وسنن أهلها في الوضع والتصرف ،
 تعتبر كالعقل المدرك في جسيمة اللغات »^(١) .

وبين السيموطي العلاقة بين المشترك والتضاد ، فقال : « هو - التضاد -
 نوع من المشترك »^(٢) . وذكر أن بعض العلماء أبدوا ذلك ، وذهبوا إلى :
 « أن المشترك يقع على شيئين ضدين ، وعلى مختلفين غير ضدين ، فما يقع على
 الضدين كاللون ، والجلل ، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالمون »^(٣) .
 وليست لغتنا بدعاً في ذلك ، وإنما شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى .
 وذكر الأستاذ الأنطاكي :

إن هناك آخرين ممن لا يسمون بالمشترك إلا إذا دل على معنيين
 لا رابط بينهما . . يرى هؤلاء : أن التضاد ليس نوعاً من المشترك ، لأن
 المتضادين تجمع بينهما صلة من نوع ما ، فالجامع بين الأبيض والأسود إنما
 هو اللون . والجامع بين الكبير والصغير أن كلا منهما حجم ، ولولا هذه

(١) تاريخ آداب اللغة الرافعي ١٩٧/١ (٢) الزهر ٣٨٧/١

(٣) السابق ٣٨٧/١

الصلة لما كان المتضادان ضدين : إذ أن الضدين شيئان اشتركا في صفة ، واختلفا في مقدارها^(١) اهـ .

والحق : أن التضاد نوع من المشترك لما سلف ، لأن المعاني حينها تنفجر زوايتها حتى تنعكس كسان تماماً ، تأتي الأضداد اللغوية .

• تعريف الأضداد :

بقول الزبيدي : « الضد » بالكسر : كل شيء ضاد شيئاً ليغلبه ، والسواد ضد البياض ، والموت ضد الحياة ، قاله الليث . . والضد والضديد : الضد والشبيه والقرين .

وعن الأخفش : الند : الضد والشبه ، ومنه : ﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ﴾^(٢) أى أضداداً وأشباهاً .

والضد : ضد ، كما قال أبو عمرو ، قال تعالى : ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾^(٣) . أى تكون الأضداد أعواناً على عابديها يوم القيامة ، وقال عكرمة : أى يكونون أعداء عليهم يوم القيامة . وسمع أبو تراب من زائدة : ضده وضده : صرفه ومنعه برفق . وفي الصحاح : الضد بالفتح الل : ضد ،^(٤) .

وقال قطرب : ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعداً ما يكون متضاداً في الشيء وضده ،^(٥) . فقد توصل قطرب من تصرف المشترك ، بأن منه قسماً يزداد التخالف فيه إلى التضاد . . وهذا التعريف غير شامل ولا دقيق .

(٢) فصلت : ٩

(١) الوجيز في فقه اللغة ٣٧٦

(٤) تاج العروس ٤٠٥/٢

(٣) مرجع : ٨٢

(٥) الأضداد لقطرب ٢٤٤ من مجلة اسلاميكا (الألمانية)

ومثل تعريف قطرب ، تعريف أبي حاتم السجستاني لها بقوله : « ضد الشيء خلافه وغيره »^(١) ، إذ ليس كل ما خالف المعنى ضد .

وقال ابن الأنباري : « هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة : فيكون الحرف منها مؤيداً عن معنيين مختلفين »^(٢) ، فذكر في صدر التعريف ما يقربه من الهدف ، وذكر في آخر التعريف ما أوقعه في اللبس .

وتعريف أبي الطيب اللغوي أقرب إلى الدقة ويوضح كل لبس ، يقول : « الأضداد : جمع ضد . وضد كل شيء مانافاه نحو البياض والسواد ، والسخاء والبخل » ، وأبان قصور التعاريف السابقة ، قوله بعدئذ : « وليس كل ما خالف الشيء ضداً له . ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين ؟ وإنما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم . فالاختلاف أعم من التضاد : إذ كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين »^(٣) . فالأضداد هي الألفاظ التي يدل الواحد منها على معنيين متضادين .

* * *

• التصنيف في الأضداد :

وضع القدماء والمحدثون من العرب ، وغيرهم من المستشرقين مصنفات كثيرة في الأضداد ، منها ما وصلنا ، ومنها ما لم يصلنا ، ولكننا سمعنا عنها ، أو قرأنا نماذج لأمثلتها ، في السكتب التي ذكرتها :

• أولاً - من تأليف العرب في الأضداد :

استمر التأليف في الأضداد عند علماءنا اللغويين منذ القرن الثالث

(٢) أضداد ابن الأنباري (المقدمة)

(١) أضداد السجستاني (المقدمة) .

(٣) أضداد أبي الطيب (المقدمة)

المجرى ، حتى منتصف القرن السابع الهجرى (٨٢٠٦ - ٨٦٥٠) ومن هذه الكتب :

١ - « كتاب الأضداد » لأبى على المسكين ، المعروف بقطرب (المتوفى ٨٢٠٦ هـ) .

وقد نشره المستشرق (هانز كوفلر) وعلق عليه فى مجلة (إسلاميك) سنة ١٨٣١ فى المجلد الخامس من المجلد من (ص ٢٤١ - ٢٩٣) مع فهرس لألفاظ الأضداد^(١) .

٢ - « الأضداد » لأبى سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى ، (المتوفى حوالى سنة ٢١٦ هـ) وقد طبع بتحقيق المنشرق (أوجست هافنر) فى بيروت سنة ١٩١٣ مع كتب أخرى فى الأضداد للسجستانى ، وابن السكيت ، والصغاني ، مع تعنيقات وحواش للأب (أنطون صالحانى اليسوعى) ، واطلعت على نسختها فى بيروت ، وعنوان الكتاب : « المقلوب لفظه فى كلام العرب عن عن جهته والأضداد » .

٣ - « كتاب الأضداد والضد فى اللغة » لأبى عبيد القاسم بن سلام المروى ، (المتوفى ٢٢٢ هـ) : مخطوط فى خزانة عاشر أفندى رقم ٨٧٤ ، كما ذكر (بروكلمان)^(٢) .

٤ - كما صنف فى الأضداد : أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون التوزى ، (المتوفى سنة ٢٣٨ هـ ، أو سنة ٣٤٠ هـ)^(٣) .

٥ - « كتاب الأضداد » لأبى يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت ،

(١) وأحضرت مصورة منه من مكتبة برلين النامة .

(٢) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ١٦٧/١

(٣) الزهر ٣٩٧/١ ، وراجع مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة) ٢٢٨/٢ - ٢٤٤

(المتوفى حوالى ٢٤٤ هـ) ، نشره (أوجست هافنر) ضمن مجموعة كتب الأضداد ، في بيروت سنة ١٩١٣ م .

٦ - « كتاب الأضداد » لأبى حاتم بن محمد السجستاني (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ) ، ونشره (أوجست هافنر) ضمن مجموعة كتب الأضداد السابقة .
٧ - « كتاب الأضداد » لأبى بكر محمد بن القاسم المعروف بابن الأنبارى ، (المتوفى سنة ٣٢٧ أو ٣٢٨ هـ) ، نشره (هوتسما) فى (ليدن) سنة ١٨٨١ ، على أساس مخطوطة (ليدن رقم ٥٥) ، وأخيراً حققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، وطبع فى الكويت سنة ١٩٦٠

٨ - « كتاب الأضداد فى كلام العرب » لأبى الطيب عبد الواحد ابن على الحلبي اللغوى (المتوفى سنة ٣٥١ هـ) ، طبعه المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٦٣ بتحقيق الدكتور عزة حسن (١) .

٩ - « الأضداد فى اللغة » ، لأبى محمد سعيد بن المبارك ، المعروف بابن الدهان النحوى (المتوفى سنة ٥٦٩ هـ) ، وهو بلاشواهد . وقد حققه ونشره الأستاذ محمد حسن آل ياسين ، فى بغداد سنة ١٩٦٣ فى (نقائس المخطوطات) (٢)

١٠ - « كتاب الأضداد » لأبى الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصفافى ، وهو بلاشواهد . (المتوفى سنة ٦٥٠ هـ) ، ونشره (أوجست هافنر) وطبعه ضمن مجموعة كتب الأضداد ، فى بيروت (٣) .

١١ - وصنف فى الأضداد أيضاً : أبو عبيدة ميمون بن المنفى (المتوفى سنة ٢١٠ هـ) . وقد أشار إلى ذلك فى كتاب « العقمة والبررة » لأبى عبيدة

(١) وقد أهدانيه المجمع مشكوراً . (٢) وقد أهدانيه المحقق مشكوراً .

(٣) وعندي نسخة منه .

ابن معمر بن المثنى (فى مجموعة نواذر المخطوطات) ص ٣٣٩ جاء فيها :
وذكروا أن له كتاباً فى الأضداد ، ذكره ابن النديم . وياقوت ، وابن خلكن .

١٢ - وصنف فى الأضداد : أبو العباس ثعلب . كما فى فهرسة
ابن خير (٣٨٤)^(١) .

١٣ - وصنف فى الأضداد : عبيد بن ذكوان ، من وراقى المبرد ، (كما فى
الفهرست لابن النديم ٦٠)^(٢) .

١٤ - وذكر السيوطى فى (المزهو ١ / ٣٩٧) بأن ممن ألف فى الأضداد :
أبو البركات بن الأنبارى .

ويلاحظ :

(أ) أن كتب أبى عبيدة ، والقوزى ، و ثعلب ، وابن ذكوان
وأبا البركات بن الأنبارى : لم تصلنا حتى الآن .

(ب) وأن أبا الطيب ذكر قطرباً كثيراً ، والأصمعى ، والسجستانى ،
والقوزى ، ولكنه لم يذكر ابن السكيت ولا ابن الأنبارى (السكونيان)
مع أنهما معاصران له^(٣) .

(ج) وأن (هافنر) يرى أن كتاب ابن السكيت نسخة ثانية لكتاب
الأصمعى ، لكثرة ما نقل عنه . أو رواية ثانية من ابن السكيت لكتاب
الأصمعى ، والأستاذ محيى الدين توفيق إبراهيم يرى فى كتابه « ابن السكيت
اللفوى » : أن ما نسب إلى الأصمعى من كتاب الأضداد : إنما هو
لابن السكيت ، ويعتقد أن كتاب الأصمعى فى الأضداد مفقود . ويشارك

(٢) السابق نفسه .

(١) نصوص فى فقه اللغة ليقوب بكر ١٠٧

(٣) مقدمة أضداد أبى الطيب (للمحقق) .

الدكتور رمضان عبد التواب في هذا الرأي ، وأن ابن السكيت استعان في تأليف كتابه بكتاب الأصمى للمفرد^(١) .

(د) وأن كتابي ابن الدهان والصفاني مختصران محبوبان على حروف المعجم .

(هـ) وأن الكتب التي سردناها آنفاً كلها كتب كاملة في موضوع الأضداد برمتها .

(و) وقد استمرت أبحاث المحدثين بعدئذ حتى الوقت الحاضر .

• ثانياً - كتب ذكرت أبواباً خاصة عن الأضداد :

ذكر بعض العلماء فصولاً خاصة عن (الأضداد) في كتبهم ، مثل :

١ - « أدب السكاتب » لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) ، وجاء فيه :

(أ) باب تسمية المتضادين باسم واحد .

(ب) باب أفعلت وأفعلت بمعنيين متضادين .

(ج) باب فعلت وفعلت بمعنيين متضادين .

٢ - وفي « فقه اللغة وسر العربية العربية » لأبي منصور عبد الملك الثعالبي

(٤٣٠ هـ) : فصل في « تسمية المتضادين باسم واحد » .

٣ - وفي كتاب « المختص » لابن سيده أبي الحسن علي بن إسماعيل

(٤٥٨ هـ) فصل عن الأضداد ، في السفر الثالث عشر .

٤ - وفي « الزهر » للسيوطي (٩١١ هـ) فصل في « معرفة الأضداد » .

٥ - وذكر أبو عبيد ، في كتابه : « الغريب المصنف » : (باب الأضداد)

• ثالثاً - كتب ذكرت أمثلة للأضداد :

١ - في « ديوان الأدب » للفارابي . من الأضداد : المقلب ، وناء ،
والبين ، وغرض القرية ، والحوز (للسوق اللين والشديد) .

٢ - وفي « الصحاح » : الرس ، وعسمس ، وأمرست ، والأشراط ،
وقفوتى (أى خيرتى التى أعترز بها ، أو تهمتى) ، والمسكل (الجاد الشجاع
والجبان) ، ونصل السهم .

٣ - وعدد ثعلب ، فى مجاز الكلام وتصاريفه من الأضداد : مغازة ، ومُنة ،
وقسط ، والساجد ، والقنيص ، والغريم .

٤ - وفي « نواذر » ابن الأعرابي : القشيب ، والزوج ، وجزتك
وجزت بك .

٥ - وفي « أدب الكاتب لابن قتيبة » : فوق ، ودون .

٦ - وفي كتاب « المقصور والمدود » للأندلسي : الشرى (وذال المال
وخياره) .

٧ - وفي « المجمل » لابن فارس : المجانيق (للابل الضمر ، أو السمان)
وإنهـا من الأضداد . وحكى ابن دريد فى « المجمل » تظاهر القوم إذا
تدابروا ، فكأنه من الأضداد ، وفيه : العقوق : الحامل ، والحائل أيضاً .

٨ - وفي كتاب (المشاكهة) للأزدى : متين (للقوى والضعيف) .

٩ - وفي (الأنفال) لابن القوطية : أقنع : رفع رأسه ، أو نسكس ،
وأشجذ المطر : (أقلع ودام ، من الأضداد) .

١٠ - وفيما اتفق لفظه واختلف معناه : للمبرد : جلى ، وظن ، وشك .

١١ - وفي « الجهرة » لابن دريد : « البك » (للتفريق والازدحام) ،
والشرائر (للحماية والحفظ أو لقاء التقتل) ، وسوى ، والغابر ، والنبيه
(للضائع والموجود أيضاً) .

١٢ - وفي نواذر أبى زيد : البسل ، والجادى .

١٣ - وفي « القاموس المحيط » أكت (انطلق مسرعا أو قعد) ،
وقعت العطية : (أجزلها أو قللها) ، والشحشح : (مايسيل من المطر الكثير
أو القليل) ... الخ ، من الشيء الكثير .

١٤ - وذكر القلقشندي ألفاظا منها : الجون ، والقرء ، والصريم ،
ووراء .. وقال : إن في أدب السكاتب « جملة من ذلك ، وكذا في صناعة
السكاتب » لأبي جعفر النحاس أيضا ، وكذا في « كنز السكاتب » لكشاجم ،
وذكر القلقشندي - أيضا - الحاجة إلى معرفة الأضداد للتمييز بين الحقائق
التي يقع فيها اللبس ،^(١) ، فلا بد من معرفته .

وهذه الألفاظ التي ذكرت في السكاتب التي تناولتها ربما عثرنا عليها
في كتب الأضداد التي ذكرناها ، أو لم نعتز على بعضها ..

وقد رأيت كتباً قيمة تناولت هذه الألفاظ وغيرها ، وفسرها كبار
الشراح بأنها من الأضداد واستشهدوا لها .. وهذا ما لفت نظري إلى أنها
أكد وأوثق في باب الأضداد ، وسنعود إلى الإشارة إليها وإلى بعض
شواهدا ، والكتب المختلفة التي تناولتها ، والعلماء الذين فسروها .

• أبحاث المستشرقين في الأضداد :

بحث المستشرقون الأضداد في اللغة العربية^(٢) ، ونذكر منهم :

١ - « ردسلوب » ، الذي كتب : (الأضداد في العربية) سنة ١٨٧٣ م .

٢ - والمستشرق « جيز » له : دراسات في الأضداد ، على أساس ماورد

منها في الشعر العربي القديم سنة ١٨٩٤ م .

٣ - والمستشرق « نولدكه » بحث قيم في الأضداد سنة ١٩١٠ ، وتعرض

- أيضاً - للأضداد في اللغات السامية الأخرى .

٤ - وفي دائرة المعارف الإسلامية ، (الطبعة الإنجليزية ١/١٨٤-١٨٦) ،
كتب المستشرق « وابل » بحثاً تحت مادة : (أضداد) .

٥ - ونظم « جاك برك » أبحاثاً ومناقشات رأسها « بلاشير » ، عن
الأضداد في العربية وغيرها بالمدرسة العملية للدراسات العليا بالسوربون سنة
١٩٦٠ ، وتحدث فيها « داود كوهين » ، عن (محاولة لتصنيف الأضداد
وتفسيرها) . كما تحدث في الأبحاث والمناقشات كثيرون ، وضم كل ذلك
في كراسة عن (الأضداد) في العربية وغيرها .

٦ - ونشر « داود كوهين » بحثاً موسعاً في مجلة (عربي) في المجلد الثامن
في يناير سنة ١٩٦١ من صفحة ١ - ٣٩ . بعنوان (الأضداد والغموض اللغوي
في العربية) .

وما زالت الأبحاث تقوإلى على هذا الموضوع تأييداً لإثباته . أو نفيًا
لوجوده . أو توسطًا بين هذا وذاك .

* * *

• الأضداد والمشارك اللفظي في غير العربية :

يكاد يجمع الكثيرون على أن المشارك اللفظي يوجد في جميع اللغات ،
غير أن بعضهم يرى أنه لا تضاد في غير العربية .

والحقيقة أن معرفة أخوات العربية من الساميات ، ونشاط البحث فيها
فتح أبواباً ما كنا نعرفها :

فقد توصل الدكتور كمال ربحي في كتابه : « الأضداد في العربية » . .
من خلال أحاديثه مع بعض رجال العبرية والسريانية اللغويين إلى أنهم
اعترفوا « بوجود ألفاظ قليلة جداً في اللغتين العبرية والسريانية . وأنهم
يروون أن لسكل من هذه الألفاظ معناه الخاص . وأن الاستعمال لم ينصرف

إلى المعنى المضاد لإلاداع بلاغى كالفناؤل أو التهم . أو اجتناب التناظ بما
يكروه أو يمجبه الذوق ، أو بما لم يؤلم المخاطب . بمعنى تلطيف التعبير عن
شئ بغيره .

ويقول : إنه أمكنه فى دراسته العثور على ألفاظ عبرية وسريانية تدل
على المعنى وضده ويخرج معظمها عن نطاق ماسى بتلطيف التعبير^(١) .
وهذا القول من الدكتور ربحى كمال يشجب قول القائلين بأنه لا تضاد
فى العبرية (المقدسة) كما قال الأستاذ إبراهيم بن عزرا (١٠٩٢-١١٦٧ م)
حيثما جزم بأن هذا لا يمكن حدوثه فى أية لغة (كذا) لأن الكلمات
كعلامات يراد بها الدلالة على ما فى نفس المتكلم : فإذا كانت الكلمة على
النحو الذى يزعمونه (من وجود الأضداد) لم يقيسر الفهم للسامع^(٢) . ففى
كلام بن عزرا مقابلة ، إذ ليته نفى الأضداد من العبرية وحدها وسكت ،
ولم يعمم الكلام على أية لغة .

وذكر الدكتور ربحى : أن الاشتراك ظاهرة مألوفة فى اللغات السامية .
وأكد كباحث ، له إلمام ببعض أخوات العربية : أن من التعسف إنكار
التضاد ، ومحاولة تأويل أمثله جميعاً لإخراجها من باب التضاد^(٣) . .
والشعوبيون الذين يقتبسون مثالب العرب ، وينكرون عليهم مزاياهم ، رموا
العرب بنقصان الحكمة وقلة البلاغة وكثرة الالتباس فى كلامهم ، لورود
ألفاظ التضاد فى لغتهم . وهذا رأى باطل كما ذكر ابن الأنبارى^(٤) .

وعقد الدكتور ربحى مقارنات بين كلمات عبرية وآرامية ، وسريانية ،
وعربية ، جاءت أحياناً قريبة من بعضها وأحياناً بعيدة ، ونحمد الله على أن

(٢) نصوص فى لغة اللغة لبيكر ١١/٢

(٤) السابق الفصل من أنبارى ، ٤

(١) الأضداد لربحى كمال ٢١ ، ٤ ، ٣

(٣) الأضداد لربحى كمال ٤ - ٩

مقارناته من لغات مختلفة حتى لا يتلفها علماء الأصوات اليوم ، ويقولون :
إن ما حدث إنما هو نتيجة لتطور صوتي . وهناك نموذجاً لما أتى به^(١) :

عبري	آرامي	سرياني	عبري
أرض	أرعا	أرعا	أرض
هن	هين	لبن	إن (نعم)
يشف	يثب	يثب	وئب (جلس)
مزموور	مزموورا	مزموورا	زبور (مزموور)

ثم عقد الدكتور ربحي مقارنات لما عثر عليه من ألفاظ الأضداد :
في العبرية ، وما اتفق مثله معه في الأضداد في العربية مثل :

(أون) في العبرية بمعنى القوة واللم ، ومثلها (الأون) في العربية
تطلق على الدعة والنقل ، ومثل لها في اللغتين .

وفي العبرية (أمر) بمعنى : قال ، أيقن ، ظن . وفي العربية (ظن) :
بمعنى شك ويقين .

وفي السريانية (أمر) ، بمعنى : قال ، أيقن ، ظن .

وفي العبرية (آز) ظرف زمان ، للماضي والحاضر والمستقبل . ويقابلها
في العربية (إذ ، وإذا) .

وفي العبرية والعربية والسريانية : (بشر) للبشارة والإنذار (في البشارة
السينة كما في بشارك أيوب ، في الإصحاح الأول من سفر أيوب عليه
السلام) ، وفي القرآن الكريم ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾^(٢) . وأتى بشواهد
من العبرية والسريانية لذلك .

(وجلل) ، وجليل يطلق على الكتلة الصغيرة ، وعلى الحجر الكبير الثقيل ، ويقابله في العربية : (الجلل) المستعمل في الجليل والمهين .
وكذلك (حصر وحضر) لأهل البادية والحضر في اللغات الثلاثة . .
وكذلك (نمان) والأمين : للأمين والوثمن . : و (نهيلة) وناهل للريان والعطشان . والنفس والنفس ، للنفس الحية وجسد الميت وساق أمثلة لذلك في اللغات الثلاثة . (وناع وناء) : نهض وسقط . (وشفر وبثر) الماء القليل والكثير^(١) .

ثم عقد الدكتور فصلاً لألفاظ الأضداد في السريانية ، وقابله بالعربية مثل :
(أجير) وأكرى للمكترى والمكترى . و (هلع) وهلوك للحسنة التبعيل والساقطة ضد .

و (زيننا) بمعنى مشتر ومبيع ، كما في (شرى) في العربية ، وأزبن في السريانية باع واشترى ، وفي العربية (الزبن) للتمر : يبعه على شجره ، وأصله الدفع من زبنت الناقة .

وفي السريانية (حسيما) للكرم الفاضل ، والحقير المستهان به ، وفي العربية : الأحسم : القاطع للأمور .

و (طلوما) وظلوم ومعظم ، للظالم والمعتظم ، و (كوكا) للمدينة والقرية .
و (عافورا) للعابر والوقت ، وفي العبرية (عوفر) ، وفي العربية (غابر) للماضي الآتي .

وفي المشترك (نونا) و (نون) للسمكة والحوت ، ولقب ليونس عليه السلام .

و (نفيلا) للساجد والواثب ، ومثلها (سجد) في العربية . و (رج) و (رجا) للطمع والبنى وانخوف ، و (شجر) و (سجر) للفارغ والمملوء ، وملأ وسكب ، و (حشب) و (حسب) للعلم والظن واليقين والرجحان . و (الحنيف) و (حنف) للمائل عن الشرك وعدم التقوى .

و (أقوى) وقوى ، خلا للنزل أو ثبت وأقام به ، وفي العربية القواء : الفقر .

و (النبل) في السريانية بمعنى ذى النجابة والفضل ، وفي العبرية (نقال) للشرير واللئيم ، وفي العربية (نبيل) للنبل وللخسيس .

و (الهدر) في العربية للساقط ، و (الهدور) في العبرية : الفخم الجليل ، وفي السريانية (الهديرا) للجليل والسنى .

و (أنكر) الشيء : جعده واعترف به^(١) .

ثم فصلا للألفاظ التي تدل على المعنى وضده في العربية ، وتدل نظائرها على أحد المعنيين في العبرية ، أو في السريانية ، جاء فيه :

(الأرز) للقوة والضعف . و (بسل) و (بسول) و (بسيلا) للجلال والحرام . و (البكر) للثيب والبكر .

و (البين) للافتراق والاتصال ، وفي غير العربية لما يدخل بين الشق أو بين الشئتين .

و (العلقة) أو (شلعة) لما هبط أو ارتفع . وكذلك (الثم) ، والجبر ، والجديد ، وثل عرشه ، وأخفى ، وحرس والحجم ، والزيب ، ورتا ، وانخل ،

(١) المصدر السابق ٤٣ - ٦٩ بصرف

والدائم، والذوح، والرجاء، والركوب، والرحلاء (للمعجزة السوداء والبيضاء)
والزغوم، والرهوة، والزوج، وأسر، ومشب (للشاب والشاب)، وشام،
وعفا، والعروب، والعميت (للأبله)، والأعور، والعنوة، ووعد، وهجر،
ونظفة (١)...

وقد أطلبنا الوقوف مع الدكتور ربحي، لتأنس النفس والعقل بالأضداد
في لغتنا وفي بعض شقيقاتها أيضاً.

والحق: أن الدكتور ربحي أسدى للعربية يداً لا تنسى، حين كتب
هذا البحث القيم، فأوقفنا على أصول كلمات كثيرة، وإلى أية لغة تنقصب
عن يقين لا حدس وتخمين.

كما أوقفنا على كثير من الألفاظ التي فيها تضاد أو شبه تضاد
في العبرية والآرامية والسريانية، وساق لنا ألفاظ تضاد في العربية وعنها
بطون المعاجم، ولكن لم ترد في كتب الأضداد، مثل: اليم للبحر والنهر،
والنفس للحي والليت، والنون للسمكة والحوت، والنول للشك واليتيم،
والشريد للطريد والباقي، والسائر للهاق والجميع، والشغل للعمل واللهو...
وأوقفنا على خطأ من قالوا: بأنه لا تضاد في العربية ولا في غيرها،
مثل: (ابن عزرا السابق)، الذي نفى التضاد عن اللغة المقدسة (العبرية)
وغیرها، وظهر أن التضاد كما هو في العربية هو في غير العربية.

واستفدنا منه أن اتساع التعبير في العربية لسبب ما يوسع باب العربية
اتساعاً كبيراً وأوجه المقارنة والمشابهة التي عقدها بين العربية وأخقتها:
السريانية، والعبرية... يمكننا أن نسير على منطها مع بقية الساميات،
وبذلك نتسع الرؤية، ويعظم نطاق البحث، ويرى الباحث ضوءاً كافياً
يحمي من التردى والتخبط.

ولو صنع بعض علمائنا صنيع هذا الباحث ، لاتضحت الحقائق أكثر
وأكثر ، بدلا من أن يكيلوا إليهم جزافاً لعلمائنا الأجلاء القدامى ، رحمة
الله عليهم ، أو يسيروا في التيه .

ولعل فيما ذكرناه من كغاب الدكتور ربحي كمال وغيره ، ما يمنع من
سخيرية الأستاذ حسين محمد الذي كتب مفكراً الأضداد في اللغة العربية^(١) ،
وابتسم ابتسامة رثاء لبعض الأمثلة التي ذكرها قطرب : شيخ المؤلفين
في الأضداد ، وكان أشد منه في السخيرية وابتسامه الإشفاق ، والقشدد
في إنكار الأضداد : الأستاذ عبد الفتاح بدوي^(٢) الذي باهل وبعاهل
بأنه لا أضداد في العربية . ونحن الذين نباهله الآن بأن في العربية أضداداً ،
كما في أخواتها .



(٢) السابق .

(١) مجلة الآفاق العربي مجلد ٨ ج ١

أصل الأضداد ونشأتها

ذكرنا طرفاً مما ذكره السقششقون فى ظاهرة الأضداد ، باعتبارها من الأبحاث اللغوية التى قاموا ببعضها .

واللغويون من العرب قد قصروا جهودهم على الأضداد فى العربية ، ولم يعمدوا عنها - حين بحثها - لا تاريخاً ولا لغة ولا اجتماعاً ، وحالوا أن يقيمنوا أصولها ونشأتها ومسالكها فى اللغة العربية نفسها ، ونشأة الأضداد هى نشأة المشترك :

أولاً يثبته ابن دريد إذا كان من لغة لقبيلة واحدة ، لأن التضاد حينئذ يكون متحققاً فى الوضع . قال فى الجهرة : « الشعب : الافتراق ، والشعب : الاجتماع ، وليس من الأضداد ، وإنما هى لغة قوم » . وتابع بعضهم ابن دريد فى رأيه هذا (١) .

ثانياً - ورأى الجمهور من العلماء إثبات التضاد على أن يكون ذلك من قبيلتين لا من وضع قبيلة واحدة ، وإنما أحد المعنيين لى من العرب ، والمعنى الآخر لى غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء .

وذكر ابن الأنبارى هذا الرأى عن آخرين بقوله (٢) :

« إذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فحال أن يكون العربى أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لى من العرب والمعنى الآخر

(١) أضداد ابن الأنبارى ١١٠

(٢) الجهرة لابن دريد (الأضداد) .

لحى غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض ، ، ومثل بالجلون : فهو الأبيض في لغة
حى ، والأسود في لغة حى آخر ، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر .
وارتضى أبو على الفارسى هذا الرأى حين قال :

« أما اتفاق اللفظين ، واختلاف المعنيين ، فينبغى ألا يكون قصداً في
الوضع ولا أصلاً ، ولكنه من لغات تداخلت »^(١) . وهذا ما يفسر نشأة
الأضداد من اختلاف اللهجات العربية : كوثب بمعنى طفر ، عند مضر .
وبمعنى « قعد » عند حمير و « سجد » بمعنى انتصب عند طيء ، ومعنى « انحى »
عند آخرين ، و « السدفة » بمعنى الظلمة في لغة تميم ، ومعنى : الضوء في لغة
قيس ... واختلاف لغات (لهجات) العرب كلها حجة .

* * *

وابن درستويه أشد المنكرين للأضداد : اضطر إلى الاعتراف بالشيء .
النادر منه ووقوعه في اللغة ، فسبب التضاد عنده :

تداخل اللغات ، أو حذف حرف التعدية من الفعل اللازم لسكثرة الاستعمال ،
أو تشبيه الفعل بمرادفه في المعنى ، بما يعرف باسم (التضمين)^(٢) فهو عنده
من تداخل اللغات^(٣) . وابن الدهان يرى أيضاً هذا الرأى^(٤) .

فالرأى الأول يشترط لإثبات التضاد الواضع الواحد ، والرأى الثانى
يقول باستحالة الواضع الواحد ، بل لابد من وضعين ، وتداخل اللهجات .

ونحن نؤيد أن يكون من واضع واحد ، كما نراه من واضعين :
أما من واضعين فلأن اللهجات كلها حجة ، كما قال ابن جنى . وأما من
واضع واحد ، فلما ذكره ابن دريد ، ولما قاله الشيخ عبد الله العلابى بقوله :

(٢) وقد سبق أن ذكرنا شيئاً عنه

(٤) أضاء ابن الدهان .

(١) المحصر ١٣/٥٩

(٣) للزهر ١/٣٨٥

« وأما نحن فنرى في وضعه رأياً آخر يجعل كل تقدير يرى إلى عدم قصده بالوضع خطأ محضاً : وذلك لأننا رأينا كيف أن العربي كان يستخدم الملاحن في أغراض حازية ، وظروف محرجة على ما عرض علينا « العالي » من أمثالها ، وشيخه ابن دريد من قبله في كتابه « الملاحن » ، وتجاوز ابن دريد حد العرض إلى نوع من الاستفادة بها لا يبعد أن يكون كذلك عند العربي ، ولهذا الغاية ، قال ابن دريد في سبب تأليفه :

« إنه وضعه لأجل المضطر والملجأ إلى الشهادة أو اليمين : أي وضعه « حيلة قضائية » عن طريق اللغة .

فإذا صح هذا فقد كان العربي يقصد إلى الوضع على هذا النحو من الغموض ، ليقسنى له تحقيق أغراضه حين المحقة ، والإبانة عن أفكاره ، حيناً ثموم حوله الأذن .

وإذا كانت الأضداد حيلة لغوية تفسر على هذا الوجه فيفتح علينا جداً أن نثرث في درسها لأنها قد توقعنا على نحو من « الشيقرة » عند العرب ، إذا قبلت هذه التسمية « (١) » .

فالشيخ الملايلى يحوز قصده بالوضع ، ودليله أن العربي كان يقصده بالوضع كما في « الملاحن » ، التي تتطلبها حالة الاضطراب ، والحيلة البارعة ، وجعله نوعاً من « الشيقرة » عند العرب .

ويرى الشيخ الملايلى أيضاً أنه :

« من الخطأ نحويًا بالنظر إلى الضد كظاهرة وحده ، بل ضرورى أن يجعل وجهًا من الاشتراك اللفظى ، وعليه فيقسم الاشتراك إلى قسمين :

(١) (ملاحن) كعين وحاج . (ب) و (أضداد) كبعد ووراء .

كما فرق العلابي بين الملاحن اللغوية والملاحن الأدبية : لأن الأولى مرتبعتها إلى تعدد الوضع فيها ، والثانية مرتبعتها إلى لياقة الاستعمال وتنوع السكناية ، ولو في الموضوع وضعاً واحداً ؛ كما في قصة الأسير في بكر ابن وائل ، حين لحن إلى قومه فقهموه ، ولم يفطن غيرهم .

ونبه الشيخ العلابي أيضاً على أنه : « يمكن أن ينزل منزلة الاعتبار أيضاً في هذا الذي يسمونه بالصد ، وهو الاستعمال الخطأ وغلطه » (١) . ومثل لذلك بإحلال (البرهة) في محل (الفترة) القليلة من الزمن ، والمعنى في الوضع العربي القديم - عكسي تماماً .

وأخيراً يرى الشيخ العلابي - وهذا غريب منه - أن الاشتراك عامة ، والصد الذي هو نوع منه : ظاهرة من ضعف اللغة وطفولتها ، مهما التبس لتفسيره ، ومهما استخدم في شرحه وتعليقه . وأما من حيث ما يلزمنا منه اليوم في العمل اللغوي . فإنه لا يلزمنا في شيء . بل على العكس يضر به ضرراً بليغاً ، ويشوبه بكثير من القلق وعدم الاستقرار ، (٢) .

وهذا غريب من شيوخنا العلابي : فبعد أن رأى أنه قد يقاى من الواضع الواحد ، وبعد أن ذكر أنه كحيلة قضائية ، أو شيفرة عند الحاجة والاضطرار . عاد ليقرر أنه دليل طفولية اللغة ، وأننا لسنا بحاجة إليه . مع أن حاجتنا اليوم زادت عن الأمس ، والحيل اللغوية ربما كانت حاجتنا إليها اليوم أشد منها بالأمس . وإذا كان الشيخ العلابي قد رأى الترادف ظاهرة صحيحة لغوية ، وأنه سبب غناها . فإننا نقول : إن الاشتراك - والصد نوع منه - لازم للفتننا أيضاً ، مادامت أسباب الحيل اللغوية ، ودواعي

« الشيفرة » موجودة ،) ونحن في حرب طويلة مع عدو ما كر ، وعساء بالتضاد لا يحل الشيفرة بسهولة) .

• وعلى أساس أنه من واضعين أنكره ابن درستويه وفريقه ، حيث يقول في رد الأضداد : « ولما يحىء ذلك في لفتين متباينتين ، أو لحذف واختصار وقع في الكلام ، حتى اشتبه اللفظان ، وخفى سبب ذلك على السامع ، وتناول فيه خطأ ... » ^(١) بينما يشترط بعضهم لإثباته الواضعين .

ثالثاً - قد يحىء التضاد من انتقال اللفظ عن معناه إلى معنى آخر ، للظرفية كالسكاس ، أو لسكنة بلاغية حسنتمها للمشاكلة مثلاً ، كقوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ نَزَّاهُ ﴾ ^(٢) فالثاني معناه : الترك والإهمال المقصود .. وقد يكثر استعمال المنقول وينسب الأصل ، ويصبح إطلاقها على ما يقابل مدلولها الأصلي في قوة استخدام اللفظ في حقيقته ، كما سبق أن أشرنا .

ويؤيد هذا ما قاله أبو علي الفارسي فيما رواه عنه ابن سيده :

من أن « اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغى ألا يكون قصداً في الوضع ولا أصلاً ، ولكنه من لغات تداخلت ، أو أن تكون لفظة تستعمل لمعنى ، ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب ، وتصير بمنزلة الأصل » ^(٣) .

رابعاً - وحكى ابن الأنباري رأياً كان له أثره في تعليل نشأة الأضداد عند من جاء بعده ، يقول :

« وقال آخرون : إذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فالأصل لمعنى واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع ، فن ذلك : (الصريم) : يقال لليل صريم ، وللنهار صريم ؛ لأن الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم

من الليل . فأصل المعنيين من باب واحد وهو القطع ، وكذلك (الصارخ) : المستغيث ، والصارخ الغيث : سمي بذلك لأن المغيث يصرخ بالإغاثة ، والمستغيث يصرخ بالاستغاثة ، فأصلهما من باب واحد ^(١) .

فابن الأنباري يؤيد جواز أن يكون منشأ الأضداد من واضع واحد ، على الاتساع . وأيضاً من واضعين : بمعنى إثباته مطلقاً ، واعتبار الضد مشتقاً من أصل الوضع ؛ إذ الأصل لمعنى واحد . وواقعه الدكتور أنيس على هذا ^(٢) .

واشتراك الضدين في المعنى العام ، وصلاح (اللفظة لكليهما) هو ما سماه علماء الأصول بالمشترك ، (كالقراء) و (الزوج) ... (والرافعي يرى هذا الرأي جديلاً ، ويظن القائلين به من علماء الكلام) ^(٣) .

والشيخ الخضرى يراه سبباً لنشأة الأضداد ، ووجهه بأن يكون بين المعنيين فكرة واحدة تجمعهما ، فيصلح اللفظ لكل منهما لاشتراكه في هذه الفكرة ، وحين يغفل الناس عن هذه الفكرة المشتركة يظنون أن اللفظ من الأضداد ، ومثل له (بالصريم) ، الذى أصله من الانصرام ، بمعنى الانسلاخ ، لأنهما : (الليل والنهار) ينسلخان من بعضهما ، وهما متداخلان ^(٤) . ويستشهد لذلك بقوله تعالى : ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ ^(٥) .

وبرى الشيخ العلايلي : أن ابن حبيب للمصرى ، أقرب الباحثين قصداً في التقدير : « حين ذهب مذهباً فذاً ولكنه قريب من المعقول أيضاً ،

(١) أضداد ابن الأنباري ٨

(٢) تاريخ آداب اللغة للرافعي ١٩٨/١

(٣) في الهمجيات لأنيس ١٩٩

(٤) الأصول للشيخ الحضري ١٧٤

(٥) الحج : ٦١

وكانت نتيجة البحوث التي عرض بها للأضداد ونشرها ، أو اقشربها على اللغة . . أن الضد وجوده ليس بالقصد إليه ، وإنما كان من مهوم المفهوم اتفاقاً ، فهو من لواحق الماصدق .

وانظر كيف يخرج مثلاً (وراء وجلل وسواهما) التي ذكروا أنها ضد ، قال : (وراء) حرف موضوع بمعنى التوارى ، وهو حاصل في الأمام والخلف . و (جلل) حرف موضوع للغاية في الشيء ، فيوصف به العظيم والحقير ، ثم قام مقام الموصوف فـسكان ضداً . . ويقول الشيخ العلايلي بعدئذ : « وكل ما يهول به من هذا لا يخرج عن أن يكون اجتهداً صرفاً ، ولا شاهد عليه من اللغة يثبت له هذا الاتصال » (١) .

وذكرنا هذا الرأي لابن حبيب ، لأن بعض المحدثين تلقفه ونادى به ، ولم يشر إلى مصدره . والفكرة قائمة على مهوم اللفظ ، والمعنى الأصلي والمشارك لللفظ ، وقوله : إن اللفظ قام مقام الموصوف . . اعتراف بالنقلة ، وهي جائزة . وكثيراً ما تنسى خطواتها فتصير كالأصل . .

وقد قال بعض الباحثين : إن القول بأن علة الأضداد هي : المعنى الأصلي للألفاظ ، من أهم العلل وأخطرها ، ويحتاج لمزيد من البحث والجهد . خامساً - ونسيان الأصل ، والاتفات إلى المظهر أو المظاهر ، عند الشيخ الخضرى علة لنشأة الأضداد :

أى أن يطلق اللفظ على شيء واحد تغير مظهره أحياناً ، فلا يقطن السامع إلا إلى المظهر ، فيحكم بالتخالف والتضاد . . ومثل لذلك بلفظ : (البجون) ، والأصل فيه أن يُطلق على السحابة ، ومنها الأسود والأبيض ، ففعل الناس عن الأصل (السحابة) وفطنوا - فقط - لمظاهرها من السواد

والبياض ، فأطلقوا الجون عليهما^(١) . ويعلق الشيخ الخضرى بأن اللفظ إذن - بناء على الأصل والمظهر - ليس من الأضداد : لأن السحاب لا يطلق مجرداً من كل صفة .

ونقول : لأن غفل الناس عن الأصل ، فقد بقيت كثرة الاستعمال كأنها أصل .

سائماً : وذكرنا من علل نشأة التضاد ، ما عدوه من باب التفاضل والتطير والتهمك : أو التعبير بلفظ محبوب عن لفظ مكروه ، أو العكس تفكهماً أو تقييماً ، ويقول السجستاني - في باب المقلوب لفظه في كلام العرب عن جهته والأضداد - :

« لما قيل للعطشان : ناهل على سبيل التفاؤل ، كما يقال : المفازة للهلكة على التفاؤل ... لأن معنى فاز : نجا ، فالمفازة المنجاة ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ﴾^(٢) ، (أى بمنجاة) .

وبعضهم يرى في مثل هذا النوع أن المعنى الثانى من باب المجاز والأول هو الحقيقى ، ومعنى الضدية لا يتحقق بين الحقيقة والمجاز ، لأنهما لا يتساويان في فهمهما من الكلمة ، وبالاقتفال في فهم المعنى الثانى بالقرينة تقويت لمعنى الضدية^(٣) .

وهذا الرأى سبق أن أشرنا إليه وإلى نقده في المقدمة بين يدي المشترك ؛ فضلاً عن أن بعض الألفاظ كفوز وسلم ، أثبت بعض اللغويين لها معانى آخر ، كالمتى للفظ (فوز) لما حكاه ابن الأعرابى ، والخطوات المجازية كثيراً ما تنسى وتهمل ، ولا يطفو على السطح إلا المعنى الثانى عند الاستعمال .

(١) الأصول الخضرى ١٧٤ (٢) الأضداد السجستاني ٩٩ - والآية من آل عمران : ١٨٨

(٣) مجله اللسان العربى مجلد ٨ ج ١ ص ١١٣

ومثل ذلك قولهم للأعشى : يا بصير ، وللملذوغ سليم . . . ، وللعرب
- كشأن أية أمة أمية بدوية - سهم وفير في جانب حب التفاؤل ، هروباً
مما يسوءها إلى ما يريحها ، وفراراً مما يزعجها إلى ما يسعدّها . . . واللغة - كما
ذكرنا - كما تكون للشئون العادية فهي للجانب الإمّاعى ومنه التمسكى
الساخر ، إرضاء لما يشقى الغليل ، ويؤلم الخضم ، وينال من العدو ، ويظهر
بلاغة التعبير .

ذكر الأقدمون ذلك ، وتابعهم عليه المحدثون .

غير أننا وجدنا أن بعض قدامى اللغويين ذكر أن الأمر على بابه
(ضعافاً) ، وليس هناك من التفاؤل أو التشاؤم أو التمسك ما يعتبر جواز
مرور إلى القول بعلية التشاؤم والتفاؤل :

فقد قال بعضهم : إن (فاز) من فوز بمعنى : مات وسلم ، عن ابن الأعرابي
و (سليم) من سلم وأسلم بمعنى تركوه يأساً من شقائه لعلامات قرب وفاته . .
وهذا ما يجعلنا نرجح أن الأضداد - من هذا القبيل - وضعت وضعافاً ، وليس
هناك كبير تجوّز في النقل من باب ما نحب إلى ما نكره أدباً أو سخرية . . .
فلسنا بحاجة إلى تأويل بعض ألفاظ الأضداد على سبيل التفاؤل ، أو اتقاء لما
يمجه الذوق ، أو يؤلم الخضم .

ولا يمنع أن يكون لهذا أصل قديم كما ذكرنا ، وامتداد حديثه : مشاهد :
فما زلنا نقول للسوداء : (قر أربعة عشر) ، وخذ (للبيان) للفتجان
الفارغ ، ونحييف القوام للفرط في السمنة ، (واللسكة) لروث البهائم ، والناصح
للغبي ، والعائل للأحقق والمجنون ، ويأحلو للديم ، والميمون للقرود (وهو
ما يقشاه منه) ، وأهور العين للغراب وهو حاد البصر ، (واجبر الزاد) ،
وجبر الخليج لكسره ، وفلان بعافية وهو مريض .

ويرجع بمضمهم التشاؤم والتفاؤل إلى غرائز الإنسان ومدى حظه من
الوعي والثقافة ، فكلما كان حظه ضئيلاً .. كان مفرطاً في التشاؤم ..

كما ربط عالمي التطير والتهكم ببعضهما ، وقال : بإمكانية تفسير الأضداد
بهما ، نظراً لعمق وتعدد الظروف الاجتماعية التي مهدت لتطور معاني الكلمات ،
وصعوبة تعيين الملابس التي اكتنفت هذا التطور .

فالمسجور - لعله المألون - والسكن خوفًا من أن يفرغ ويهدد .. قيل له :
الفارغ أيضاً . والناقة الحائل إن قلنا : إنها قليلة اللبن تفاؤلاً بأن تمتلئ ،
والعكس منعاً للحسد ، ومنه البنت القيصة الجميلة منعاً للحسد ، كما عزا التجديد
والزوع إلى الخروج عن المألوف في التهمك مثل : قشيب للخلق ، للهزة والمرح
والسخرية ، وجهم إلى التجديد^(١) .

وللسجستانى كتاب في الأضداد أسماء : « المقلوب لفظه في كلام العرب
عن جهته ، والأضداد » ويمكن أن نلمح من اسم الكتاب تسميتهم للعنكبوت
ليثاً ، وتسمية القبر بالبلد ، والأثر بالبلد ... للقوة الواضحة حسيًا في الليث
بمعنى الأسد ، والواضحة بيانياً في الليث بمعنى اللسن انبليغ ، وفي مقابلة السكنى
والعمران في مقابل البلد بمعنى كل قطعة من الأرض عامرة ، ومكة والتراب ..
ويمكن أن تنجر هذه المعاني السلبية في عدد من الكلمات التي جاء اشتراكها
عن طريق مقابلة المعاني بعضها ببعض لنسكتة بلاغية ، أو بسبب تداخل
اللغات .. على أنك حين الكلام بالقلب ، أو حين تعبر عن الشيء السوء
بالعبارة الحسنة فأنت واثق من فهم المخاطب لكلامك ، فليس هناك
إبس ولا تعمية ولا إلهام .

سابقاً : وقد يحىء التضاد من مؤدى المعنى الواحد باختلاف المواقع .
 مثل : (فوق) فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ أَنْ يُضْرَبَ مَثَلًا
 مَا بَعُوضَةٌ فَمَا تُوقَفُهَا ﴾^(١) ، أى فما دونها .

وبعضهم يرى أن (فوق) فى هذا المثال وما شابهه تدل على معناها
 الأصلى : أى ما يفوق الذبابة حقارة . فهى لم تستخدم بمعنى دون ، وإنما جاء
 هذا المدلول من مؤدى معناها الأصلى فى مثل هذه الآية .

وقاسوا على ذلك (فتحت القنطرة) للمشاة أو للسفن . إذ استعمال فتح
 فى معنى يستلزم قفلها فى مجال آخر ، فجاء التضاد من استعمال اللفظ فيما يؤدى
 إليه معناه الأصلى ، وما يترتب عليه بالنسبة للمارة^(٢) .

وخرجوا على ذلك (جلال) و (وراء) : للغاية فى الشيء ، والمواراة .
 كما ذكرنا ذلك لابن حبيب وغيره من قبل .

ونقول : إن الشواهد تسعف فى مثل لفظ فوق ، ودون . . على أنها
 استعملت فى الأضداد فعلاً بشواهد صريحة فصيحة . أما أمر النسبية هذه
 فربما لم يفهمها البدوى وهورب اللغة ؛ إذ كانت مثل هذه الفلسفات أبعد
 شىء عنه .

ثامناً : وقد تأتى الأضداد من عوامل تصريفية واشتقاقية :
 وتؤدى تلك العوامل إلى أن تتفق لفظتان تتقاربان فى صيغة واحدة ،
 فينشأ عن ذلك لبس فى معنى الصيغة المشتركة ، يؤدى إلى عدها من باب
 الأضداد . وليست منه فى شىء .. مثل : مرتد ، ومزداد ، ومختار ، ومبتدع ،
 ومصطاد ... اسماً للفاعل ، واسماً للمفعول^(٣) .

(٢) فله اللغة لوائى ١٩٠ ، والمقدمة للعلايل ٢٢٥ .

(١) البقرة : ٢٦١

(٣) فله اللغة لوائى ١٩٠

ذكر هذا بعض المحدثين ، على أن قدامى اللغويين قد نبه عليه ، واشترط للأضداد أن تكون صيغة اللفظ ذى المعنيين المتضادين واحدة :

فلم يرتض قطرب أن تكون من الأضداد صيغة أخذت النعل ، بمعنى أصلحته ، وخدمته بمعنى أفسدته وقطعته ، للمخالفة في اللفظ ، وتابعه على ذلك أبو الطيب اللغوي وابن الأنباري^(١) . وذكر قطرب كثيراً من أمثلة ذلك في أضداده ، وأخرجها منها ، غير معترف بها .

ولم يرتض ابن الأنباري فعل المجرد ، وفعل المضاعف ، وأخرج بذلك : (بدن) بمعنى : سمن وحمل اللحم ، و (بدن) بمعنى أسن وشاخ وكبر وضعف^(٢) . وهو متابع لقطرب في هذا الإخراج . وأخرج أيضاً : لفظ (الطاحي) للمضجع والمرتفع ، مع أن قطرباً عده من الأضداد ، ولكن ابن الأنباري لم يوافق عليه^(٣) .

ولم يرتض ابن الأنباري من الأضداد ما كان فعلاً واسماً :
فحين قال قطرب : من الأضداد : (جرت المرأة) : بأن جعلت لها كالزعتين من حلق ونقف ، ولها جاران : أى لها ضفيران مقلتان على وجهها . قال ابن الأنباري : هذا ليس بصحيح^(٤) .

فقد اشترط ابن الأنباري أن يكون المعنيان المتضادان الفعلين ، أو اسمين ، أو صفتين ، وكل منها على وزن واحد ، ولا يحكم بالاضداد فيما عدا ذلك .

ونحن لا ننازع اللغويين في أن اختلاف الصيغة أحياناً يبعد اللفظ عن أن يكون من الأضداد .

(٢) أضداد ابن الأنباري ٣١٠

(٤) أضداد ابن الأنباري ٢٤٤

(١) أضداد قطرب ٢٢٦

(٣) أضداد ابن الأنباري ٢٠٢

غير أن ذلك ليس عاماً ، وليس دائماً ، وقد مر بنا الخلاف في اشتقاق (رعد وبرق ، وأرعد وأبرق) ، و(قسط وأقسط) ، مع أن « قسط » بمعنى : عدل ، استعملت في القرآن الكريم أكثر من عشرين مرة ، ومن الثلاثي بالذات ، كما أحصاها بعضهم فكيف يقول اللغويون : إنه (قسط) بمعنى الظلم فقط ؟

ويعمل الدكتور أنيس استعمال الفاسطين بمعنى الظالمين ، بأنه ليس إلا تأديباً في الخطاب أمام الله ، وتحاشياً لذكر كلمة الظلم أمامه سبحانه ، وكذا استعمالها بمعنى عدم الظلم أمام النعمان وهو ملك عظيم من هذا القبيل^(١) . وإذن فما يقال عن إرجاع الضد أو الاشتراك اللفظي إلى اشتقاقات مبالغ فيها ، قول مبالغ فيه ، فليس الأمر على إطلاقه ، وقد أشار القدامى إلى ذلك ونهوا عليه .

تاسعاً - وقد ينشأ الضد من الاستعمال الخطأ وغلبيته .

ومثل له الشيخ العلايلي بالخطأ في إحلال (البرهة) - في الشائع من الاستعمال اليوم - بمعنى الفترة القليلة من الزمن ، وهي في الاستعمال القديم بعكس ذلك تماماً^(٢) .

ومثل له الدكتور أنيس بلفظه « مجد » بمعنى : سهر ، وبمعنى نام ، واستشهد للسمر بقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَجَدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾^(٣) واستشهد للنوم بقول الرقش الأكبر :

« . . . فأرقني وأصحبني هجود .

وقال : وعلى هذا ما علل به الشيخ الخضرى نشأة الأضداد في كتابه

(٢) المقدمة للعلايلي ٢٢٦ .

(١) الهجاء لانيس ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٣) الإسراء ٢٩٠ .

«الأصول»: بأن يضع الواضع الكلمة لمسمى، وعند الإشارة إليه يكون مع المسمى غيره ، فيقلقاها عنه السامع من غير أن يقين حقيقة لما وضعت له الكلمة ، فتستعمل في الشيء وفيما كان معه جميعاً ، وربما ينفصلان بعد ، وقد يكونان ضدّين كما في نحو «جون» فإنه وضع أولاً للسحاب ، وفيه الأبيض والأسود ، حتى إذا كان أبيض صرفاً أو أسود صرفاً فهو «جون»^(١).

«لا نزاع في هذا ، فكيف نفسير وقوع هذا التضاد إلا عن طريق الأخطاء التي يمكن أن تنسب إلى الأجيال الناشئة : فقد كان للكلمة معنى واحد ، ولكن لثلة شيوعها فهمت في بيئة من البيئات على معنى آخر ، وبما هذا الفهم وذاع في الجيل الناشئ ، ثم أصبح معترفاً به في اللغة النودجية الأدبية ، فاستعمل القرآن الكلمة بمعنى واستعملها المرقش بمعنى مضاد للمعنى الأصلي ، وقد تم مثل هذا التطور في عصور الجاهلية قبل نشأة اللغة النودجية وازدهارها»^(٢).

ولكن يناقض هذا قول قطرب : بأن من أسماء السماء : «الجونة» ، وهي عين الشمس ، واستشهد بقول الخطيم الغباني كما قال ابن بري ، أو الأجلخ بن قاسط الضبابي ، كما في الصاغاني :

* وحاجب الجونة أن تغيبا *

وقال قطرب أيضاً : وقالوا : الجون : النهار . والجون في لغة قضاة : الأسود . وفيما يليها : الأبيض ، وهذا من الأضداد^(٣) . فقد جعلها عين الشمس ، والنهار ، والأبيض ، والأسود . وليس هذا خطأ في الاستعمال .

(١) بحث الدكتور منصور فهمي للأضداد في مجلة المجمع ٢/ ٢٢٨ - ٢٤٤ .

(٢) الأزمنة لقطرب ٣٢

(٣) اللهجات لأتسي ١١٦

(١١) - لشعره الهوى

ولسنا نرى أخطاء استعمالية في هذا المثال : فليس في الشاهدين للمساكين
(لهجد) جهد لأجيال ناشئة ، وإنما هما في كلام يحتاج به .
ونعترف بأن الشيوخ قد يسعد كلمة ، وقد يذفن أخرى ، على حد
قول الشاعر :

وكم في العرس أبهى من هروس ولكن للعروس الدهر ساعد
ولا يزيد التماس أدنى الأدلة لنقوى بها وجود وكثرة المشترك اللفظي
في لغتنا . . فربما جر هذا الصنيع إليها الطعن والنقد عليها ، أكثر من
صيانتها وحفظها ، وبيان وجه الحقيقة في أبحاثها ونقدها .
عاشراً - (وقيل : إن) : (التطور الصوتي) ، من عوامل تكون
الأضداد :

ومعناه رجوع الكلمة إلى أصلين ، وقد يكون ذلك لانشعاب الكلمة
من أصلين : فيكون معنى متعديراً من أصل ، وضده الثاني متعديراً من
أصل آخر .

ويمثل الدكتور على عبد الواحد وافي لذلك (بهجد) : فن المحتمل أن
تسكون في معنى النوم متعديرة من (هدا) إذا سكن . وفي معنى السهر من
(جد) إذا اجتهد لما في السهر من الاجتهاد في منع النوم ^(١) .

ومثلاً أيضاً بـ : « أبض » بمعنى سكن وتحرك : فن المحتمل أن
السكوت منشعب عن « بض » في بضا وباض . . بمعنى أقام وسكن ،
وفي معنى الصكر متعديرة من أب الشيء إذا حركه . وأيضاً في « سجد »
ربما أخذ الانحناء من سيج بمعنى رمى ، وفي الانتصاب من (سد) لأن
ما يسد شيئاً يرتفع فوقه فكانه منقصب .

أما الدكتور إبراهيم أنيس فيمثل لهذا العامل بكلمة (جون) ، ويرى أنها لها انحدرت من جن بمعنى ستر ، ومنه أظلم .. ثم حدث تطور صوتي فقلب أحد النونين إلى مشابهه وهو الواو ، وجون بالواو تعبر عن النور ، وذلك سبب التباس جن بمعنى (جون) . وكذلك حاول أن يرجع الفعل (أ كمت) : انطلق مسرعاً وقعد : فالتطور الصوتي حدث من قعد إلى كمت : ثم التيس هذا الفعل بآخر من أصل مختلف ، وهو : (أ كمت) بمعنى انطلق مسرعاً .

وإذا تركنا تخمينات المحدثين نرى وضوح التدايمي في أصل اللفظ : فابن فارس يرى في (هجد) : أنه أصل يدل على ركود في مكان : هجد : إذ نام ، وإن صلى ليلاً فهو متهجد : كأنه بصلاته ترك الوجود عنه ، وهذا قياس مستعمل : والعرب تقول : أهجد البعير : ألقى جرائه بالأرض . فأيهما نصدق : المحدثون في ظنونهم وترددهم ؟ أم علماء العربية البهراء بها ، والذين لم فيها جهد لا يبارى ولا يجارى ؟ ومن المعلوم أن ابن فارس شيخ المؤمنين بالنتج والتركيب^(١) .

(وهذا التخريج لما ذكر من الأمثلة أليق وأشبه بالقول « بالثنائية » في أصل وضع العربية ، ولنا فيها بحث ، فليراجعه من شاء) .
وهي لا تعدو محاولات لتفسير نشأة الأضداد وتكونها ، وكلها من باب الظنون ، الافتراضات ، التي نرجو أن ترقى إلى مرتبة اليقين ، فنصبح حقائق تفسر نشأة الأضداد ..

أما إذا أراد بها بعض الباحثين نفي الأضداد فهذا دليل تطرق إليه الاحتمالات المختلفة ، ويسقط به الاستدلال كما يقول الأصوليون :

فقد قيل - أيضاً - إن جون معربة من (كون) ، وذكر بعضهم أن أصلها اللون ، وقديماً كانوا يلونون بيت الميت بالسواد ، وبيت العروس بالبياض ، وهذا رأى ثالث ذكروه ، ورابع سيجد ، وخير من التثقت والضياع - في وادى الظنون - أن نستقى معنى اللفظة ودلالاتها من الجملة والسياق ، ونسائل الشواهد فتنتطق بالتضاد كفائق الصبح .

* * *

● والخلاصة :

ونخلص مما سلف أن أهم ما جاء من أسباب نشأة التضاد هي :
(أ) أن من سنن العرب أن يسموا المتضادين باسم واحد كما قال ابن فارس ، ومعنى هذا أن أصل الأضداد كأصل الألفاظ الأخرى ؛ وضعها العرب بالوضع الأول للدلالة على المعنيين المتضادين .

(ب) ومنهم من يرى أن ألفاظ الأضداد لم يضعها العرب للمعاني المتضادة بالوضع الأول ، وإنما استعملتها بعض القبائل في معنى من معانيها ، واستعملتها قبائل أخرى في المعنى المضاد له ، ثم اختلطت اللهجات ، فظهرت الأضداد في اللغة ، كما ذكر الفارسي من أنها لغات (لهجات) تداخلت .

(ج) أو تكون ناشئة من الاستعمال المجازي ، ثم كثر استعماله حتى غلبت وصارت بمنزلة الأصل ، كما قال الفارسي .

وهذه - في نظري - أهم عوامل تكون الأضداد ونشأتها ، فإذا أضيف إليها ما يؤيد طبيعة اللغة ، وحرية العربي ، ويشهد له الاستعمال القصيح تكاملت أسباب نشأة الأضداد ، والأصل فيها .

والدكتور منصور فهمي يرد السبب الأول ، لأن مثل هذا الوضع لا يكون إلا في دور طفولة اللغة ، وبداءة أهلها ، وشبه قبول ذلك بالطفل

الذى يعبر عن أشياء كثيرة بلفظ واحد ، وسبق أن سقنا قول الشيخ العلابى - وهو رأى جيد - بأنه لا مانع من قصده بالوضع فى التضاد والمشارك ، إذ أن الملاحن قصدت - ولا شك - بالوضع كحيلة قانونية ، أو شيفرة عربية ، حين الاضطرار - أحياناً - والحاجة .

والأديب مصطفى صادق الرافعى يقول : « لا بد أن يكون (التضاد) حادثاً فى اللغة فى زمن النهضة التى تقدمت الإسلام ، حين اختلطت القباثل ، وانصرف العرب إلى زينة المنطق والتلح فى الكلام ، لأنه تفنن وتوسع لأوقات مرهونة بأوقاتها ، ثم يعرفون به ويستعملونه فيثبت فى ميراث القبيلة من اللغة » (١) .

وهذا رأى جدير بالاحترام ، ويذكره أن لفظة (العطف) كانت لجانب الجبل أو الوادى فى أول وضعها ، فلما جاء الإسلام استعملها فى معنيين متضادين فى قوله تعالى : ﴿ وَيَلُ لِّلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (٢) .

والشواهد السكيرة تؤيد السبب الثانى ، وحكاها كبار اللغويين ، كأبى عبيدة والأزدى الذى حكى حكاية لفظ « ثب » لرجل من بنى كلاب أو من سائر بنى عامرين ضمصة مع (ذى جدن) ، وكانت سبباً فى ذق عنق الأعراى ، الذى لا يعرف لهجة حمير فى ظفار .

والسبب الثالث مقبول معقول ، لأن الاستعارة تعتمد عليها كل اللغات فى تطورها ونمو ألفاظها ومعانيها ، كطور جمالى ، وقد يكون هذا المعنى الآخر يخالف أو يضاد ، لتعدد ومراد .

ورأينا من آراء المستشرقين ، والباحثين من المحدثين ما يؤيد وجود الأضداد في اللغة العربية ، ويثبت وجودها ، ويعلم نشأتها بطريقة أو بأخرى . ويمكننا أن نقول : إن أخطر علة في نشأة الأضداد هي « المعنى الأصلي للألفاظ » ، وما ذكره اللغويون لها من معان .. أما بقية العلل فهي ارتياد لبعض الطرق التي سلكها اللفظ ، ليصل إلى درجة التضاد مثل اللغات (اللهجات) ، والمجاز ، والحذف للتخفيف ، وما أليها من أمور . وصار بها في الاستعمال متضاداً .

* * *

• أصل الأضداد ومنشؤها في رأى المستشرقين :

بعض الباحثين اللغويين - من المستشرقين - يرد ظاهرة الأضداد إلى عصور قديمة ، عندما كان العقل البشرى ساذج التفكير ، يتماوره التناقضات في منطقته وتفكيره .

على أن « جيز » يرى أن العرب قد اقتضوا الأضداد من لغات مجاورة لهم ، وكان معناها الأصلية تختلف لإيماءاته ، فأدى ذلك إلى التضاد في العربية ، وضرب مثالا لذلك باللفظ « جلل » ، الذي أخذته العربية من العبرية ، وهو فيها بمعنى دحرج ، والشئ المدحرج قد يكون ثقيلاً أو خفيفاً ، ومن ثم اعتمدت العربية على هذين الإيماءين المتضادين للكلمة الواحدة ، وأعطتها معنيين متضادين هما : عظيم وحقيق^(١)

ولفظ « الجلون » ، الذي يظنه الدكتور وافي - نقلاً عن القاموس المحيط ، والألفاظ الفارسية العربية (ص ٤٩) - بأنه معرب من لفظ (كون) الفارسي ، ومعناه في الأصل : اللون ، وهذا ، وهذا يصدق على الأبيض ، كما يصدق على الأسود . وظنهما الأب سرمرجى الدومنيكي من السريانية ، وبمعنى

اللون أيضاً ، لكن من باب الإطلاق ، ققيدت بلون عند جماعة في العربية ، وبآخر عند جماعة أخرى (١) .

ونقول : بأن ما عريقه العرب ألحق بكلامها ، ولم تهفئ الآراء بأن الكلمة عربية .

والدكتور منصور فهمى يرى - نظراً لتاريخ الأمة الواحدة - أن التطور يؤدى إلى التضاد دون استعمارة من لغة أو لغات مجاورة ، مثلاً : « باع واشترى » : كان المعنى الأصيل لهما (بادل) حينما كان البيع والشراء مبادلة ، فلما عرفت العقود اختص كل فعل منهما بواحد من القائلين بالعمل ، ولكن رواسب العهد القديم بقيت حية ، فكانت تلقى ظلالها على معنى الفعلين ، فتخلط بينهما ، وضرب الدكتور منصور مثلاً من حياتنا المعاصرة ، بالفعل (فتح) فى قولنا : الكوبرى مفتوح ، فهل هو مفتوح لمرور المراكب فى النيل ، ومفلق أمام السائرين والعابرين ؟ أو العكس ؟ وقد استشهد بهذا المثال أيضاً الأستاذ العقاد - رحمه الله - فى بحثه فى مجلة المجمع اللغوى بالقاهرة ، كما سبق (٢) .

وبعضهم لم يلتفت إلى التاريخ القديم ولا الحديث ، بل بحث أمراً لجماعة والأفراد - وهذا صنيع لغوى العرب أيضاً - وأخذ من واقع حياتهم ما يفسر طريق نشأة الأضداد ، فذهب إلى أن الظواهر للمجتمع تؤثر فى اللغة ، وترتبط بعض المعانى المتضادة بعضها ببعض وتعداى فى الزمن ، فنشأ الأضداد . وساق « جيز » أمثلة على ذلك فى (دائرة المعارف الإسلامية) ، وعللها ، ومثل : ب (البرق) الذى لا يكاد يظهر حتى يختفى ، فالاختفاء نتيجة لظهور وهما معاً متلاحقان ، ومثل (بالسدنة) التى هى الضوء أو الظلمة ، وقال :

(١) فقه اللغة لوائى ١٦٠

(٢) راجع بحث الدكتور منصور فهمى فى الأضداد فى مجلة مجمع اللغة القامرى .

بأن تتداخل الأحداث كان السبب في ذلك : لان (السدفة) هي الوقت الذي بين النور والظلمة ، وجاء اللغويون فعدها بعضهم بمعنى النور وحده ، وعدها آخرون بمعنى الظلمة وحدها .

وذكر « جيز » أيضاً أن من أسباب التضاد غموض الانفعالات والمشاعر وانهماهما من شخص إلى آخر ، وتسرب هذا الغموض إلى الألفاظ التي تدل عليها مما أدى إلى الأضداد ... ومثل لذلك (بالزفر) الذي يطلق على طيب الرائحة ونقنها .

هذا موجز ما ذكره بعض المستشرقين في تعليل نشأة الأضداد ، وتابعهم على ذلك معظم الباحثين في الأضداد حديثاً .

ولكن ما ذكره هؤلاء يؤيد وجود الأضداد ولا ينفيها ، وطبيعة اللغة تؤخذ من أصل استعمالها ، متى عرف ذلك ، وثبت بالدليل والشاهد .

والقول بأن المعاني تتداعى في الذهن بسبب تأثير ظواهر المجتمع في اللغة ، وارتباط بعضها ببعض ... قول لا ينفي حدوث التضاد في اللغة ، وخاصة وقد وعى بعض المؤرخين اللغويين بأن (السدفة) بمعنى الظلمة لغة لقوم ، وبمعنى الضربة لهجة لآخرين . والشواهد الفصيحة تأتي كفقاق الصبح للمعنيين كما في قول عمر بن أبي ربيعة - وهو حجة في العربية ، كما يقول الاصمعي - يصف وجه جميلة : كالشمس حين تسدف .

وقد ذكر ابن الأنباري لفظ (الصريم) مثلاً للتداخل والاتساع .

أما غموض الانفعالات والمشاعر وانهماهما ، وانعكاسها على اللغة ، كما في مثال (الزفر) الذي ساقه « جيز » فما ننظن بأن ذلك عام عند كل الناس ، ولا ظاهرة فاشية بين العرب كلهم . وكان أولى تعليل هذا اللفظ بأنه لعله

بمعنى الفتن أصلاً ، ولكنه استعمل تأديباً في معنى الطيب ، كما يستعمل القرويون عندنا - اليوم - لفظ (المسكة) ، لما يجمعون من روث البهائم ، أو لعل الأصل في (الزفر) الشدة في الراحة مطلقاً .

وكون (باع) من مد باعه ، أو لم يمد باعه ، - على القول بأن ذلك كان في طفولة اللغة - فضرب في وادى الأوهام والخيالات : إذ ينقض هذا الاستعمال والشاهد ، ولم يعثر أحد حتى الآن على (مد باعه) بمعنى (باع) .

ولعل منشأ هذه التفسيرات ، وهذه العموميات ، وتلك النظريات عند المستشرقين : أنهم عموماً البحث على كل اللغات ، ومنها العربية ، غير أن العربية تمتاز عن غيرها بالمحافظة على أصولها ، وعدم مدّ باعها في الافتراض إلا بمقدار ، ومراعاة طرق تنميتها اللغوية عند إرادة الإثراء والاتساع بقدر وحذر وعلى شروط ، لأنها لغة التثقيب ، وكل ذلك منذ وعت نفسها شابة قوية مكتملة .

الأضداد بين الإثبات والنفي

ارتضى جماعة من قدامى اللغويين والنحاة ظاهرة الأضداد ، واعترفوا بوجودها في اللغة العربية منهم أبو عمرو بن العلاء ، واخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ... ومن ارتضى رأيهم ، مثل : قطرب ، وابن دريد ، والثعالبي ، وابن فارس ، وابن الأنباري ، والقوزي ، والمسجستاني ، وأبي الطيب ، والصغاني ، وابن الدهان ، وابن سيده ، وغيرهم ... وعارضت جماعة أخرى الجماعة السابقة ، وأنكرت الأضداد ، وعلى رأس هذه الجماعة - ولعله الوحيد المعروف من القدامى - ابن درستويه . وذكر ابن سيده أن أحد شيوخه كان ينكر الأضداد ، لتي حكاه أهل اللغة ، وأن تكون لفظة واحدة لشيء وضده ^(١) . ولم يذكر لنا اسم هذا الشيخ .

وتابع هؤلاء ، وأولئك تلاميذهم والمستشرقون ، ومن اعتنق مذهبهم في الأضداد .

ومنهم أيد تأييداً مطلقاً ، ومنهم من منع منعاً مطلقاً ، ومنهم من اعترف بوجود الأضداد على قلة الألفاظ الواردة ، ومنهم من اعترف بها على ندرة ، ومنهم من باهل على أنه لا لفظة واحدة تثبت وجود الأضداد : فقد اتفق ابن الأنباري وقطرب على قلتها ، مع أن لكل منهما تأليفاً مستقلاً فيها : وابن درستويه نفسه قد اضطر إلى الاعتراف بوجود النادر من تلك الألفاظ ، إذ يقول : « ... وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني ، فلو جاز

لفظ واحد الدلالة على معنيين مختلفين ، أو أحدهما للآخر لما كان ذلك إبانة ، بل تعمية وتفطية ، ولكن يحىء الشئ للنادر من هذا لعل . «^(١) . وابن سيده يرى التأييد التام لوقوع الأضداد فى العربية ، يقول^(٢) : «فأما اللفظة تدل على (كميتين) مختلفين منفصلتين : كالشجر الذى يقع على العدد القليل والكثير ، والجلال الذى يقع على العظيم والصغير . واللفظة التى تدل على (كيفيتين) متضادين كالسهل الواقع على العطشان والرى .

واللفظة الدالة على (كيفيات) مختلفة ، كالجون الواقع على السواد والبياض والحرارة ، والسدفة المقولة على الظلمة والنور ، وما بينهما من الاختلاط . فأتى على جميعها مستقص فى فصل الأضداد من هذا الكتاب ، مثبته له غير حاجة ، ومضطراً إلى الإقرار به على كل نافع معاند ، ومبرئاً للحكماء المتواطئين على اللغة أو الملهمين إليها من التفريط ، ومنزهاً لهم عن رأى من وسهم فى ذلك بالذهاب إلى الإلباس والتخليط » .

فهو قد اعترف بها فى الكميات ، والكيفيات ، مستقص لها ، برغم كل منكر ، مبرئاً لعلمائنا من كل طعن وجه إليهم ، لاعتراهم بالأضداد .

* * *

• حجج الرافضين للأضداد :

وقديماً علل ابن درستويه - فى شرح الفصيح - رفضه للأضداد : بأن اللغة « موضوعة للإبانة عن المعانى ، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين ، أو أحدهما ضد للآخر ، لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتفطية^(٣) .

(١) المحقق ٣/١ - ٧

(١) الزهر ١/١٨٥

(٣) مجلة السافى الدري مجلد ٨ ج ١ ص ٩٦

وأنكر إبراهيم بن عذرا (١٠٩٢ - ١١٦٧ م) وجود الأضداد في اللغة المقدسة (العبرية) ، بل ونفاه في كل اللغات ، لأن الكلمات كعلامات يراد بها الدلالة على ما في نفس المتكلم ، فإذا كانت الكلمة من الأضداد على نحو ما زعموا ، لا يتيسر الفهم للسامع^(١) .

والأستاذ عبد الفتاح بدوى أشد الرافضين للأضداد : وإذا كان ابن درستويه اعترف بالأضداد على قلة .. فإن الأستاذ عبد الفتاح بدوى يعلن : « إننا لنجدى الذين يزعمون أن في اللغة أضداداً ، ونباہلهم بجميع كلمات اللغة العربية ، أن يأتونا بلفظ واحد له معنيان متقابلان بوضع واحد . فإن لم يفعلوا - ولن يفعلوا - فليس في اللغة تضاد »^(٢) . وفي هذا غلو كبير . وعلى أساس هذا الرفض استند المحدثون ، وقالوا :

د إن التضاد مناف لطبيعة اللغة ، وأنه لا يسهل التفاهم بين الناس : فمن الصعب أن نقبل أن المعاني الأولية المضادة يتفاهم الناس عنها بلفظ واحد . والصعوبة التي تنشأ من التضاد أكبر جداً من التي تنشأ من الاشتراك . وإذا قيل : إن القرائن توضح المراد ، كان هذا تسليماً حقاً بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة ، لأن الاعتماد على القرائن ليس من طبيعة اللغات في سذاجتها ، وإنما هو طور آخر فوق ذلك^(٣) .

أقول : ونسى هؤلاء أن الألفاظ لا تعيش فرادى ، بمعزل عن جاراتها وإنما حياتها في السياق ، كما يفهم الكلام من الجملة .

ولا نفهم أيضاً : كيف تكون الصعوبة الناشئة من التضاد أكبر من الناشئة من الاشتراك ، مع أن من معاني المشترك ما لا صلة له بالهبة بغيره ؟

ولم يزد التضاد عن الاشتراك إلا انفراج مسافة الخلف بين المعنيين .
 وإذا وعى السامع الجملة فلن يخفى عليه قصد المتكلم . وكلام العرب يصحح
 بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب فيه إلا إذا استكمل
 واستوفى جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة الواحدة على المعنيين للتضادين :
 لأنها تقدمها ويأتى بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ،
 فلا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد ، كقول الشاعر :

✽ كل شيء ما خلا الموت جليل ✽

فالسباق يشير إلى أن الجلال هنا ليس العظيم ^(١) . وسيظل السياق هو
 الذى يعين الغرض من اللفظ ، ويشعر بنوع العلاقة الإيجابية والسلبية فيه .
 • والشعوبيون الشائنون للعرب تلقفوا القول بأن فى العربية أضداداً ،
 وجعلوه مادة لتقشير بالعرب ، واعتباره نقيصة ، لأن اللغة للإبانة ، والتضاد
 تعمية ، فلا حكمة عند العرب .. ودفع ذلك الأزدراء فريقاً من العلماء عرباً
 وغير عرب ، الرد على أهل الهدع والزيف والأهواء هؤلاء .

✽ ✽ ✽

• وبحمل ما يراه الدكتور منصور فهمى عن الأضداد فى مجلة مجمع اللغة العربية
 (القاهرة) ، وما جاء فى دائرة المعارف الإسلامية ، وما لاحظته بعض المستشرقين
 عن الأسباب التى أدت إلى القول برفض الأضداد ^(٢) :
 ١ - أن العرب هرفت معظم ألفاظ الأضداد بمعنى واحد ، والمعنى الثانى
 جاء بفدرة ، وهناك شك فى روايتها .

(١) أشد ابن الأنبارى (الندبة) والزهر ٣٩٦/١

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية القاهرى ٢٢٨/٢ - ٢٤٤ ، وكتاب الأصول للخصرى ١٧٤ ،

ومجلة الهداية ج ٦ ، ٧ من المجلد السادس من مقال الطاهر بن عاشور .

ومثلوا بما رواه أبو زيد من أن تصدق الرجل : إذا أعطى صدقته ، جيد ، وأما تصدق بمعنى سأل فسكوت عنه من ناحية الجودة ، وأقل شهرة^(١) وأقول : وفاتهم أن الجيد وغيره ، والفصيح والصحيح ، والشاذ والغنية ، إنما كل ذلك بحسب ضوابطنا للدرس والفهم ، وعلى حسب ما ورد إلينا ، وما ورد إلينا من كلام العرب إلا أقله . وما شهر المشهور إلا بالاستعمال والجد .

٢ - وأن بعض الأضداد لا شواهد لها ، ونقول : بأن الأقدمين لم يهتموا بإيراد الشواهد أحياناً ، إذا ما شهر اللفظ ، ولمسوا الفطنة من السامع ، ولظنهم بأن كل الناس علماء .

وقد حاولت إيجاد شواهد لما لا شاهد له ، فتوفر لي الشيء الكثير بمراجعة بعض القواميس ، ودراسة بعض كتب الأدب .

وجزى الله المحققين لثرائنا الأدبي واللغوي ، كل خير : إذ نسبوا الشواهد غالباً ، وذكروا ما غفل منها ، وأتموا ما حذف منه ؛ وراجع - على سبيل المثال - :

تحقيقات الشيخ النجار ، وعبد السلام هارون ، وشاكر ، واليميني الراجوتي ، والدكتور نصار ، وغيرهم ... تجمد الجهد المبذول في سبيل الحقيقة وتوضيح البهم ، وإقامة الحججة .

وقال بعضهم : إن ابن الأنباري لم يذكر الشواهد وأيضاً عدم نسبتها^(٢) ، ولعل عذر كثير من المحدثين أنهم لم يطلعوا على قدر كاف من كتب

(١) أضداد حاتم ١٦٦ ، وإن الدعان ١٤٤ ، والأبباري ١١٠ ، وابن الطيب ٤٣٤ .

(٢) التبهات لأفسي ١٩٢ .

اللغة في هذا الجانب ، ولم يكلفوا أنفسهم - أيضاً - عناء البحث في بطون المعاجم والأهميات من الكتب الأدبية واللغوية .

وقد اطلعت على ثمانية كتب كلها وضعت في الأضداد فقط - عدا الأبحاث المبثوثة في المعاجم والكتب - بعضها في المكتبات العربية ، وبعضها في المكتبات الغربية العامة ، وكانوا كرماء فسادوني في الحصول عليها ، شكر الله لهم .

٣ - ومنها أن السياق قد يكسب اللفظ معنى التضاد ، كقول العرب : « ما ظلمتك وأنت تنصفني » . أى ما ظلمتك وأنت أيضاً لم تظلمنى . أو ما ظلمتك لو أنصفتنى . فالتضاد إنما أتى من وضع اللفظة في السياق . وبعضهم رد مثل هذا .

فما ذكره الدكتور منصور فهمى : بأن العرب تزيدوا وتكثروا وتساملوا ... إلقاء القول على عواهنه : إذ نهوا على الضعيف ، وردوا ما لم يستقم مع ضوابطهم ، وأستطوا ما يقطرق إليه الاحتمال . . . وجعلوا بعض الأمثلة من أشباه الأضداد ، حينما قامت الشبهة بأن قانون الأضداد لا ينطبق عليها .

٤ - وبعضهم يرد الأضداد ، لأنها من لهجات مختلفة مثل (وثب) في لغة حمير ، وغيرها . ونقول : بأن بعض العلماء جعل هذا طريقاً للأضداد ، ولهجات العرب ، إذ كلها عربية ، وبعضهم جعل (وثب) في لهجتين عربيتين .

٥ - وبعضهم يرد الأضداد بسبب أن أحد المعنيين - أحياناً - يكون حقيقياً ، والآخر مجازياً .. وقد ذكرنا في « المشترك » ، بأن في المجاز خطوات كثيرة منسية .

وأيضاً ما عد أحياناً مجازاً عده محققو العلماء حقيقة .
وذكرنا : أن النقل في اللغة للاستعمال وضع ثان ، وأنه في اللغة كالنسخ
في الشريعة .

ونعترف بأن الأسرار البلاغية لا علاقة لها - في الواقع - بوضع اللغة ؛
لأنها أمور نسبية تختلف طرق التعبير عنها بتفاوت الأشخاص . فلم يكن
ضرورياً أن يكون ما استعمل على سبيل التقابل لغرض دال على التضاد
الحقيقي الوضعي ، ولكن الناس إذا تناسوا علاقة التقابل هذه (التي تستدعيها
الصورة والألفاظ والأفكار المتداعية) نقلوا هذه الألفاظ متوهمين فيها
التضاد الحقيقي ، فاجتمع لديهم من ذلك ما اجتمع مما يسمونه « بالأضداد » .
ويمكن أن نسميه بالتضاد في الاستعمال ، فضلاً عن تقادم العهد ، ونسيان
الأصل ، وضياع الخطوات ، وتضارب القول بأصل الوضع ، والاستعمال
الأخير نسخ .

٦ - وبعضهم أرجع الأمر في التضاد إلى التفاؤل والتشاؤم ، كما في
(المغازة) و (السليم) .

لكننا نجد : أن بعض علماء اللغة خرج ألفاظ التشاؤم والتفاؤل أحياناً
على غير هذا الخروج : كما مر بنا أن ابن الأعرابي جعل (فوز) بالتشديد
بمعنى سلم ومات ، وقيل في : (السليم) أنه الذي أسلمه ذووه ، كما ذكر
الشاعر فيمن مله العواد والمداوون^(١) .

ويلاحظ أيضاً أن لفظة (الشوواء) - بمعنى الجميلة - للفرس الموصوفة
بأوصاف مخصوصة : كسعة القم والمنخارين ، إذا نقلت إلى المرأة الجميلة ،

(١) ديوان النابغة الذبياني ، صمعة ابن السكيت ١٦ .

ولوحظ معنى الشوهاء في المرأة ، فإن المرأة تأنف من ذلك ، لكن إذا اعتبرنا النقل وما أكرهه في الأسماء من النيات والحيوان إلى الإنسان وأسمائه وصفاته ، وأيضاً أن مقاييس الجلال تختلف من عصر إلى عصر : فكانت : «ربا الخلل» تعجب امرأ القيس ، لكنها اليوم تغير الاشفاق ، ويخشى عليها من المرور أمام مركبات السير السريعة ، وبقي أن (الشوهاء) من ألفاظ الأضداد : للجمال والقيح . كما ذكرنا في فرس شوهاء ، واسعة الغم وضيقته .

وابن جني يجري الشوهاء مجرى القلب لدفع العين^(١) . وهذا يوافق معتقد العوام حتى اليوم .

وللزبيدي كلام مفيد وجامع في هذا اللفظ (شوهاء) ، جمع فيه ما قاله من قبله ، وجعل (الشوهاء) : واسعة الغم في الفرس وضيقته : ضد^(٢) .

٧ - وبعضهم جعل التضاد في الألفاظ التي ترجع إلى اختلاف الصيغة أحياناً ، كما في فعل وأفعل ، أو اختلاف المصادر ، مثل : الصلاة والوجد . وقد ذكرنا من الرد ما فيه السكفاية في هذا الجانب في : «مقدمة المشترك» فراجع إن شئت .

٨ - وردوا بعض الألفاظ للاختلاف في تفسيرها ، مثل : «فوق» للعظيم والدون ، كما في قوله تعالى ﴿مَثَلًا مَّا بَعْرُضَةٌ مَعًا فَوْقَهَا﴾^(٣) ، وبشبه بعضهم بأن معنى (فوق) لا يكون الدون أبداً ، مع أن كثيراً من المفسرين الأقدمين اختلفوا فيها ، على ما هو موجود في كتب التفسير بين العظيم والدون . وأيضاً فإن لفظ (الدون) وشواهدة تصرح بالأعلى والأدنى .

(١) الخصائص ٢/١٢٠ (٢) تاج الدروس ٩/٣٩٥ (٣) البقرة: ٢٦

(١٤ - المشترك اللغوي)

٩ - وإذا جنح بعض المؤلفين في الأضداد إلى اختيار ألفاظ ، لم يقبلها بعض علماء الأضداد الآخرين وردّها ، أو نقدوا بسببها ، أو أخرجوها من ألفاظ الأضداد ، فلا ينفى ذلك وجود التضاد ، وإنما ذلك رأى واجتهاد للأولين ، أصابوا أو أخطأوا . . وأمانة من العلماء التابعين لهم في الدقة والبحث والتحصيل ، فأبقوا ما ارتضوه ، ونفوا ما لم يرتضوه .

والمعاني الفلسفية ، والتأويلات التفسيرية والبعد في التخريج ، والمباحكات اللفظية ، مثل : (باع) بمعنى مدّ باعه في البيع والشراء ، والأرض من السكون والفساد ، ولفظ (جون) معربة من (كون) في لغة أخرى ... كل تلك أشياء ما عرفها العربي البدائي البسيط ، ابن الطبيعة الصافية ، وصاحب اللغة .

* * *

المفسرون والأضداد

لعل عدة المفسر الأولى هي اللغة ، إذ أنها وعاء التزيل ، ومن ثم فلا بد للمفسر من بصر بالعربية ، يجعله أهلاً لل تفسير بجانب مؤهلاته الأخرى .
ذكر بعض العلماء أن بعض ألقاظ الأضداد لم يتفق عليها المفسرون ، مما يشكك في وجود الأضداد ، أو نفيها . . فكان لزاماً علينا أن ننظر في بعض كعب التفسير ، ونرى رأى المفسرين :

وسنرى أن المفسرين كالقراء لم بصر بالعربية ، وأنهم اعترفوا صراحة بوقوع الأضداد في القرآن الكريم ، كما وقع في السنة النبوية الشريفة .

فقد اعترف قدامى المفسرين بالمشترك والمتضاد ، وتقدم لنا أن شيخ المفسرين ، الطبري ، ذكر أن بعض ألقاظ المشترك لم ينص على معنى معين منها قانون منزل ، ولا وحى يقلى ، ومن ثم فلفظة المشترك تمحل أكثر من معنى .
وجاء في القرآن (المولى) بمعنى السيد ، واستعمل المولى بمعنى التابعين الملحقين بالمرء من إمام وحلفاء .

ولإذا كانت القراءة المشهورة في ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ ^(١) في (بين) تجعله بمعنى الفراق ، فإن القراءة (برفع البين) تجعله بمعنى الوصل .
وذكر كثير من المفسرين أن لفظ (الصريم) في قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيم ﴾ ^(٢) يتحمل معنيين متضادين ^(٣) .

ولفظ (القرء) ، شغل كثير أ من العلماء والباحثين والفقهاء ، والأصوليين :
هل هو الخيض أو هو الطهر ؟

(١) الأنعام : ٢٠ .

(٢) الأنعام : ٢٤ .

(٣) التلخيص : ١٩٩ ، والكشاف : ١٤٤ ، وتفسير الرازي : ٨٨٧ .

و (القانع) قرر الكثيرون : أنه الراضى بما فيه ، وهو السائل والمحتاج أيضاً .

وراجع (الحليم) و (بعض) عند الفيروز آبادى ^(١) . وإن رد الراغب (بعض) . ولفظ (البيع) فى البصائر ^(٢) . و (عَسَسَ) عند أبى عبيدة ^(٣) . وكذلك (تهجد) ^(٤) . بمعنى سهر ونام . و (وراء) ، و (أخفى) ^(٥) . وكذلك (أمرؤا) و (الغابر) ^(٦) .

و (خاف) ، و (بينكم) و (عفا) ^(٧) . راجع (قرو) ، و (نسخ) عند الجصاص ^(٨) .

• راجع فى الكشاف للعلامة الزخشرى ، فى : (ظن) و (قرو)

و (فوقها) و (أمرؤا) و (وراء) و (أخفى) و (صَرِمَ) و (عَسَسَ) ^(٩)

• راجع على هامش تفسير الجلالين ، رسالة جليله للإمام أبى القاسم

ابن سلام ، يتضمن ما ورد فى القرآن الكريم من لغات القبائل ، وفيها من

الأضداد ، وجعله من لهجات القبائل العربية ، مثل :

(شروا) بأهوا بلفظة هذيل . و (وراءهم) : أمامهم بلفظة النبطية .

و (يرجو) يخاف بلفظة هذيل . و (فينسخ) : يبطل و (افصد فى مشيك) ^(١٠)

توسط وأسرع بلفظة هذيل . و (عَسَسَ) ، تفسيره : أقبل بظلامه ، وأدير .

(١) بصائر ٤٩٧/٢ ، ٢٥٨/٢ ، و مجاز القرآن ٥/٢

(٢) بصائر ٢٨٠/٢ ، ٣٢٣/١

(٣) تفسير الرازى ٧٢/٣١ ، والكشاف ٢٢٤/٤ ، و مجاز القرآن ٢٨٧/٢

(٤) السابق ٣٨٩/١ (٥) السابق ١/٢ ، ١٦/٢

(٦) السابق ٣٥٠/٢ ، ٨٩/٢ ، ٢١٨/١ (٧) السابق ١١٦/١ ، ٢٠٠/١ - ٢٢٢

(٨) أحكام القرآن للجصاص ٣٦٤/١ - ٣٧٤ ، والكشاف ٢٤١/٢

(٩) تفسير الكشاف فى هذه الأرقام على التوالى للألفاظ : ٢٧٨/١ ، ٣٦٥/١ ، ٢١٨/٢ ،

٤٩٥/٢ ، ٣٢٣/٢ ، ٥١٦/٢ ، ١٤٤/٢ ، ٢٣٤/٢ (١٠) لسان : ١٣

وأدبر بلغة قريش^(١) ...

• وراجع التفسير الكبير للعلامة الرازي ، في قوله تعالى : ﴿فأفوقها﴾ ، بمعنى : ما أعظم وما دون^(٢) .

• وراجع في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة :

﴿فأفوقها﴾ : فأفوقها ، كما في مشكل القرآن . و (يظنون) : يعلمون ويتيقنون ، والظن : شك و يقين . و ﴿ثلاثة قروء﴾ : الحيض والطهر . و (الظن) : العلم ، و (وراءهم) : أمامهم . و (يرجو) : يخاف . و ﴿أَسْرُوا اللَّيْدَامَةَ﴾^(٣) : أظهروها . و (نسقنسخ) : أى نكتب . و ﴿بَطَّأْنَهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾^(٤) : أى ظلواها . و (بالقسط) : بالعدل ، و (القاسطون) : الجاثرون^(٥) ...

• وفي بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز :

(نسقنسخ) ، ثبت ونسكتب ، أو نزيل ، و (البلاء) بمعنى : النعمة ، وبمعنى المكروه ، و (بكى) غنى من الأضداد . و (شروه) . و (المسيح) للضليل ، والصديق . ﴿وَكَاَسَا دِهَاقًا﴾^(٦) ، ملأها ، أو أفروغها^(٧) .

فلا يقال بعدئذ : إن المفسرين رفضوا الأضداد .

* * *

(١) هامش تفسير الجلالين ، لهذه الألفاظ على توالى هذه الأرقام : ١٢٧/١ ، ١٠٢/٢ ، ١٢٧/٢ ، ٤١/٢ ، ١٠٢/٢ .

(٢) تفسير الرازي ١٣٦/١ (٣) يونس : ٥٤ . (٤) الرحمن : ٥٤ . (٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة على توالى الأرقام للكلمات : ١٣٦ ، ٨٦ ، ٤٤ ، ٢٣١ ، ٢٥٩ ، ٣٥٧ ، ٤٠٦ ، ٤٤١ ، ٤٤٥ ، ٤٩٠ . (٦) النبأ : ٣٤ .

(٧) بصائر ذوى التمييز في ١٢٠/١ ، ٢٧٤/٢ ، ٢٦٨/٢ ، ٢٨٠/٢ ، ١٤٠/٢ ، ٦١٢/٢

• ثعلب لم ينكر الأضداد :

حكى الجواليقي: أن ثعلباً أنكر الأضداد ، وأنه قال: « ليس في كلام العرب ضد : لأنه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالاً ، لأنه لا يكون الأبيض أسود ، ولا الأسود أبيض . وكلام العرب - وإن اختلف اللفظ - فالمعنى يرجع إلى أصل واحد »^(١) . ويفهم من هذا أن ثعلباً ينكر الأضداد .
ولكننا نجد ابن الأنباري (تلميذ ثعلب) ، قد أكثر من الرواية عن ثعلب ، وصرح : بأن اللفظ قد يفيد مقابل معناه لعله من العلل ، قال :

« قال أبو العباس (ثعلب) : إنما جاز أن يقع الظن على الشك واليقين ؛ لأنه قول بالقلب : فإذا صحت دلائل الحق ، وقامت أماراته كان يقيناً . وإذا بطلت دلائل اليقين ، كان كذباً ، وإذا اعتدلت دلائل اليقين والشك . . كان على بابه شكاً : لا يقيناً ولا كذباً »^(٢) .

بل وذكّر ابن خير الدين في « فهرسته » أن ثعلباً له كتاب في إثبات الأضداد . . ولكن الكتاب لم يصلنا للأسف .

ونسكّد نجزم بأنه لم ينكر الأضداد : إذ دعاني هذا إلى الرجوع لآثار ثعلب ، وخاصة مجالسه ، فوجدته يعترف صراحة بوقوع الأضداد في اللغة .
ونذكر على سبيل المثال من مجالسه :

(المجرع) : الجبان والشجاع^(٣) و (بعض) بمعنى بعض وكل^(٤) ،
ومثل له في كتب الأضداد . و (الذفر) : من الطيب والفتن جميعاً^(٥) .
وقال أبو العباس : (ظننت) تقع لما مضى ولما أنت فيه ، ولما لم يقع^(٦) .

(١) شرح أدب الكتاب للجواليقي ١٧٧ ، وراجع شرح القصائد العشر ١٨٥ .

(٢) أضداد ابن الأنباري ١٦ (٣) مجالس ثعلب ٤٥٧/٢

(٤) السابق ٦٣/١ (٥) السابق ١١٨/١ (٦) السابق ١٨٣/١

و (هرشم) للرخو والصلب^(١) . و (فاز) بمعنى سلم أو مات عن ابن الأعرابي^(٢) . و (فاد) بمعنى تبختر أو مات^(٣) . و (وعدته) في الخير والشر^(٤) .

و (الجون) : الليل والنهار ، وهو الأبيض والأسود جميعاً ، لأنه من الأضداد ، و (الجونة) : الشمس أيضاً ، وأنشد : «حاجب الجونة أن تغيبا»^(٥) . و (الناهل) : العطشان والريان^(٦) . و (عفا) لذهب وطال^(٧) . و (شوهاه) : للقبیحة والجميلة^(٨) . وقال أبو العباس : ويقال : (طواه) أى أتاه وجازه ، وهو من الأضداد^(٩) . و (سبحا) في قوله تعالى : ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾^(١٠) . السبح : السكون ، والسبح الاضطراب^(١١) ...

وهذا قليل من كثير مما ذكره ثعلب في الأضداد ، وفي هذا دليل على أنه قد اعترف بوقوعها في اللغة ، ومثل لها ، وكل ما ساف من أثر واحد له .

• مؤيدو الأضداد :

من أبرز الذين أيدوا الأضداد ، وردوا على منكريها : ابن فارس ، وابن الأنباري ، وابن سيده :

• وقد اعتمد ابن فارس على طبيعة اللغة العربية ، وراعى الاستعمال العربي في الأساليب القصيصة ، فقال : «ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد ، نحو : الجون للأسود ، والجون للأبيض» .

- | | | |
|------------------|-----------------------|------------------|
| (١) السابق ٢٤٥/١ | (٢) السابق ٢٠٤/١ | (٣) السابق ٢٠٤/١ |
| (٤) السابق ٢٧٤/٢ | (٥) السابق ٣٧١/٢ | (٦) السابق ٣٧٩/٢ |
| (٧) السابق ٤٨٩/٢ | (٨) السابق ٤٩٠/٢ | (٩) السابق ٣٠٧/٢ |
| (١٠) المزمل : ٧ | (١١) مجالس ثعلب ٤٠٣/٢ | |

ووصف رأى المعارضين بأنه ليس بشيء ، وذلك لأن الذين رووا أن العرب تسمى السيف مهنداً ، والفرس طرفاً ، هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد^(١) .

وكتب تأليفاً رد فيه على منكبرى الأضداد ، وفند حججهم ونقض رأيهم ، يقول : « وقد جردنا في هذا كتاباً ، ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا رد ذلك ونقضه » . وللأسف لم نعتز على ذلك الكتاب من تأليف هذا العلامة صاحب المقاييس والمجمل .

فابن فارس يمتكئ إلى طبيعة اللغة ، ويوجب الوثوق برواية الرواة . وعنده الحق - في كل ما رووا ، وكما صدقناهم فيما رووا في غير الأضداد ، يجب أن نصدقهم في الأضداد . وإلا لفتحنا باباً خطيراً للتشكيك في كل ما جاءنا عنهم .

* * *

• وتلف الشانثون والحاقدون على العرب القول بنفي الأضداد ، وطعنوا على العرب ، وألصقوا بهم التهم ، فرد عليهم ابن الأنباري بقوله :

« ويظن أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب ، أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم ، وقلة بلاغتهم ، وكثرة الالتباس في محاوراتهم ، وعند اتصال مخاطباتهم . فيسألون عن ذلك ، ويحتجون بأن الاسم منبئ عن المعنى الذي تحته ودال عليه ، وموضع تأويله . فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى » . هذا رأى الشعوبية والطاعنين على العرب . ويرد عليهم ابن الأنباري بقوله :

« إن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه . فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنها يتقدمها ويأتى بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يراد بها في حال التكلم والاختبار إلا معنى واحد . ويجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة ، وإن لم تكن متضادة ، فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم الحرف ويتأخر بعده ، مما يوضح تأويله »^(١) .

وقد فهم الدكتور السامرائي من رد ابن الأنباري : أن اللفظة - مع ما ذكره ابن الأنباري - لا تدل على الشيء وضده في الوقت نفسه ، وعنده أن خصوصية التضاد مستفادة من خارج اللفظة ، ويقصد بهذا الخارج : أن في الكلام من القرائن والمجوزات ما أدى إلى هذا التوسع في المعنى ، من جراء تطور الاستعمال ، ونتيجة الجديدي في الدلالة . ومثل بـ (رغب في) و (رغب عن) ، فكلاهما لمطلق الرغبة ، وخصوصية التضاد حاصلة في حرفي الجر : بالاتجاه الإيجابي في (في) ، والاتجاه السلبي في (عن)^(٢) .

وردنا عليه : أن الاقدمين فطنوا لذلك ، وخرجوا ذلك من باب الأضداد ، ويمكننا أن نلحقه بالأضداد في الحروف لا الأفعال ، وأيضاً : فالألفاظ رموز ، ولا حياة للكلمات إلا في السياق ، في كل اللغات .

ويؤيد ابن الأنباري في قوله : أن كثيراً من اللغات الأجنبية الآن تعتمد في فهم بعض ألفاظها وتحديد معناها على السياق في المقام الأول .

فقد تكلم ابن الأنباري واستقى رده من طبيعة اللغة العربية في الاستعمال .

(١) أضداد ابن الأنباري (المقدمة) . (٢) التطور الفوقي للسامرائي ٩١ ، ٩٢ .

والأستاذ عبد الفتاح بدوى ، يرى فى رد ابن الأنبارى دليلا على نفى الأضداد ، وهذا من أعجب العجيب ، يقول : « وإذا قيل : إن القرائن توضح المراد ، كان هذا تسليما حقا بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة ، لأن الاعتماد على القرائن ، ليس من طبيعة اللغات فى سذاجتها ، وإنما هو طور آخر فوق ذلك »^(١).

فقد سبق أن قلنا : إن التضاد ليس من طبيعة اللغة ، لكن الاعتماد على القرائن ، وتحسس السياق له القدر الملقى فى تحديد معنى اللفظة ، وإلا لأنفينا المشترك أيضا من العربية . فاللفظة وحدها رمز ، تلبس الحدث الاجتماعى بعد وقوعه ، ويفسرها السياق والقرائن .

* * *

• ولما كان الأمر خطيرا فى موقف الأضداد فى لغتنا : إذ يتعلق بالاعتراف أو النفى ، وهما فى هذا البحث إنما هو إظهار الحقيقة بعون الله . فليعذرنا القارىء الكريم إذا نحن وقفنا طويلا أمام رد ابن سيده الأندلسى ، فيما يرويه عن أبى على الفارسى ، إذ عقد فصلا فى « مخصصه » بعنوان : « كعاب الأضداد » ، وبدأة بتقسيمات سيبويه لكلام العرب ، ثم راح يثبت وجود الأضداد ، وقيم الحجة على المنكرين ، وينقض حججهم ، بقوله : وأنا أشرح ذلك كله إن شاء الله تعالى ، وأتمرى فيه أشنى ما سقط إلى من تعليل أبى على الفارسى :

اعلم أن اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو وجه القياس الذى يجب أن تكون عليه الألفاظ ، لأن كل معنى يختص فيه بالفظ لا يشركه فيه لفظ آخر ، فتنفصل المعانى بألفاظها ولا تلتبس .

واختلاف اللفظين والمعاني بعد واحدة للحاجة إلى التوسع بالألفاظ ،
وبين أن هذا القسم لو لم يوجد من الاتساع ما يوجد بوجوده : ألا ترى
أنه إذا سمع في خطبة أوقفني في شعر فركب السين ، قال فجاء به مع ما يشاكله .
ولو لم يقل في هذا المعنى إلا بعد أن ضاق المذهب فيه ؛ ومن هنا جاءت
الزيادات فيه لغير المعاني في كلامهم نحو : صباب وعجوز وقضيب فيما حكى لنا
عن محمد بن يزيد .

وأيضاً فإذا أراد التأكيد قال : قعد وجلس ، فتكون المخالفة بين الألفاظ
أسهل من إعادتها أنفسها وتكريرها :

ألا ترى أن في التنزيل : ﴿ وَغَرَّابِيبُ سُودٍ ﴾^(١) والغرايب هي السود
عند أهل اللغة ، فحسن التكرير لاختلاف اللفظين ، ولو كان غرايب
لم يكن سهلاً .

وأما القسم الثالث وهو اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغي ألا يكون
قصداً في الوضع ولا أصلاً ، ولكنه من لغات تداخلت . أو تكون كل
لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل ...
قال : وقد كان أحد شيوخنا ينكر الأضداد التي حكها أهل اللغة
وأن تكون لفظة واحدة لشيء وضده . (ولعله لم يعين شيخه لأنه
أنكر رأييه) .

ثم ذكر أنه لا حجة للمنكرين بوجه ما ، يقول :
والقول في هذا : أنه لا يخلو في إنكار ذلك ودفعه إياه من حجة من
جهة السماع أو القياس . ولا يجوز أن تقوم له حجة تثبت له دلالة من جهة

السماع بل الحجة من هذه الجهة عليه : لأن أهل اللغة كآبى زيد وغيره ، وأبى عبيدة والأصمى ، ومن بعدهم ، قد حكوا ذلك ، وصنفت فيه الكتب ، وذكروه في كتبهم مجتمعا ومفترقا ، فالحجة من هذه الجهة عليه لاله .

فإن قال : الحجة تقوم من الجهة الأخرى ، وهى : أن الضد بخلاف ضده ، فإذا استعملت لفظة واحدة لهما جميعا ، ولم يكسب كل واحد من الضدين لفظا يتميز من هذه وبخاص به خلافاً أشكل وألبس ؛ فلم الضد شكلا ، والشكل ضداً ، والخلاف وفاقاً ، وهذا نهاية الإلباس وغاية الفساد .

قيل له : هل يجوز عندك : أن تجيء لفظتان من اللغة متفتتان لمعنيين مختلفين ؟

فلا يخلو في ذلك أن يجوز أو يمنعه :

فإن منعه ورده : صار إلى رد ما يعلم وجوده وقبول العلماء له ، ومنع ما ثبت جوازه وشبهت عليه الألفاظ ، فإنها أكثر من أن تحصى وتحصر : نحو وجدت الذى يراد به العلم والوجدان والغضب ، وجلست الذى هو بخلاف قت ، وجلست الذى هو بمعنى أتيت نجداً ، ونجداً يقال لها : جلس . فإذا لم يكن سبيل إلى المنع من هذا ، ثبت جواز اللفظة الواحدة للشيء وخلافه .

ولماذا جاز وقوع اللفظة الواحدة للشيء وخلافه جاز وقوعها للشيء وضده ، إذ الضد ضرب من الخلاف ، وإن لم يكن كل خلاف ضداً ...

وضرب مثالا بقوله : « ويدل على جواز وقوع اللفظة لمعنيين مختلفين قولهم : ظننت » والظن بمعنى الحسبان وخلاف العلم ، واستعمل أيضاً لمعنى اليقين ،

كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ (١) . (ثم يعترض ويوجب في سخرية) :

فإن قال قائل : إن معنى الظن هاهنا وفيما حكاه الله تعالى عن المؤمنين في قوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴾ (٢) الحسابان ، فهو عظيم ؛ لأن الشك في لقاء الحساب كفر ، لا يجوز أن يمدح الله به !! فإذا لم يميز ذلك ثبت أنه علم وبقين . فهذا مستعمل في الكلام وخلافه لا يشك في ذلك مسلم .. ثم يستمر في سوق الأدلة يقول :

« وما يدل على فساد قول من دفع أن اللفظ يقع لمعنيين قوله تعالى في وصف أهل الجنة : ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ (٣) وطمعهم هذا لا يخلو من أن يكون على معنى اليقين ، أو الطمع الذي يجوز معه كون المطموع فيه وخلافه ، فلا يجوز أن يكون هذا الطمع ، لأنه ليس في الآخرة شك في شيء من أمور الجنة والنار ، والعلم بذلك كله اضطرار .

وبدل على أن الطمع بمعنى اليقين ما أخبر الله تعالى به عن إبراهيم - عليه السلام - : ﴿ وَالَّذِي أَوْصَعُ أَنْ يَفْقَرَ لِي خَلِيفَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (٤) ، فهذا الطمع لا يكون شكاً ، ولا يتوجه على غير اليقين ؛ لأن إبراهيم عليه السلام ، لا يكون شاكاً في الله عز وجل ، بل كان عالماً بأن الله سيفقر له ذلك » (٥) .

ونستخلص من كلام ابن سيده وغيره ما يلي :

١ - أن اختلاف اللفظين لا اختلاف المعنيين هو وجه القياس ، حتى يختص كل لفظ بمعنى .

٢ - المشترك والمتضاد ليس قصداً في الوضع ، ولا أصلاً ، ولكنه :

(٢) الحاقة : ٢٠

(١) البقرة : ٤٦

(٤) الشعراء : ٨٢

(٣) الأعراف : ٤٦

(٥) المحصن ٢٥٨/١٣ - ٢٦٧

إما من لغات تداخلت ، أو من استعمال اللفظ لمعنى مجازى ، ثم غلبت هذا المعنى المجازى حتى يصير بمنزلة الأصل .

٣ - الأضداد ، مما اتفق لفظه واختلف معناه ، فالضد ضرب من الخلاف وإن لم يكن كل خلاف ضدًا .

٤ - ورأينا اعتمد في رده على طبيعة اللغة في استعمالاتها ، وهذا رائع منه ، كما ذكره ابن فارس .

وأن ابن الأنبارى شكك في نيات النافين للأضداد ، واعتمد على السياق وموضع الكلمة ، ومساعدة الجوار على فهم فحواها ، وأصاب في ذلك .

واستعمل ابن سيده : المنطلق والجدل في رده ، فأخيم المعارضين وسد عليهم منافذ القول .

* * *

أضداد بلا شواهد :

رمى بعض المحدثين علماء الأضداد القدامى ، بأنهم ساقوا بعض ألفاظ الأضداد بلا شاهد أحيانًا ، وبدون نسبة مرة أخرى . ونسبوا أكثر ذلك لابن الأنبارى . ولما اطلعت على السكتة من كتب الأضداد أدركت أنهم لم يطلعوا إلا على قلة من كتب الأضداد ، أو على كتاب ابن الأنبارى وحده (والرائى لم يره مطلقًا) .

وحين نظرت في كتاب الأضداد لأبى الطيب اللغوى ، وجدت أن الشواهد التى أغفلها ابن الأنبارى قد استشهد لها أبو الطيب اللغوى فى اثنتين وأربعين لفظة . ولم يبق من الألفاظ التى لا شاهد لها عند ابن الأنبارى ، سوى ثمانية وعشرين لفظًا .

ومنعاً للإطالة أذكر بعض الألفاظ التي لم يستشهد لها ابن الأنباري وجاءت شواهدا عند أبي الطيب اللغوي ، فليراجعها من شاء ، ومن هذه الألفاظ :

« بيع ، السكري ، قد انتقبض الرجل ، يوم ممعمان ، خل ، طلعت ، اجلب ، العربض ، الثني ، بعل ، الفجوع ، الزجور ، الرغوث ، قشيب ، عروك ، ظور ، رحول ، الحضارة ، الخابط ، زعوم ، الثلة ، حططنا ، رعيب ، البيحيز ، بنة ، افترط ... » ومن يرجع إلى القواميس المعتبرة يجد شواهد كثيرة .

وأما نسبة الشواهد إلى قائلها ، فقد قام المحققون المخلصون بدور هام في هذا الجانب ، وأذكر من هؤلاء الأفاضل الأساتذة والمشايع :

محمد عبده ، ومحمد علي النجار ، وسيد صقر ، والشنقيطي ، ودكتورة عزة حسن ، ودكتور محمد حسين ، وعبد العزيز الميمني الرجواني (الهندي) ، ومحمد علي البجاوي ، ومحمد شاكر ، وأبو الفضل إبراهيم ، وعبد الستار فراج ، وعبد السلام هارون ... وغيرهم ممن أسدوا إلى العربية يداً تذكر فتشكر . . فجزاهم الله عنا خير الجزاء .

ولو كلف الذين عابوا على القدامى سوق الألفاظ بلا شواهد ، أو بلا نسبة .. لو كلفوا أنفسهم الرجوع إلى موسوعة ، أو إلى تحقيق أصل ، أو أصل محقق ، أو قاموس معتبر ، أو إلى جهد عالم .. لما كتبوا ما كتبوا ، ولأراحوا واستراحوا .

وعلى سبيل المثال راجع شواهد (العنف) ، في تاج العروس ٢٥٩/٦ . وفي (القائيق) للزحشرى راجع شواهد (ثلة) في ١/١٦١ ، ٢١٤ . و (الحرفة) في ١/٢٥٣ ، ٢٥٢ ، و (الأم) ٢٧٠/١ ، و (البعل) ١٠٠/١ .

وفى د أساس البلاغة ، راجع شواهد : (رثاء) ١٥٤ ، و (أرز) ٤ ،
 و (قدم وقدم) ٣٧٢ ، وفى أضداد طيب ٥٦٨ ، و (النعف) ٤٦٤ . هذا
 فضلاً عما سبق من الشواهد التى ساقها أبو الطيب فى كتابه ، لما أغفله
 ابن الأنبارى وسنذكر شواهد لما عرى من الشواهد ، وألفاظاً جديدة
 تناولتها أمهات الكتب الأدبية واللغوية وكتب الأضداد المتأخرين .

* * *

● التشبيه بالأضداد :

نبه بعض علماء الأضداد على أن من الألفاظ ما يفسر تفسيرين مختلفين ،
 لكنهم ضنوا عليها بعدتها من الأضداد ، وأطلقوا عليها : « شبه الأضداد » .
 وجعلها ابن سيده تحت عنوان : « وما هو فى طريق الأضداد » ، وعد
 منها : (سنح) للسهل والخرج ، و (وجاح) للستر وضده ، (والجرى)
 للذى يخالط الناس ، والذى يحقنهم ^(١) .
 وذكر ابن الأنبارى بعض هذه الألفاظ فى أضداده ، ومعظمها من
 ألفاظ الألوان .

والتنبيه على التشبيه بالأضداد ، دليل على : أن علماء الأضداد لم يجمعوا
 كل ما هب ودب ، ونسبوه للأضداد ، كما تقدم بذلك بعض المحدثين .
 وهذه نماذج من التشبيه بالأضداد :

(الأحمر) مما يشبه الأضداد : يقال للأحمر وللأبيض : قال أبو عمرو
 ابن العلاء : أكثر ما تقول العرب فى الناس أسود ، وأحمر ، قال : وهو أكثر
 من قولهم : أسود وأبيض ^(٢) . وأنشد ابن السكيت لأوس بن حجر :

(١) الخصص ١٣/٢٦٦

(٢) أضداد ابن الأبارى ٢٤٦ ، وشرح الفضليات لابن الأنبارى ٢٢٨

وأحر جعداً عاليه النسور^(١)

و (الأخضر) يقال : للأخضر ، وللأسود ، قال الشاعر :
وليل كلون الساج أسود مظلم قليل الوعى داج كليل الأرندج^(٢)
(الساج : طيلسان أخضر . فشبه الليل بالطيلسان الأخضر ويريد شدة
سواده ، والوعى : الصوت . والأرندج : جلود سود) .

وقال أبو هريرة - رضى الله عنه - « أصحاب الدجال عليهم السبعان ،
شواربهم كالصياصى : (قرون البقر) وخفافهم مخرطمة » . أى لها خراطيم^(٣)
وقال ذو الرمة : (فى ظل ليل أسود) :

قد أعسف النازح المجهول معسفه فى ظل أخضر يدعو هامه البوم^(٤)
(أعسف : سار على غير هدى . النازح : البعيد . والمجهول : الذى
لا علم له . والأخضر : يقصد به ها هنا الليل . والهام : ذكر البوم) .
وقال ذو الرمة : يصف تبتكاً اشتدت خضرته :

كسا الأكهم بهى غضبة حبشية نؤاماً ونقعان الظهور الأفارع^(٥)
(البهى : نبت - والنقعان : حيث يستنقع الماء . والظهور : ما ارتفع
من الأرض ، والأفارع من الأرض : الصلاب) . فقال حبشية : وهو يريد
شديد الخضرة .

ونبه بعض اللغويين على أن الأخضر ليس من حروف الأضداد ، وإن
ذهب به إلى معنى السواد ؛ لأن الشيء إذا ما اشتدت خضرته رُئى أسود ،

(١) السابق (٢) أضداد ابن الأثير ٣٤٧ (٣) السابق .

(٤) ديوان ذي الرمة ٥٧٤ ، أضداد ابن الأثير ٣٤٨

(٥) ديوان ذي الرمة ٤٥٠ ، أضداد ابن الأثير ٣٤٨

(١٣ - المشتك الأفوي)

والدليل على هذا : أن بعض المفسرين فسر قول الله تعالى : ﴿ مُدْهَاهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾^(١) فقال : خضر اوان تضربان إلى السواد من شدة الري^(٢) .

وقال الهبي : (أبو أمية الفضل بن العباس بن عقبة) ، يفخر بأن لونه أسود كلون العرب :

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب^(٣)
و (الأسود) : شبيه بالأضداد ، يقال للأسود : ويقال درهم أسود :
إذا كان أبيض خالص الفضة جيدها^(٤) .

وقد روى بالسند : أن الأحمش سئل عن حديث فأنى أن يحدث به ،
فلم يزل المسائلون يحاورونه ويداورونه ، حتى استخرجوه منه . فضرب لهم
مثلاً فقال : جاء قفاف إلى صيرفي بدرهم يريه إياها ، قفف منها الصيرفي
سبعين درهماً ، فلما وزنها القفاف عرف النقصان ، فقال :

عجبت عجيبة من ذئب سوء أصاب فريسة من ليث غاب

وقف بكفه سبعين منها تنقاه من السود الصلاب

(قفاف : سارق الدراهم بأصبعه . السود : يقصد البيض) .

وقال بعضهم : ليس الأسود من الأضداد ، لأن الدرهم إذا وصف
بالسواد فإنما يذهب به إلى أنه قديم الفضة جيدها ، وأنه قد تغير لونه ،
واسود بعض الاسوداد ، لمرور الأيام والليالي ، كما حكى ابن الأنباري^(٥)
ونقول : لكن أصبح لها وصف السواد .

(١) الرحمن : ٦٤

(٢) أضداد ابن الأثير ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ومعجم الشعراء ٣٠٩ ، واللؤلؤ والمختلف

٣٥ ، أضداد أبو الطيب ٢٣٩/١ ، واللسان (خضر)

(٣) أضداد ابن الأثير ٣٤٩ (٤) السابق .

علماءنا أمناء.. وباللغة بصراء

علماءنا الأقدمون كان علمهم حسبة لله تعالى ، ومن ثم فلا يعتبر تقدم لبعض حسداً ، ولا هدماً ... إنما كان تقدم بناء ، ولوجه نظر ، واستدراك على وجهة نظر مخالفة أو إمداء بما لم يصل إلى الآخرين .. وقبل كل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى .

كما احتاطوا للأمر بقولهم : أظنه ، أو لا أحقه ، أو لم أسمع به ، أو لا أدري ، أو والله أعلم^(١) .

وخالفوا بأدب كتبهم : وهم ، زعم ، وليس الأمر كما قال ، وغاب عنه ، وعندى ، ولا أقول بذلك ...

ولم يغمطوا فضلاً لسابق ، ولا رأياً لراء ، فساقوا حججه ، وذكروا أدلته ، ودعوا له بخير .

واستفاد العلماء اللاحقون من السابقين ، واعترفوا بذلك أمانة وتواضعاً .

وجوزوا أكثر من وجه إذا سمع من الفصحاء ، كما يعلق على ذلك أبو الطيب بقوله : « وكل صواب مسموع العرب »^(٢) . ويسقشده .

ويرجحون شيئاً ويردون شيئاً ، متى قام الدليل . وكل ما أشار به المحدثون ، وتحديثوا عنه ، كتبهم : البيع يقوم على للمائدة ، فكلما الطرفين بائع ومشتري .. وأشار إليه الأقدمون^(٣) .

(٢) السابق ١/٢٤٦

(١) أضاء الطيب ١/٣٦٣

(٤) السابق ١/٤٩

وميزوا بين الاشتقاقات والجموع ، ونهبوا إلى اختلاف المادة ، حتى لا يكون الاشتراك كاذباً ، مثل : هوى (فعل ماض) ، وهوى : اسم .
 وجمع (حرف) للبقاء القوية ، أحرف . ومن الخط حروف . ومن الجليل حرفة^(١) .

ومتى استقام له الشاهد وقف عنده : كقول أبي الطيب :
 « ولكن من الأضداد عندى قولهم : ضيقت الرجل أضيعة تضبيعاً
 إذا قصرت في أمره ، أو جعلته في ضيعة يعالج فيها » . أما ضاع بمعنى :
 ضياع الشيء ، وبمعنى ظهر ، فلم يعده أبو الطيب من الأضداد ، لاختلاف
 التصريف ، وإن عده السجستاني منها^(٢) .

والمغازاة من (فوز) إذا مات أشاروا إليها^(٣) . وأبو الطيب يرى
 التشبيب بمعنى القديم أيضاً ، ما دام قد حكاه عدة من علمائنا ولا يحسبه إلا
 صحيحاً^(٤) . ورد السجستاني « بردية » بمعنى سخنيه ، كما يزعم قطرب ،
 ووافق أبو الطيب السجستاني لأن المعنى لا يستقيم على ما ذكر قطرب^(٥) .
 وردوا ما لم يستقم لديهم ، ولم يقبلوا بعض الألفاظ وعددوها
 في طريق الأضداد ، وردوا ما تكلمت به العرب متلوياً عن وجهه ، كما صنع
 أبو الطيب في آخر كتابه (الأضداد) وراعوا الدقة في تسمية العرب
 لكل دقيق وجليل باسم يخصه ، كالثغنات في الأضداد .

فعلماؤنا القدامى — رحمهم الله — كانوا من أعرف الناس بالحدود
 التي يجب أن يقفوا عليها وعندها .

(٢) السابق ١/٤٠١

(٤) السابق ٢/٨٨٠

(١) السابق ١/١٩٢

(٣) السابق ٢/٥٥٧

(٥) السابق ١/٨٦

واعتزوا بالسند : جاء في أول شرح المفضليات للضبي ، أن ابن الأنباري (شارح المفضليات) قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الجراح الخزاز قراءة عليه قال :

قرأ ابن الأنباري (السكتاب) على والده ، ورويت القصائد بالسند عن عامر بن مهران أبي عكرمة الضبي ، عن الضبي نفسه مجلساً مجلساً ، وذكر أنه أخذها عن أبي عبد الله بن زياد الأعرجي وذكر أنه أخذها عن المفضل الضبي .

وقال ابن الأنباري : كنت أسأل أبا عمرو بندار السكوني وأبا بكر العبدى ، وأبا عبد الله محمد بن رستم ، والطوسي وغيرهم ، عن الشيء بعد الشيء ، فيزيدونني على رواية أبي عكرمة البيت والتفسير ، وأنا أذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى . فلما فرغنا منها صرت إلى أبي جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح فقرأتها عليه كلها ، شعرها وغريبها ، فأنكر على أبي عكرمة أشياء أنا مبينها في مواضعها ، ومسند إلى أبي جعفر ما فسر وروى في موضعه إن شاء الله .

• ولاحظ علماؤنا القدامى استعمال الشاعر الواحد للاسم الواحد في أكثر من مسمى ، مثل : (التلعة) بمعنى الارتفاع والانخفاض في استعمال الشاعر الراعي .

و (دوم) بمعنى سكن وتحرك ، عند ذى الرمة . واستعمال : (الإهماد) للجد في السير ، والإهمال فيه أيضاً عند رؤبة .

وأبو الطيب لا يرى السوق ساقطاً ، بل مدهمناً بمعنى الجيد .

وابن الأنباري يرى الأصل الجامع للمعنيين ، كأنذر بمعنى شدة الريح

مطلقاً في الطيب والنتن جميعاً . وهناك فرق بين الثلاثي والرابعي في بعض الاستعمالات ، وأحياناً لا فرق كما في « شام » ، وقد حكاه ثعلب عن مسعدة عن الفراء .

فهل يجوز - بعدئذ - رمي هؤلاء بالتزويد ، أو الافتراء ، أو التعسف ، أو عدم الدقة ، أو إلقاء القول على عواهنه ، أو عدم الفقه لما تناولوه ؟ !
اللهم إن هذا لا يجوز .



الأضداد كثيرة

• الفاظ مخبوءة وشواهد مبثوة :

وصف بعض العلماء ألفاظ الأضداد بالقليلة ، ووصنها بعضهم بالكثرة ؛ فقد ذكر منها ابن الأنباري ، أربعائة لفظة بينما « جيز » لم يذكر منها سوى عشرين لفظة . وقالوا : إن ابن سيده توسط فذكر مائة وعشرين لفظة .

والأمر - في نظري - يزيد على أربعائة لفظة بكثير ، وهذا ليس بالقدر اليسير في تنمية اللغة العربية ؛ من باب أنه إذا كان التخاطب والقوام ممكناً بمحوالى ثلاثة آلاف كلمة ، فإن أكثر من أربعائة كلمة في التضاد ليست بالأمر الهين في التنمية ، حينما ترى المعنى في وجهين مختلفين ، فضلاً عن التوسعة بالمشترك اللفظي كما رأينا في كثرة معاني اللفظة الواحدة ، وكذلك المشترك المعنوي (المترادف) .

وإن من يطالع القاموس - مثلاً - فإنه واجد - ولا شك - إشارات كثيرة صريحة لألفاظ جديدة للألفاظ ، استشهد لمعظمها صاحب تاج العروس وغيره . والمحكم لابن سيده ، والنهاية لابن الأثير ، وغيرها ... ونسوق هنا بعض ما وجدناه من الشواهد والألفاظ ، ومعظمها لم تذكره كتب الأضداد ، مشيرين إلى مصادره في إيجاز ، ورأى العلماء فيه :

(كتم) من الأضداد : قال أوس بن حجر :

كَتَمُوا طَلَاعَ الْكَفِّ لَا دُونَ مِلْمَتِهَا
وَلَا عَجْسُهَا مِنْ مَقْبِضِ الْكَفِّ أَفْضَلًا

وصف القوس بأنها مرتفعة الصوت ، بقوله : (كقوم) لأن الكلمة من الأضداد^(١) .

و (ترك) شبيه بالأضداد : فهو القهر والاختيار ، والجعل أيضاً ، كأنه ضد . وشاهد القهر قوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ ﴾^(٢) . وشاهد الاختيار قوله تعالى : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾^(٣) .

و (زم) حرف من الأضداد^(٤) . وجاء في القاموس ، والتاج : المزاومة : المقاربة والعداوة : ضد .

و (مديان) من الأضداد : للذي يقرض الناس كما قال ابن برى وابن خالويه ، ووصفوه بالغريب . وفي الصحاح هو من يأخذ بالدين ويستقرض . واستشهد ابن الأثير لهذا بالحديث : « ثلاثة حق على الله هونهم : منهم اللديان الذي يريد الأداء »^(٥) .

و (جعفر) هو النهر عامة ، أو النهر الصغير حكاية ابن جني وأنشد :
إِلَى بَلَدٍ لَا بَقْ فِيهِ وَلَا أَدَى وَلَا نَبْطِيَّاتٍ يُفَجِّرُنَ جَعْفَرًا
رَأَاهُ الْجَوْهَرِيُّ وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : النهر الصغير . وابن الأجدابي اقتصر على الكبير (أى ضد باعتبار الوصف) . قال : قاله شيخنا وأنشد عن شيوخه :

يُثْنِي مَعَاظِفَهُ وَأَذْرُفُ عِبْرَتِي فَإِخَالُهُ غُصْنًا بِشَاخِيءٍ جَعْفَرٍ
وأشد ابن الأعرابي : تأود عسلوج على شط جعفر^(٦) .

(١) ديوان أوس ٨٩ ، نظام الترتيب للربيع ١٠١ (٢) الدخان : ٢٥

(٣) بمائر ذوى التميز ٢/٢٩٨ - والآية من سورة الدخان : ٢٤

(٤) القاموس (زم) ، تاج العروس ٣٠٣/٨

(٥) الصحاح ، والنهاية لابن الأثير (دين) وتاج العروس ٧/٢

(٦) الصحاح والقاموس (جعفر) وتاج العروس .

و (جمشوش) : الطويل والتصير : ضد^(١) . و (الجلعد) : الصلب الشديد ، ومن النساء : المسفة^(٢) .

و (صرى) : إذا باد ، وإذا تخلف ، قال أبو الطيب : وهو أيضاً من الأضداد ، وحكى عن ابن الأعرابي^(٣) .

و (أوجى) : أعطى عن أبي عبيد والكسائي ، وأنكره شمر ، وسألته فأوجى : أى بخل ومنع^(٤) .

و (الونى) : التعب والفترة : ضد . كفى المحكم والصحاح . قال امرؤ القيس :

مَسَحَّ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى أَثَرْنَ الْغُبَارَ بِالسَّكْدِ بِدِ الْمَوَكَّلِ
وَأُنْشِدَ الْقَالَى :

وَصَيِّدَحَ مَا يَفْتَرُّ وَنَاءَ

وَلَمَّا وَنَتْ الرَّكَابُ جَرَتْ أَمَّا مَا^(٥)

و (شجا) : اللهم والحزن ، ولاطرب أيضاً : ضد^(٦) .

و (شرى) : رذال المال وخياره قاله ابن السكيت ، وقال الراغب : وشربت بمعنى بعت أكثر . وحكى عن الجوهري رذال المال ، وحاول بعضهم أن يوهنه ويوهمه ، ودافع عنه البدر القرافي ، بأنه لا نص على الوهم ومن حفظ حجة على من لم يحفظ^(٧) .

و (نضوب) : السيلان والجفاف . قال علقمة : ... قوارير في أدهانهن نضوب . (جفاف)^(٨) .

(٢) السابق (جلعد)

(١) القاموس (جمشوش)

(٤) تاج المروس ١٠/٣٨٤

(٣) أُنْشَدَ أَبُو الطَّيِّبِ ١/٤١٧

(٦) السابق ١٠/١٩٣

(٥) تاج المروس ١٠/٤٠٧

(٨) ديوان علقمة بشرح الاعم ١٧

(٧) السابق ١٠/١٩٧

و (شنيع) : ذكر أشنع عال ومرتفع ، وأشنع بين الشناعة ، قال ابن دريد : فأحسبه من الأضداد ، وأنشد :

وَكَانَتْ غَدْرَةً شَعْمَاءَ فِيكُمْ تَقْلَدَهَا أَبُوكَ إِلَى أَلْمَمَاتِ^(١)
و (النبيل) : الشيء الخسيس ، والنبيل : الجليل أيضاً ، قال حضرمي

ابن عامر :

أَفْرَحَ أَنْ أَرَزُّ السَّكِرَامَ وَأَنْ أَوْرَثَ ذَوْماً شَصّاً نَبَلاً^(٢)
و (الخيولة) للشك واليقين ، كما ذكر العمالي^(٣) .

و (صرد) من النوق ، القليلة اللبن والكثيرة : (ضد) هذا من كلام المحققين وشرحهم^(٤) .

و (عبثران) : شجر منتن الريح عن الأُموي ، قال الشاعر :

بَارِيَهَا إِذَا بَدَا صِنَانِي كَأَنِّي جَانِي عُبْثِرَانِ
وقال غير الأُموي : هو شجر طيب الريح^(٥) .

و (الحفض) : المتاع ، والبعير الذي يحمل المتاع أيضاً . وفي اللث :
(يوم بيوم الحفض المحوّر) أي صنع به كما كان يصنع^(٦) .

وأنشد الأخفش للعبير السلولي :

فَبَيْفَاهُ (بَشْرِي) رَحْلُهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَمَلُ رَحْوِ الْمِلَاطِ نَجِيبُ
ضل البعير فيئس منه صاحبه ، وجعل يبيع رحله ، ثم سمع أعرابياً يبشر
بوجوده^(٧) .

(١) الاشتقاق لابن دريد ٣٨٣ (٢) السابق ٣٩٤ ، والكمال للبهرد ٦٨/١

(٣) فقه اللغة للثعالي ٣٤٩ (٤) المنصف لابن جني ٣٧٠

(٥) نوادر ابن الأعرابي ٨٢ ، والحيوان للجاحظ ٢٤٤/١ ، والمخصص ١١/١٨٥ ، وإصلاح الألفاظ ١٦٢ .

(٦) نوادر ابن الأعرابي ٣٩٣ . والأمثال للميداني ٢١٥/٢ . واللسان (حفص) .

(٧) الكتاب المستبويه ٢٢/١ .

و (اقطس) : الشديد الوطأة ، والمتناقل المتباطيء أيضاً^(١) .
 و (دخال) أن يدخل القوم بين ضعيفين ، أو العكس ، قال لبيد
 ابن ربيعة :
 فَأَرْسَلَهَا الْعِرَاكَ وَلَمْ يَزِدْهَا وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى نَعْسِ الدِّخَالِ^(٢)
 و (المجلب) : الماضي في السير ، وأيضاً : الممتد المضجع . قال ابن الأعرابي
 يصف فرساً : وإذا قيد اجلعياً . . وتناول الأزهري بالحديث ، وابن سيده ،
 وصاحب اللسان^(٣) .

و (دقع) : شبع وجاع : وفي الحديث : « إذا جعتن دقعتن » ، وقدم
 أعرابي إلى الحضرة فشبع حتى أتخم ، فقال :
 أَقُولُ لِلْقَوْمِ لَمَّا سَأَنِي شَبْعِي أَلَا سَبِيلُ إِلَى أَرْضٍ بِهَا الْجُوعُ
 أَلَا سَبِيلُ إِلَى أَرْضٍ يَكُونُ بِهَا جُوعٌ يَصْدَعُ مِنْهُ الرَّأْسُ دَبْقُوعُ
 ودقع الفصيل : بشم . كأنه ضد^(٤) .

و (أحم) : الأحمر : الأسود من كل شيء . وقيل الأحمر : الأبيض
 - عن المجري - ضد . وأنشد . أحم كصباح الدحي^(٥) .

و (طلع) ظهر وغاب^(٦) . و (ذمة) : بئر ذمة : كثيرة الماء
 وقليلته : ضد^(٧) .

و (مرس) : مرس الحبل أبعد عن مجراه ، وأيضاً أعاده إلى مجراه^(٨) .
 و (جلل) : في هين يسير ، جاء قول العباس يوم بدر : « القتل جلل »

(١) نوادر ابن الأعرابي ٤٠٠ (٢) الكتاب لسيدويه ٢١٩/١

(٣) اللسان ٢٦٦/١ (٤) المحكم ٩٩/٢

(٥) السابق ٣٨٦/٦ (٦) السابق ٣٤١/٦

(٧) البئر لابن الأعرابي ٦٢ ، والمخصص ٣٨/١٠

(٨) البئر لابن الأعرابي ٧٢ ، والفريب المصنف ٢٤٧/١٧

ما عدا محمداً^(١) .

و (القسط) : العدل : وفي الحديث : « إن الله يخفض القسط ويرفعه » ،
أى ينزل العدل إلى الأرض مرة ، ويرفعه أخرى^(٢) .

و (خفى) من الأضداد : ففى الحديث : « ما لم تصطبخوا أو تختفوا
بقلا » ، أى تظهرونه ، وفى الحديث أيضاً : « أنه كان يخفى صوته بأمين ،
أى يظهره^(٣) .

و (اللطيف) يكون بمعنى الوفاء والنقص . وفى حديث حذيفة أنه
استسقى دهقاناً ، فأتاه بقدح فضة ، فخذ به ، فنكس الدهقان وطفقه القدح .
وفى حديث عمر لمن ترك صلاة العصر بلا عذر : (طفت) ، أى نقصت^(٤) .
و (ملحة) : الكلمة التبيحة ، وأيضاً المليحة ، قالت عائشة رضى الله
عنها ، لمن قالت لها : أأزم جل ؟ (أى تسحر له) : « ردوها على ملحة
فى النار »^(٥) .

و (السكتى) القوى والضعيف ، قاله ابن بزرج وأنشد :
وَقَدْ كُنْتُ كُنْفِيَا فَأَصْبَحْتُ عَاجِنًا وَشَرُّ رِجَالِ النَّاسِ كُنْتُ وَعَاجِنُ
وروى : فأصبحت كنفيًا وقد كنت عاجنًا . وقال أبو زيد :

إِذَا مَا كُنْتُ مُلْتَمِسًا لِقَوْتٍ فَلَا تَصْرُخْ بِكُنْفِيَّ كَبِيرٍ^(٦)

و (العدد) : الشريف والنسب والحسب ، قال الجوهري : وكان
عبد الصمد على بن عبد الله الهاشمي : « قعدد بنى هاشم » . والعدد : اللثم
الخشيس ، قال الطرماح يهجو رجلاً ، أقعده عن المكارم لؤم آبائه وأمهاته :

(١) النهاية لابن الأثير ٢٨٨/١ (٢) السابق ٥٣/٢
(٣) السابق ٥٦/٢ (٤) السابق ١٢٩/٣ (٥) السابق ٣٥٤/٤
(٦) الأعراب فى جمل الأعراب وبلغ الأدلة لابن الأثير ١١٨ ، وتاج العراس ٥٧٩/١

وَلَكِنَّهُ عَقِيدٌ تَقَعَّدَ رَأْيُهُ لِنَاكُمُ الْفُجُولِ وَارْتِخَاصِ الْمَنَاصِحِ
والتعدد الجبان اللثيم ، وأنشد الأزهري :

قَرَبَنِي تَسُوفَ قَفَا مُقَرِّفٍ كَلِيمٍ مَأْثَرُهُ مُعَدَّدُ (١)
و (أنشد) الضالة : عرفها واسترشد عنها . (ضد) (٢) .

و (النجر) قال ابن الأعرابي : العطش وشدة الشرب ، وقيل : هو
أن تمتلئ البطن من الماء واللبن الحامض فلا يروى من الماء . قال أبو محمد
الفقسي يصف إبلا بها عطش شديد :

* حتى إذا ما اشتد لوبان النجر * (٣)

و « اليقن » : الصغير والكبير (٤) .

و « عج » : عجت الأم أولادها أخرت رضاعها عنهم ، أو عجائته ،
من الأضداد ، قال الأعشى :

مَا تَعَادَى عَنْهُ الْنَهَارُ وَلَا تَعَجُّوهُ إِلَّا عَفَافَةً أَوْ فَوَاقٍ

أى لا تتباعد الظبية عن ولدها إلا ربما يجتمع اللبن في ضرعها (٥) .

و « ضخضخ » : السكير والقليل ، قال أبو ذؤيب يصف رعداً وبرقاً
وسحاباً (كثيراً) :

يَجِشُّ رَعْدًا كَهَذَرِ الْفَحْلِ تَتَبَعُهُ أَذْمُ تَعَطَّفَ حَوْلَ الْفَحْلِ ضَخْضَاخٍ

وأصله الماء الرقيق (٦) . و (مقلص) حرف من الأضداد : طويل
مرتفع وقصير (٦) .

و (البلاء) : الإحسان ، والإساءة : قال ربعة بن الكودن يمدح :

(١) تاج العروس ٤٧٠/٢ (٢) السابق ٥١٤/٢ (٣) السابق ٥٥٦/٣

(٤) السابق ٣٢٠/٢ (٥) ديوان الأعشى الكبير ٢١١

(٦) السابق ٤٣١/١

كريمًا مِنَ الْفَتَيَانِ مِثْلَ خُوَيْلِدٍ أَخَا ثَقَفَةَ وَذَا بِلَاءَ وَمُضَدَّقٌ^(١)
وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾^(٢) ، و﴿ لِيُنَبِّئَ الْمُؤْمِنِينَ
مِنْهُ بَلَاءَ حَسَنًا ﴾^(٣) .

و (اخلل) : البعير المهزول والسمين ، قال تأبط شراً ، في الضعيف :
فاستغفها يا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي نَخْلٌ^(٤)
و (ريض) : اللباقة التي قد ربيضت ، والتي لم ترض . قال الراعي النميري ،
في التي قد ربيضت :

وَكَأَنَّ رِيضَهَا إِذَا يَأْسَرَتْهَا كَأَنَّ مَعَاوِدَةَ الرَّحِيلِ ذُلُولًا^(٥)
و (الشف) : الزيادة والنقصان ، جاء في النقصان :

فَلَا أَعْرِفَنَّ ذَا الشَّفِّ يُطْلَبُ شَفُّهُ يَدَاوِيهِ مِنْكُمْ بِالْأَدِيمِ الْمُسْلَمِ^(٦)
وفي الزيادة ، قال سويد بن أبي كاهل فيمن لا يعجز بحمل الدياب :
وَإِذَا مَا حَمَلُوا كَمْ يَظْلَمُوا وَإِذَا حَمَلَتْ ذَا الشَّفِّ ظَلَمَ^(٧)

و (المائل) : القائم المنصب ، والذاهب أيضاً ، وشاهد القائم قول المزدرد :
تَقُولُ إِذَا أَبْصَرْتَهُ وَهُوَ صَائِمٌ حَبَاءَ كَلَى نُشْرَ أَوْ السَّيْدُ مَائِلٌ
ويقال : رأيت شخصاً ثم مثل ، أى ذهب^(٨) .

و (جوان) : جلد ظاهر العنق أو باطنه ، عن ابن الأنباري ، قال
المقرب العبدى :

وَأَغْضَتُ كَمَا أَغْضَيْتُ عَيْنِي فَعَرَسَتْ

على الثَّفَنَاتِ وَالْجِرَانِ هُجُودُهَا^(٩)

(٢) الصافات : ١٠٦

(٤) السابق ٨٣٨/٢

(٥) شرح ديوان ابن أبي حصينة للمعري ٢٣٠ ، ديوان الراعي ٢١٤

(٦) المعاني السككية لابن قتيبة ٥٠٤/١ (٧) شرح الفضليات لابن الأنباري ٣٩٥

(٩) السابق ٤٠٥

(١) السابق ٦٥٨/٢

(٣) الأفعال : ١٧

(٨) السابق ١٦٥

و (حفض) البعير المضعيف والقوى . قال شبيب بن البرصاء ، في معنى الضعف :

فَلَمْ تَذْرُفِ الْعَيْنَانِ حَتَّى تَحْمَلَ
مَعَ الصَّبْحِ أَحْقَاضَ لَهُمْ وَخُدُوجُ
وقال رؤبة : يا ابن قروم لسن بالأحفاض ^(١) .

و (اللوث) : الشدة والضعف ، أنشد يعقوب في القوة .
فَأَلْقَاثَ مِنْ بَعْدِ الْبُرُولِ عَامِينَ فَاشْتَدَّ نَابَاهُ وَغَيْرَ النَّائِينَ
وقال العجاج :

بِذَاتِ لَوْثٍ أَوْ نَبَاجٍ أَشَدَّ قَا

وللأعشى (في ناقة شديدة لا تعثر) :
بِذَاتِ لَوْثٍ عَقْرَنَاءَ إِذَا عَثَرَتْ فَالْتَعَسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَهَا
وقال حميد الأرقط في الضعف والاسترخاء :

إِذَا بَاتَ ذُو اللَّوْثَةِ فِي مَنْامِهِ يَرْمِي بِهِ الْجَهْدُ عَلَى أَجْرَامِهِ ^(٢)
و (فلاة) طرده ، أو رباه ، قال الخطيب في معنى رباه :

سَعِيدٌ وَمَا يَفْعَلُ سَعِيدٌ فَإِنَّهُ نَجِيبٌ فَلَاةٌ فِي الرِّبَاطِ نَجِيبٌ ^(٣)
وقال بشامة النهملى :

وَكَيْسَ يَهْلِكُ مِنْهَا سَعِيدٌ أَبَدًا إِلَّا أَوْفَلَيْنَا غُلَامًا سَعِيدًا فِينَا
وقال ابن السكيت : فلوت المهر عن أمه فصلته عنها وقطعت رضاعه منها .

(١) السابق ٣٣٦ (٢) السابق ٥٨٢

(٣) شرح ديوان الخطيب للجماعة ٢٤٧

و (هرشم) الرخو ، أو للصلب : أنشد ثعلب لراجز :
 عَادِيَةُ الْجَوْلِ طَمُوحُ الْجَنِّمِ جِيَّتْ يَجُوفِ حَجَرِ هَرَّشَمِ (١)
 عادية : قديمة . والجول : جانب البئر .
 و (الاخفاس والاختاذ) قلة الماء ، أو كثرته : يقال : إذا سقيته
 فاخذ ، أى أقلل الماء وأكثر النبيذ ليسكر ، وهذا من كلام الشطار (٢) .
 و (قوى) اشتد ، أو ضعف واحتبس ، شكا أهراى فقال : «... إن
 النيث كان قد قوى عنا» (٣) .
 و (ارتعج) : ذهب وجاء (٤) .
 و (اللجبة) الغزيرة اللبن ، أو قليلته ، قال عمرو ذو السكب ،
 أو خراش المذلى فى ذئب سطا على غنم : فاجتال منها لجبة ذات هزم (٥) .
 و (الطلال) لما ارتفع أو انخفض جميعاً (٦) .
 و (رغوٓث) لذات اللبن الكثير من الحيوانات ، قال طرفة بن العبد
 يهجو عمرو بن هند ، (فى الكثير . أما التليل فهو مذكور فى كتب
 الأضداد) :
 فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرُو رَغُوْثًا حَوْلَ مُبَقِّنَا تَخُوْرُ (٧)
 وأبدلوا (فاد) من (فاز) و (المفازة) ، قال ابن الأعرأى : ويقال :
 فاد يفيد إذا تجختر ، وفاد يفود ، إذا مات (٨) .
 و (هال) نبش التراب ، قال مساعدة بن جؤية يصف ضبعاً تنبش قبراً :

(١) مجالس ثعلب ٢٤٥	(٢) السابق ٢٤١
(٣) السابق ٣٥٩	(٤) السابق ٤٠٣
(٥) السابق هامش ٣٨	(٦) السابق ٥٤٢
(٧) ديوانه طرفة ١٧٧	(٨) مجالس ثعلب ٢٠٤

فَذَاحَتْ بِأَلْوَنَاتِهِ ثُمَّ بَدَتْ بِدَيْنِهَا عِنْدَ جَانِبِهِ تَهِيلٌ^(١)
 وذكر السيوطي في (المزهر) أن ابن دريد قال في الجمهرة : « البك ،
 الجمع أو التفريق ، كأنه من الأضداد . والنبه : للشئ الضائع ، وللموجود
 أيضاً . وللشراشر ، موضعان : الحى والحفظ ، أو الثقل^(٢) . و (الضمد) :
 رطب الشجر ويابس ، وصالحه الغنم وطالحها . و (نصل) الخضاب من
 اللحية : سقط منها ، وثبت فلم يخرج . و (الحوز) : السوق اللين والشديد .
 و فلان : (قنوتى) أى خيرتى أو نهمتى ، و (المكلل) : الجاد الشجاع
 والجبان ، كأنه من الأضداد^(٣) .

وفي المجلد لابن فارس ، حكى ابن دريد (تظاهر القوم) إذا تدابروا ،
 فسكأنه من الأضداد . وأقول : بل هو من الأضداد ، وسعتهم في بيروت
 يقولون : ظهر فلان ، بمعنى : مشى وخرج .

وفي المشاكمة للأزدى : (جبل متين) : للقوى والضعيف .

وفي الأنفال لابن القوطية : (أشجد) المطر : أقلع ودام ، من
 الأضداد^(٤) .

وفي القاموس : (أكمت) : انطلق مسرعاً ، وقعد . و (قعت) له
 العطية : أجزأها : وأعطاه قليلاً . و (الشحشح) من الأرض ، ما لا يسيل
 من الأرض إلا من مطر كثير أو قليل . و (النجادة) السخاء والبخل .
 و (نشخ) شرب دون الرى ، أو امتألاً . و (العربد) : حية تؤذى أو
 لا تؤذى . و (قعد) قام وقعد . و (القعدد) : القريب الآباء من الجد الأكبر
 والبعيد^(٥) .

(٢) المزهر ٣٩١/١

(٤) المزهر ٣٩٤/١

(١) شرح أشعار الهذليين ١١٥٧/٣

(٣) المزهر ٣٩٣/١

(٥) القاموس ، والمزهر ٣٩٤/١

و (المصد) : شدة البرد والحر . و (النسكد) للعزيزات اللابن ، واثى
لا لبن لها . و (المحاوذة) : الخافقة والمواقفة . و (جفا) الباب : أغلقه ،
أو فتحه . و (ودرأته) : دافعه ولا ينته . و (الجوشب) : الضامر والمبتغفخ
الجنهين . و (الساقب) : القريب والبعيد . و (أورق) الغازى : أخفق
وغنم من الأضداد^(١) . و (الجرج) : الجبان ، والملازم للقتال الذى
لا يفارقه^(٢) .

وبعد : فهذا قليل من كثير من شواهد قد أهمل ذكرها فى كتب
الأضداد ، وكلمات وعتمها القواميس ، والمعاجم ، ونبه عليها العلماء ، ولعل
فيه (مقبعاً) للذين يقولون بقله الأضداد .

وأنا زعيم لماذا ما استعرضت أمهات ترائنا بإخراج الكثير من
الألفاظ المتضادة ، ولم يراد الوفير من الشواهد لما ذكر بلا شواهد .
على أن بعضهم - كما ذكرنا - قصد ذكر ألفاظ الأضداد بلا شواهد ،
كما يقول الحسن بن محمد الصغاني :

« ولولا تحرى الاختصار لذكرت شواهدا من الأشعار »^(٣) .
وبعض المتأخرين من المؤلفين فى الأضداد كالصغاني قد ذكر بعض ألفاظ
مما ذكرناه ، مثل : (ججاً) ، و (الجعفر) ، و (جفات) ، و (أقمث) ،
و (اجلب) ، و (الحفض) و (المحاوذة) و (الساقب) و (السمرد)
و (أعبل) و (الموثة) و (النية) و (المنجباب) و (نصل) و (أورق)
و (هرشم)^(٤) وراجع (الخل) و (الرعوث) و (الأعبل) و (أفاد)
و (أورق)^(٥) .

(٢) الخصص ٢٦٦/١١

(١) الخصص ٥١/١٥

(٣) أضداد الصغاني من ١٦٣ مخطوط (٤) السابق ١٦٤ - ١٢١

(٥) أضداد ابن الصغاني ٩٣ - ٤٠٨ فى نقال المخطوطات

وذكرها هنا وهناك ، في أمهات الكتب يقوى كونها مما آمن بها العلماء ، فضمنوها كتبهم . وليست ألفاظ الأضداد - إذن - قليلة أو نادرة .

ونستطيع أن نجمل القول بأن التضاد من خصائص اللغة العربية الواضحة . ويعجبني ما أشار إليه بعض الظرفاء : بأن العربية أجدر بها أن تسمى لغة التضاد لا لغة الضاد .

• وبعد :

فقد وجدنا أن من أنكر الأضداد ، كابن درستويه ، لم ينكرها كلية ، ولكن ذكر قلتها أو ندرتها . .

ومن رفض وجودها في اللغة إنما رفضوا أصالتها : أي أنهم رفضوا أن تكون قد وضعت أصلاً للمعنى وضده ، ولكن ما خضعت له من تطور بالتوسع أو المجاز أو الحذف أدى إلى لفظين متماثلين في كل شيء ، غير أن معنييهما متضادان .

ويكفيها منهم هذا القدر : فإننا نعترف بكل العوامل المكونة للأضداد ولهم أن يأخذوا بأيها شاءوا ، وقد رأينا من يشترط الواضع الواحد ومن يحزم باستحالة ذلك .

وأخيراً : لماذا ينكرون الضدية ، « والضدية نوع من العلاقة بين المعاني ، بل ربما كانت أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى : فبعد ذكر معنى من المعاني ، يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن ، ولا سيما بين الألوان : فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد . . . فلعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعى المعاني . فإذا جاز أن تعبر الكلمة الواحدة عن معنيين ينهما علاقة ما ، فمن باب أولى يجوز تعبيرها عن معنيين متضادين ؛ لأن

استحضار أحدهما في الذهن يستتبع عادة استحضار الآخر ^(١) .
 وبعض الباحثين من المستشرقين مثل « رسلوب » يعترف بالأضداد ^(٢) ،
 لكنه يخرج منها عدداً كثيراً مما عده علماء اللغة من الأضداد ، مثل :
 الحروف ، والصيغ الفعلية المختلفة للفعل الواحد ، مثل (كان) التي تدل على
 الماضي ، وعلى الاستقبال كقول الشاعر :
 فأدرت من قد كان قبلي ولم أدرع لمن كان بعدي في الفصائد مصنعا
 ويخرج كذلك أسماء الأعلام ، مثل : إسحق ويعقوب وأيوب ،
 وكذلك أخرج ألفاظ التشاؤم والتفاؤل والتهمك والسخرية . . .
 وهو بذلك اعترف بالأضداد ولم يرفضها كلية ، لكنه أخرج بعض
 ألفاظ منها . .

• وبعد :

فنحن نجد أنفسنا أمام كلمات حفظ لنا فيها معنى التعاكس .
 كما نجد أنفسنا أمام كلمات حفظ لنا فيها معنى الترادف والاشتراك ،
 والتضاد نوع منه ، ومهما نحاول أن نرد تطوراتها المعنوية إلى أصولها
 اللغوية الوضعية البدائية ، فلن نستطيع أن نقاوم قانون الصراع اللغوي
 الذي يحفظ المعاني المتماثلة ، أو المتناظرة ، أو المتقابلة ، بوحى من الظروف
 الاجتماعية ، المحيطة بكل أمة . ولا نستطيع - بالتالي - أن نسلم برأى
 مفكرى الأضداد .

ولا نزاع في أن هناك ما يسمى بتداعى المعانى والألفاظ ، الذى يقضى
 بالاعتماد في الذهن بين كل من الليل والنهار ، والكبير والصغير ،

(١) البهبهان لأندرس ١٩٥٠

(٢) بحث الدكتور منصور فهمي لهجة الخليج القفزي بالقاهرة :

والأرض والسماء ، والأبيض والأسود ، وذلك لوجود صفة مشتركة بين كل
ضدين ، وإذا ذكر أحد الضدين دعا ضده إلى المثول في الذهن معه .
وقد سلمنا في البلاغة - أيضاً - بأن أحد الضدين أقرب إلى المثول
في الذهن عند ذكر أحدهما من غيره .

وعلى هذا : فإن من السهل أن ينزلق اسم أحد الضدين إلى الضد
الآخر ليعبر عنه ، فيصبح اللفظ بذلك من الأضداد ، وإن كان ذلك
لا يفسر كل ما جاء من الأضداد في اللغة طبعاً .

المشترك المعنوى الترادف اللغوى

• اضطربت آراء علمائنا اللغويين قديماً وحديثاً في شأن قضية « الترادف اللغوى ». أو المشترك المعنوى في العربية ، واتسع مسار الخلاف بينهم بين مثبت وناف ومتردد .

ولذا بات حسم الخلاف واجباً في قضية طال أمدها ، صيانة للغة ، ورأفة بأجيال حاضرة وآتية .

• فإذا كان « الترادف » من عوامل نمو العربية وحركيته .
فبأى قياس نفحصه ؟ وما موقف علم اللغة الحديث منه ؟ .
أببارك « اختصاصية » الكلمة ، أم نقر لها « اشتراكيتها » في معنى
بمعينه مع تعدد اللفظ ؟

وهل يستطيع المحافظة على جوهر اللغة وسمه البلاغة ، والمحافظة على
التوازن بين جسد اللغة الممثل في (لفظها) ، وبين (روحها) الممثل
في معناها ؟ .

وهل الترادف خاص بلغتنا ؟ أم هو قدر مشترك بين لغات عديدة ؟
أسئلة كثيرة ، وخواطر شتى ، تدور بالأذهان ، وتلوح في أفق الباحث
تفحدي وتسمحت ، وتتطلب إجابات شافية ، وحجذا لو كانت وافية ..
ونحب أن نذكر بادية ذى بدء :

أن العرب تقصرف في لغتها ، ولا تعرف لها قيوداً اصطلاحية ، وما من
عربي إلا وهو في حكم العرب كلهم ، باعتبار القطرة اللغوية التي يرجع إليها

أصل الوضع . فهي مفردات وضعها أفراد ، وقد يرى كل واحد منهم أشياء ويصفها على نحو ما يجد في نفسه من أثرها وصفاتها المختلفة ، فلا جرم أن تختلف الألفاظ الموضوعة لها بحسب ذلك .

كما أن الكلمة الواحدة في لغتنا تعطي من المعاني والدلالات بقدر ما يتاح لها من الاستعمالات ، لأن كثرة الاستعمالات لا بد أن تخلق كلمات جديدة تلبي بها مطالب الحياة والأحياء .

وإن علماء اللغة « لم يدوّنوا منها إلا كفاية الحاجة الفليطة ، أو المتناظرين ..

أما تدوينها على أنها أصل من أصول الدلالة التاريخية في اللغة ، فلم يقنعه له أحد إلا القليل النادر .

والسبب أن تدوينها كان لخدمة القرآن والسنة ولغتهما قرشية حضرية مهبذة ، وذلك بقلل الاختلاف ، لأن الحضرة ثابتة فكأنها في حكم المروية »^(١) .

ومن ثم فقد أصبحنا بحاجة ملحة إلى معجم لغوي تاريخي ، على نحو ما نادى به الأستاذ يحيى حقي ، من أننا « في أشد الحاجة إلى المعجم اللغوي التاريخي حتى يتنعم منشأ الكلمة وتطورها واستعمالها الجـازبة على مر العصور ، ويساعدنا - اليوم - على استحداث المجازات الجديدة ، داخل نطاق اللغة الصحيحة »^(٢) .

ولأنه لإثبات أن في لغتنا ترادفاً ، فلا بد من استقراء تاريخ اللغة^(٣) . وبذا يسهل حل مشكل الترادف ، ويبين وجه الحق فيه .

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي ١٣٤/١

(٢) مجلة الحجة - عدد ١٣٨ مايو ١٩٦٣ م .

(٣) مجلة الفكر التونسية - عدد ٤ سنة ٢١ - يناير ١٩٧٦ م .

• تعريف الترادف :

« المترادف » : هو توالى الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد ، باعتبار واحد ، كالإنسان والبشر^(١) .

أو الألفاظ التي اختلفت صيغها وتواردت على معنى واحد . كالقمح والبر والحنطة وفي والباء^(٢) .

أو هو دلالة عدة ألفاظ على معنى واحد ، كالبر ، والقمح ، والحنطة . فالبر يستعمله أهل العراق ، وعند أهل مصر يطلقون عليه القمح ، وعند أهل مكة : الحنطة .

ويراه الجرجاني بمعنى : « المتقابل في كل الخصائص »^(٣) .

والتوحيدى يشير « بالنظر » إلى المترادفات .

ويعد المبرد من كلام العرب :

« . اختلاف اللفظين والمعنى واحد » مثل : ظننت وحسبت ، وذراع

وساعد . وأنف ومرسن^(٤) .

ويقول الإمام الشافعى :

« وتسمى - العرب - الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة ، وتسمى بالاسم

الواحد المعانى الكثيرة » ، وإن ذلك من سنن العرب^(٥) .

وعند بعض المتأخرين (أسماء الله تعالى) من أقسام الترادف وسماه :

« المكافئة » . وكذا (أسماء النبي ﷺ) .

ويقول الشيخ عز الدين :

إن من جعلها مترادفة نظر إلى اتحاد دلالاتها على الذات ، ومن منع :

(١) الزهر ١/٤٠٢ (٢) علم أصول الفقه للشيخ محمد عبد الله أبو النجا ٣٢

(٣) الأمرار للجرجاني ١٥ (٤) ما اختلف لفظه للمبرد ٢

(٥) الرسالة للإمام الشافعى ٣٢

يُنظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى ، فهي تشبه المترادفة في الذات ،
والمقابلة في الصفات (١) .

* * *

• شروط تحققه :

وشرط علماء اللغة في الترادف : أن يكون من لغة واحدة ، لا لغات
متعددة ، كما قرر الأصمغاني (٢) ، وأن يتفق اللفظان تماماً في المعنى على الأقل
في ذهن السكثرة ، مع اتحاد العصر (٣) :

فلا ترادف بين الشيء وصفته ، ولا بين الحقيقة والحجاز ، ولا بين الألفاظ
المتباينة بالتفاضل أو القواصل ، كالسواد والبياض ، والسيوف والصارم (٤)
ولا بين الحد والمحدود : لأن الأول يفيد الفصل ، والثاني يفيد المساهية لإجمالاً .
ولا بين الحد والرسم ، لدلالة الأول على الذاتيات والثاني على العرضيات .

يقول د . أنيس : إذا دلت نصوص اللغة على أن تلك الفروق طفيفة
لا يصح أن تعد من المترادفات ، لأن شرط الترادف الحقيقي : هو الاتحاد التام
في المعنى (٥) .

كما شرط غيره من المحدثين ضرورة الاتحاد في البيئة اللغوية ، والانتساب
لهجات بينها ترابط قوى - ومع الاتحاد في العصر (٦) .
ولكننا نثير هنا سؤالاً .

إن اللفظ كثيراً ما يستعمل في غير ما وضع له ، لحال شبيهة بحال وضعه
ومعناه ، وقد لا يلح بسهولة أصل اللفظ المنقول فيما نقل إليه لسكثرة استعماله

(١) الزهر ٤٠٥/١ السابق ، والخصائص ٢٦٢/١

(٢) اللهجات العربية د. نجا ٩٨ ، وفي اللهجات د. أنيس ١٦٦

(٣) الزهر ٢٦٨/١ السابق ٤٠٢/١ (٥)

(٦) دلالة الألفاظ د. أنيس ٢١٣ ، واللهجات العربية د. نجا ١١٦

فيه ، وقد ينسى الوضع الأصلي ، حتى اختلف العلماء حينئذ : هل هو وضع ثان ؟ أم هو باق على المجاز ؟ فقد أثر عن بعضهم : « النقل في اللغة كالنسخ في الشريعة » .

أفلا يجدر بعلماء اللغة قديماً وحديثاً - والحالة هذه - أن يخففوا من صرامة الشروط وتراكم وتصلب التجزئات والقيود ؟؟
لن نقف على الفروق ، وإن نهمل الوضع ، ولكن لا نبالغ في القيود ، وفيها مغز ، ومنها نخرج .

* * *

• نماذج له :

وقد يؤنس المقام أن نعرض نماذج للترادف وللنموذج قيمته وأثره في الاستشهاد والدليل . مع ملاحظة : أن « الأقدمين عدوا الجزيرة العربية وحدة لغوية واحدة . وحسنّا فعلوا ؛ للحركة الدائبة والمجرة الدائمة ، والاجتماعات المتكررة »^(١) .

فحين نشط علماء اللغة لجمعها خوف الضياع والاختلاط ، وفدت أم المهيم إلى العراق - وكانت أعرابية فصيحة ، تؤخذ عنها اللغة - فالتفتوا حولها ، وسألها أبو عبيدة ليؤنسها :

مم كانت علقك ؟ فقالت :

« كنت وحى للدكة ، فشهدت مأدبة ، فأكلت جبجبة من صفيق حلعة ، فاعترتني زحلة » .

فقيل لها : يا أم المهيم ، أى شيء تقولين ؟

فقلت : أول للناس كلامان ؟ والله ما كلمتكم إلا العربي الفصيح .
فاستفهم الغويون عن ألقاظها الغريبة عليهم ، فكانت : وحى = متوحه .
والدكة = الدسم . والحبجة أو الجبجة = المصران . والملمعة = الغنز^(١) .
والمستعرض للقرآن الكريم ، والأدب الجاهلى - يجد الترادف مبثوثا
فيهما بكثرة ، يقول تعالى :

﴿ تَاللّٰهِ لَآ تَدَّ آثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا ﴾^(٢) ، ﴿ وَأَنِّ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴾^(٣) ، ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ ﴾^(٤) ، ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللّٰهِ ﴾^(٥) ، ﴿ أَشْكُوا
بُنَى وَخُزْنِي إِلَى اللّٰهِ ﴾^(٦) .

ومسائل ابن الأزرق ، وإجابات ابن العباس عليها مشهورة ، ذكرها
ابن الأنبارى فى كتابه : « المواقف » ، والطبرانى فى « معجمه الكبير » ،
وفى تفسير هذه المواد : الوسيلة ، والسرعة ، والمهيج ، ويأس ، والفوم ،
ومراغاً . . على الترتيب بمعنى : الحاجة ، والدين ، والطريقة ، ويعلم (فى لغة
بنى مالك) ، والحنطة ، ومنفسحاً (بلغة هذيل) . واستشهد على أن الحوب
هو الإثم فى لغة الحبشة ، بقول الشاعر :

فأبى وما كلفتمونى من أمركم ليعلم من أمسى أعتق وأحوبا
- ويروى المطرز الزاهد ، عن ثعلب عن ابن الأعرابي ؛ أنه سأل
أعرابيا فصيحاً - ما رأى أفصح منه منذ ثلاثين سنة - عن « الخجلال »
بمعنى « السم » فقال : القشب ، قلت : فما القشب ؟ قال : الزعاف . قلت :
وما الزعاف ؟ قال : الزثقان . قلت : فما الزثقان ؟ قال : الزيقان . قلت :

(١) الإهتان ، للسيوطى ١ / ١٢ (٢) يوسف : ٩١

(٣) البقرة : ٤٧ (٤) الأنعام : ١٠٩

(٥) النساء : ٦٢ (٦) يوسف : ٨٦

فما الزيفان ، قال : الديقان . قلت : فما الديقان ؟ قال : الأرون . قلت :
فما الأرون ؟ قال : الجوزل . قلت : فما الجوزل ؟ قال : الحرسم . قلت : فما
الحرسم ؟ قال : السم . قلت : فما السم ؟ قال : السم^(١) .

وقد كان أعرابي ابن الأهرابي مذهباً ، وصبوراً . وليس كأعرابي
أبي زيد ، والذي حدث عنه ابن دريد في « الجهرة » :

أن أبا زيد ، قال : قلت لأعرابي : ما المحبطين ؟ قال المتكأكيء .
قلت : فما المتكأكيء ؟ قال : المقازف . قلت : فما المقازف ؟ قال : أنت
أحق^(٢) .

ويقول النبي - ﷺ - لأبي هريرة : « ناولني السكين ، حين وقعت منه ،
فتلفت أبو هريرة يمنة ويسرة ، وقال : ألمدية تريد يا رسول الله ؟ أو تسمى
سكيناً عندكم ؟ » وإن كان بعضهم يورد القصة ، لأن أبا هريرة لم يسلم إلا
في السنة الثامنة الهجرية^(٣) .

وقال ابن جني بالسند : إن ابن الأعرابي أنشد للمرقش الأكبر :

وموضع زين لا أريد مبيته . .

فقال له شيخ من أصحابه : أنشدتنا : وموضع ضيق : فقال : سبحان الله :
تصبحنا منذ كذا وكذا ، ولا تعلم أن الزين والضيق واحد . وقد قال الله
تعالى : ﴿ قُلِ ادْهُوا لِلَّهِ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ﴾^(٤) .

... ويقول ابن جني أيضاً : « إذا جاز أن يكون في أصول هذه اللغة

(٢) للزهر ١/٤٠٢ .

(٤) الإسراء : ١١٠ .

(١) للداخل ، للزاهد ٧٣ .

(٣) في اللهجات د . أنيس ١٦٤ .

المقررة على اختلاف اللفظين والمعنى واحد ، كان جميع ما نحن فيه جائزاً
سائغاً ، ومأنوساً به مقبلاً » (١) .

كما ذكر ابن جني - أيضاً - : إن من الحرفين ما يستعمل أحدهما مكان
الآخر ، كقوله تعالى : ﴿الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ (٢) ، بمعنى بنسائكم ، أو مع .
لكن الرفث هنا بمعنى الإنضاء فصح استعمال (إلى) . . . ويعلق بقوله :
(وفيه أيضاً موضع يشهد على من أنكروا أن يكون في اللغة لفظان
بمعنى واحد ، حتى تسكف لذلك أن يوجد فرقاً بين قعد وجلس ، وبين
ذراع وساعد) . . . فابن جني يؤكد وجود المترادف ما وجد سبيلاً
إلى ذلك .

ويؤكد أيضاً بقول رؤية بن المجاج : (بال بأسماء البلى) . . . فجعل
للبي - وهو معنى واحد - أسماء (٣) والعرب تسكرور إذا اختلف اللفظان
كنأى وبعد ، وأقوى وأقفر .

وقال الضبي : المجد : الأصل . وقال يعقوب : المجد ، والمجد ، والنحت ،
والإرث . . . كل ذلك بمعنى الأصل (٤) .

وذكر قرطب أن « الجونة » من أسماء الشمس ، واستشهد بقول
الخطيم الضبابي ، كما قال ابن بري - أو قول الأجلخ بن قاسط الضبابي ،
كما في الصفاني - يصف حمراً وحشياً .

بيادر الآثار أن تؤوبا وحاجب الجونة أن تقيبا

قال : ومن أسماء (الشمس) : ذكاء ، واستشهد بقول ثعلبة بن صعير
المازني يصف ظليماً ونعاماً :

(١) المحاسن ٤٦٧/٢ (٢) البقرة : ١٨٧ (٣) المحاسن ٢/٢١٠

(٤) المغنيات الضبي ، بشرح ابن الأثير ٩٥ هـ

فَذَا كَرَأْتَلًا وَثِيدًا بَعْدَمَا أَلَقْتُ ذِكَاءَ يَمِينِهَا فِي كَافِرٍ^(١)

وَقَالَ عَدَى بْنُ زَيْدٍ :

وَقَدَدْتُ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ وَأَلْنِي قَوْلَهَا كَذْبًا وَمِينًا^(٢)

وَقَالَ الْخَطِيبَةُ :

أَلَا حَبْذَا هِنْدَ وَأَرْضَ بَهَا هِنْدَ وَهِنْدَ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأَى وَالْبَعْدَ

وَالْكَذْبَ هُوَ الْمِينُ ، وَالنَّأَى هُوَ الْبَعْدُ ، فَقَدْ نَسَقَهُ عَلَيْهِ لَمْ خَالَفَ لَفْظُهُ^(٣) ،

وَقَدْ أُولِعَ الْمُتَأَخَّرُونَ بِالْمُتَرَادِفِ ، كَمَا شَغَلَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، فَجَاءَ فِي تَذَكُّرَةِ

الْحِفَاظِ :

(كَالْحَسَنِ) وَالْجَمَالَ قُلْ : نَضَارَةٌ وَسَامَةٌ وَضَّاءَةٌ وَنَضْرَةٌ

(صِبْاحَةٌ) مَلَاخَةٌ رَشَاقَةٌ وَرَوْنَقٌ وَزَهْرَةٌ وَزَيْنَةٌ

(كَالْأَصْلِ) وَالْعَنْصَرُ قُلْ : جَرْتُومَةٌ وَالنَّحْرُ وَالضُّفْضِيُّ وَالْأُرُومَةُ

(وَبِحَدِّ) وَنَبْعَةٌ وَمَنْبِتٌ عَرَقٌ نَجَارٌ مَغْرَسٌ أَبْوَهُ^(٤)

هَذَا غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ ، مِمَّا حَفَلَتْ بِهِ أُمَهَاتُ الْكِتَابِ الْأَدَبِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ ،

مِنْ شَوَاهِدِ التَّرَادِفِ اللَّغَوِيِّ . وَالْمُقَاتَلُ لَهَا بِأَنْسَ بِوُجُودِهِ فِي لَفْظِنَا .

وَهِيَ بِذَا لَا يَلِيسَتْ بَدْعًا بَيْنَ اللُّغَاتِ الَّتِي تَحْوِي الْمُتَرَادِفَاتِ ، عَلَى نَحْوِ

مَا رَوَى الْعَارِفُونَ بِاللُّغَاتِ وَالْبَاحِثُونَ .

(١) الْأَزْمَنَةُ لِقَطْرَب - مَجْلَةُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ بِدِمَشْقٍ ١/٣٧ لِلْسَّنَةِ الثَّانِيَةِ .

(٢) الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ١٤٣ ، وَذِيلُ دِيُونِ عَدَى بْنِ زَيْدٍ ١٨٣

(٣) شَرْحُ الْجَاهِلِيَّاتِ لِابْنِ الْأَثَرِيِّ ٢٩٨

(٤) تَذَكُّرَةُ الْخَطِيبَةِ لِتُرَادِفِ الْأَلْفَاظِ لِغَضْرِي ٣

• سر وجوده في العربية :

وجود الترادف في العربية يرجع :

إما إلى الاختلاط الكثير بسبب الهجرة الدائبة والدائمة للعرب ،
جرباً وراء السكّاء والرعى . حين تحمل الأرض أو تبخل السماء .
أو حين يجتمعون في الأسواق ، فيستعمل بعضهم ألفاظ بعض ،
فتنتشر هذه الألفاظ وتشتع على الألسنة .

وقد يكون سبيله المجاز الذي اشتهر ، حتى أصبح في درجة الحقائق .

والعرب تقتصر في لغتها ، ولا تعرف لها قيوداً اصطلاحية ، وما من
عربي إلا وهو في حكم العرب كلهم ، باعتبار الفطرة اللغوية التي يرجع إليها
أصل الوضع ؛ إذ هي مفردات وضعها أفراد ، وقد يرى بعضهم أشياء
ويصفها على نحو ما يجد في نفسه من أثرها وصفاتها المختلفة ، والقريبة أو
البعيدة ، ويذهب غيره منحي آخر :

فنّمورهم — مثلاً — البرني والصرفاني ، والعرب تعامله بالماء أو
السمن . وله في كل حالة لفظ يدل عليه ، وتسميه قبيلة بما لا تسميه به
الأخرى .

والعرب كلها حجة في لغتها ، فلا مناص بعدئذ من اختلاف الألفاظ
الموضوعة للمعنى الواحد أحياناً بحسب ذلك .

ونادراً ما يكون الترادف من وضع واحد — كما ذكر السيوطي ،
بحسب الملاحظ في الأثر أو الصفات عند التسمية والوضع .

(والأقدمون عدوا الجزيرة العربية وحدة لغوية واحدة — وحسناً
فعلوا — للهجرة والاجتماعات المتكررة ، وبخاصة حين يفتق القفطان تماماً

في المعنى على الأقل في ذهن السكترة واتحاد العصر ، شريطة ألا يكون ذلك نتيجة لتطور صوتي^(١) .

ويقول الشيخ عبد الله الملايلي :

« يتخذ بعض من درامي العربية اليوم (الترادف) علامة على قلق اللغة .

وبعض آخر يتخذ آثراً من الاختلاف القبلي أو ما يشبه الرواسب اللغوية من جراء امتدادات طويلة .

والحقيقة وإن كان في المذهب الأخير شيء من الحق والصدق ، ليس هو كل الحق » .

ويرى الشيخ الملايلي القول الأول منكراً من القول وزوراً ، لا ريب في ذلك ولا شك . ولقد يكون صحيحاً لو لم يكن من مواد الاشتقاق بخصائصها المعنوية التي تعين ملحظ الاشتقاق في الترادف دليل قصده ، فأين منه القلق المزعوم^(٢) .

فالشيخ الملايلي نفي القلق ، لكنه لا يقبل أن يكون الترادف من اختلاف القبائل على علاته ، للمبالغة في كثرة الترادف أحياناً إلى حد المئات والألوف كما أنه ينحو منحى تاريخياً ، ونحن معه في ذلك .

ويقول الأصمعي : « إذا نظرف العربي كثر كلامه ، وإذا نظرف الفارسي كثر سكوته »^(٣) . وقد تأتي كثرة الكلام بالترادف .

وكان ادعاء هذه السكترة الكائرة مدعاة للتوسع عند بعض الباحثين في الترادف ، فعد من ألوانه :

(٢) مقدمة الشيخ الملايلي ٢٢٦

(١) ل اللغات ٥ . أليس ١٦٥

(٣) غيرون الأخبار ١٢٨/٤

مترادفات وضع ، لاختلاف القبايل ، كالإنسان ، والبشر ، والأسد والليث .

ومترادفات اشتقاق : كالمعطس والبسم للأنف والقم . .
أو حروف دون ترتيب (القلب المسكاني) مثل : جذب وجذب ،
وشرائع وشعائر .

أو تصحييف ، مثل لدع ولذع . ومزح ومرح . .
أو مجاز ، كالأسل للرماح .

أو كناية ، كسبط الأنامل ، وطويل النجاد ، للسكرم .
أو تناسب ، مثل : نهق ونعق .

أو اتباع ، مثل : حسن بسن .

أو حذف مثل : عم صباحاً ، من أنعم ^(١) .
* * *

• بين النافين والنافين :

واستقراء تاريخ الشواهد ينبئونا أن علماء القرن الثاني الهجرى — أو
كثيراً منهم على الأقل — قد سلموا بوجود الترادف اللغوى .

ولكن القرن الذى يليه : « شهد تلمس العلماء للفروق الدقيقة بين
الألفاظ المترادفة ، وعلى رأسهم ثعلب .

واشتد الجدل فى أمر الترادف فى القرن الرابع الهجرى ، وظهر من
ينكره ، ومن يؤيده صراحة » ^(٢) .

ومحصل هذين المسربين أن وجد فريق يؤكد وجود الترادف
فى الفصحى ، بل وبكثرة كاثرة ، وعدوا ذلك مبعث افتخار واعتزاز
باللغة والترات .

(١) مجلة المجمع اللغوى القاهرى ١٢٤/٩ لسنة ١٩٥٧ ، من بحث للاستاذ خليل

(٢) فى اللهجات د . أليس ١٦٣

البكا كينج

(١٤ - اللغوى اللغوى)

كما وجد فريق آخر من العلماء يثير الشك ، ويبحث الحيرة ، ليصل إلى إنكار الترادف ورده .

ونتيجة لهذا الخلف نشأت فرقة متوسطة بين الإفراط في الاعتراف ، والغلو في الإلغاء ، وخير الأمور الوسط .

والقرن الرابع - إذن - شهد ذروة الجدل والخلاف بين العلماء اللغويين حول المترادف ، بين مثبت ومنسك ، إلا أننا نلاحظ أن الأكثرية منهم على إثباته ووجوده في العربية :

« ومن أيد وجوده : المبرد ، كما أسلفنا^(١) . والإمام الشافعي ، رضى الله عنه ، وهو عربي له بصير بالعربية . والمطرز الزاهد في (المداخل) ، وابن الأنباري في (الوقف) ، وفي شرح القصائد الجاهليات . والطبراني في (المعجم الكبير) . وابن دريد في (المجهرة) . وعلى عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي في (حلية الفرسان وشعار الشجعان) . وابن النحاس في (شرح المعلقات) . والقالي في (أماليه) ، وقطرب في (الأزمنة والأمكنة) . وابن سيده في (المختصر) . والضيبي في (المفضليات) ، ومحمد الدين الفيروز آبادي في (الروض المسلوب فيما له إسمان إلى ألف) وابن خالويه في : (أسماء الأسد ، وأسماء الحية) . وفي (أمالي) القالي والزجاجي . (والاشتقاق) لابن دريد . وغيرهم من علماء اللغة والأدب .

كما أيد وجوده : الرازي . والسبكي ، وابن السكيت ، والمهمذاني ، وقدامة بن جعفر مؤلف : (جواهر الألفاظ) .

وأبو الحسن الرماني (ت ٣٨٤) جامع كتاب (الألفاظ المترادفة) .

(١) ما اختلف الفقه وأختلف معناه المبرد ٢

كما ذكر ذلك الأستاذ مصطفى أبو هلال في مقاله القيم عن (الترادف)
بمجلة الفكر ، التونسية (٢١ ع ٤ - ١٩٧٦ م) .

وجمع ابن منظور خمسمائة اسم للأسد ، ومائة للشعبان ...
ويروى من هجّراه البحث والغوص والتدقيق (ابن جني) - رحمه الله - :
أن اختلاف اللفظين وانغاق المعنيين كثير في كتب العلماء وقد تناهت
أقوالهم ، وأحاطت بحقيقته أقوالهم ^(١) .

ويؤكد ابن جني - أيضاً - أنه لا فرق والتعبير بأحد الألفاظ المترادفة ،
وكأنما المقصود باللفظ الذي عبر به هو هو لا يتخالف ، يقول :

« وهذا ونحوه - عفدنا - هو الذي أدى إلينا أشعارهم وحكاياتهم
بالفاظ مختلفة على معان متقمة ، وكأنه إذا أورد المعنى للمقصود بغير لفظه
المعهود كأنه لم يأت إلّا به ، ولا عدل عنه إلى غيره ، إذ الغرض فيهما واحد ،
وكل واحد منهما لصاحبه مرادف .

ومن التعريب والتظهير : كان أبو علي الفارسي (أستاذ ابن جني) .
- رحمه الله - إذا عبر عن معنى بلفظ فلم يفهمه الفارسي عليه ، وأعاد ذلك
للمعنى عينه بلفظ غيره ففهمه ، يقول : هذا إذا رأى ابنه في قميص أحمر عرفه ،
فإن رآه في قميص كحلي لم يعرفه ...

وقرأ أبو سوار - أو أبو سرار المازني - وهو أعرابي نصيح من رواة
اللغة - :

« فحاسوا خلال الديار » ^(٢) بالحاء المهملة ، فقيل له : إنما هو « جاسوا »
فقال : حاسوا وجاسوا واحد .

(١) الخصائص ٩٤/٢ - (٢) الاختراء ٥ - بلفظ « جاسوا »

وعلق ابن جني على ذلك بقوله :

هذا يؤنس بأن التوم كانوا يعتبرون المعاني ويخلدون إليها ، فإذا حصلوها
وحصنوها ساءحوا أنفسهم في العبارات عنها^(١) ..

ويحكى ابن جني - أيضاً - أن قوماً ترفعوا إلى الشعبي في رجل يخص
عين رجل فشرقت بالدم ، فأنشدهم بيت الراعي :

لها أمرها حتى إذا تبوأ

بأخفافها مأوى تبوأ مضجعا

ولم يزدحم على ذلك ، فانصرفوا راضين ، بالفتوى ، وهم عارفون
بغرضه فيها . والمراد: ينتظر بها إلى أن يستقر أمرها ، ثم يحكم في أمرها
بما توجه الحال^(٢) .

مما يدل على أن أمر الترادف كان معروفاً لدى القاضى والدانى ، وأنه
لم يمنع الدقة في حكم جنائى .. وبالتالي فهو لا يمنع من نهضة علمية حديثة .
وكثير من علماء فقه اللغة اليوم يؤيدون وجود الترادف ، شريطة
الاعتدال وعدم المبالغة في وجوده ، وفهم الحق .

وهناك فئة تلتقى القول على عواهنه ، تزعم - كذباً - أن جامعى اللغات
وضعت مقدرات من عند أنفسها ، تزيداً في كلام العرب ، لحاجات في نفس
يعقوب .. وهذه فرية تنزه عنها رجالا مخلصين ، أنفوا العمر كدأ ودأباً
ابقتفاء وجه الله ، ولغة القرآن والسنة ، وإلا شككنا في كل ما وصلنا عنهم ،
وهدمنا تراثنا .

ومن ذلك ما يحاوله البعض من التشكيك فيما روى عن أم الهيثم البصرية

(١) الهذيل لابن جني ٢/٣٣٦ (٢) المحاسن ٢٧/٦٧

المعجوز من بني منقر ، حين قالت لرواة اللغة كلاماً ما فهموه . لأنه لم يبلغهم أو طال به العهد ، فأقسمت لهم أنها ما كتبهم إلى بالعربي الفصيح ^(١) .
ويقول المشككون : إن ابن دريد ^(٢) ذكر الفص منسوباً لأبي حاتم ،
ومسنداً لأعرابية أخرى .

ونقول : ورد النص ، فلا يضر اختلاف الرواة . وإلا شككنا في كل
ما ورد عن الأعلام ، وروته النقات ، وحفظه أمهات الكتب ، وكثيراً
ما يختلف السند ولا يقدح ذلك في الواقعة .

✱ ✱ ✱

• ومن انسكر الترادف :

أبو علي الفارسي ، وقد اعترض على ابن خالويه ، حين قال في مجلس
سيف الدولة : إنه يحفظ لل سيف خمسين اسماً ، فقال الفارسي : أما أنا فلا
أحفظ له إلا اسماً واحداً ، هو السيف ، وأرجع الباقي إلى الصفات . ونهكم
على ابن خالويه بأنه لا يفرق بين الاسم والصفة ^(٣) .

كما أنكره ثعلب ^(٤) وابن فارس في (الصاحي) . وابن الأثير في
(المثل السائر) . وأبو هلال العسكري في (الفروق اللغوية) . والأب هنري
كولا منس اليسوعي في (فرائد اللغة في الفروق) . والأستاذ حنفي ناصف
في (مميزات لغة العرب) . والدكتورة بنت الشاطيء في مؤلفها : (كتاب
العربية الأكبر) .

ومحصلة كلامهم :

أنه لا يوجد لفظان مترادفان ، إلا وبينهما فرق في المعنى ، كما في أسماء

(٢) الجبر : ١/١١ .

(١) . أمالي القالي ٣/٦٩ .

(٣) للزهر ١/٤٠٥ ، واللهجات العربية د . نجا ٩٧ .

(٤) مجالس ثعلب ١/٢٩٣ .

السيف ، فبعض أسمائه من عمله : كالحسام ، والبائر ، وبعضها ينسب لبلده :
كالمهند واليماني ، وبعضها من لونه كالأبيض . أما موضوع الآلة : فهو
السيف فقط لا غير . والحق ليس معهم في الحقيقة ، لما سيحيى .

ويخلص القول في أمر الترادف أدبيننا - البليغ - مصطفي صادق الرافعي
في أربعة آراء :

(أ) الإنكار المطلق من بعض العلماء ، مثل ثعلب وابن فارس ، لأن
وجوده ينفي الحكمة عن هذه اللغة الحكيمة . . واعتبروا أن المترادفات
إنما هي أسماء تزيد معنى الصفة .

(ب) أو الإنكار المطلق أيضاً - كل رأي السابق - ولكن على أساس
أن المترادفات صفات محضة ، كما يرى الفارسي .

(ج) أو إثبات الترادف ، لكنه مخصوص بإقامة لفظ مقام آخر ،
لمعان^١ مقاربة يجمعها معنى واحد ، كما يقال : أصالح الفاسد ، ولم الشعث .
أما إطلاق الأسماء على المعنى الواحد فيسمونه المتوارد : كالتجر والعقار ،
والليث والأسد . « وهذا من تقسيم بعض علماء الأصول » .

(د) إثبات الترادف مطلقاً : بدون قيد ولا اعتبار ولا تقسيم ،
وعليه أكثر اللغويين والنحاة^(١) .

فالأمر يدور بين الإثبات والإنكار أولاً ، لكن على اعتبارين
لكل منهما . والأكثرية على الاعتراف به .

ونذكر بأن من حق العرب أن تقول ما نشاء لأنها لغتها ، وهي صانعها ،
ولها في صناعتها حرية تواكب حرية العربي الواسعة في حياته بجوانبها العديدة .

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي ٢٠٤

كما أن اللهجات العربية كلها فصيحة صحيحة على اختلافها ، والآخذ بإحداها مصيب غير مخطيء كما قرر الفارسي وابن جني .

بل وجوباً للعربي أن ينتقل إلى لغة غيره إذا رأى ذلك : إذ جوز ابن جني للعربي أن ينتقل لسانه ، ويصبح حجة إذا انتقل لسانه إلى فصيح . ولا يظن ظان أنه مع هذه الحرية أن الأسر كان فوضى : فقد عرفت العرب الدقة الدقيقة والفائقة في التمييز اللغوي :

يقول الأصمعي : سألت رجلاً من أهل الحضر رجلاً من أهل البادية : هل عندكم ما يرعى ؟ فقال البدوي - وهو يهزأ به - :

نعم ، عقدا : « مقل ومذب ، وباقل ، وحانط ، وثامر ، ووارث » . وإنما عني بذلك كله (الرمث) لأن الرمث أول ما يتفطر بالنبت يقال له : أقل : فإذا زاد على التفطر شيئاً ، قيل قد أدبى ، وهو الباقل . ثم الحانط وهو المدرك من كل شيء ، والثامر : الذي أخرج ثمره ^(١) .

ومن مظاهر حريتهم في لغتهم : ذكر الواحد ، والمراد به الجمع ، والعكس : قال تعالى : ﴿ هَؤُلَاءِ صِئْفِي ﴾ ^(٢) ويقول سبحانه : ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ ^(٣) .

واعقب ابن جني من شجاعة العربية : الحمل على المعنى : لأن العرب ذكرت المؤنث وعكسه ، وتصورت المعنى الواحد في الجماعة وعكسه ، كقول الشاعر :

إن امرأ غره منسكن واحدة بعدى وبعدك في الدنيا لمغرور
وقال تعالى : ﴿ يَلْتَقِطُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾ ^(٤) .

(٢) الحجر : ٦٨

(٤) يوسف : ١٠

(١) الخصائص ٣٦/٢

(٣) النج : ٥

وتأول السهيلي حديث الرسول - عليه السلام - « أقبات راکباً على حمار
أتان » ، ونظراً له بحجة ذكر ، وبطلة ذكر ، وهو شاة ، وهذا بقرة »^(١) .

بل أثنوا لفظه « رجل » و « ثور » : ذكر المبرد لبعضهم :

كل جار ظل مغتبطاً غير جـ — يرائي جيله
خرقوا جيب أمهم لم يبالوا حرمة الرجل^(٢)
وقال الأختل :

جزى الله فيها الأعورين ملامة وعيدة ثغر الثورة المتضاجم
(ثغر الثورة : فرجها ، والمتضاجم : الواسع) .

وصغر أعرابي الحباري على حبرور ، ولم يجمع ابن الشحرى المحرنجم
(لأنه ما فرقه شيء يجمعه) ، وحقر بعضهم الدمكك (القوي من كل شيء)
على : شخيت (الضعيف من كل شيء)^(٣) وغير ذلك كثير . . . مما دعا
ابن الأعرابي أن يقول : (هي العرب تقول ما تشاء)^(٤) .

لماذا كانت تلك هي حرية العرب في قولها ، أنفيكثر عليها ، أو نحجر
عليها أن تقول الألفاظ المترادفة ؟

يقول أبو عثمان المازني^(٥) : سمعت أبا سرار الغنوي يقرأ قوله تعالى :
« وإذا قتلتم نسمة فادارأتهم فيها »^(٦) . قتل له : إنما هو « نفساً »
فقال : « النسمة والنفس واحد » . أفترأه كان يجرؤ على القراءة والقول ، لو لم
يكن الترادف سفذاً ؟

ذاك طرف من وجهات النظر بين النافين والمثبتين للترادف قديماً
وحديثاً ، فما هو الرأي المستخلص والمرتضى ؟

(٢) السكامل ، المبرد ٢١٠/١

(١) أمالي السهيلي ٦٢

(٤) بصائر ذوي التمييز

(٣) الفضليات بشرح ابن الانباري ٢١١

(٦) البقرة : ٧٢ بلفظ « نفساً » .

(٥) أمالي الغالي ٧٨/٢

• الرأى الذى نذهب اليه :

أن العرب عالجوا ألفاظ لغتهم معالجة استقمار ، فأكثرُوا فيها المترادفات لمعنى واحد ، أو معانٍ متشابهة .

ولا نقول : إن مترادفاتهم بلغت المئات والألوف .

وليس العربية بدءاً في ذلك بين لغات البشر ، فكثير من اللغات تعرف هذا الترادف ، وتعبّر عن المعنى الواحد بأكثر من لفظة ، كما في الإنجليزية مثلاً .

وإعقب صاحب القاموس ، أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ، أو كماله في أمر من الأمور :

فدلت كثرة أسماء الأسد على كمال قوته . وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدتها وصعوبتها ، وكثرة أسماء الله تعالى دلت على جلال عظيمته ، وكثرة أسماء القرآن دلت على كمال شرفه وفضيلته ، وَعَدَّ منها : القرآن ، والكتاب ، والفرقان ، والصدق ، والذكر ، والوحى ... وساق الشواهد على ذلك ^(١) .

أقول : إن نزعة الغلو هذه دفعت بالطرف الآخر إلى المسار المعاكس ، حين تضخم قاموس الترادف اللغوى أضعافاً مضاعفة ، لحشد ألفاظ كثيرة عُدَّت مترادفة على ضعف الشبه والصلة بينها ، مما دعا الطرف المنسكر للترادف أن ينسكركه ويشكِّك في وجوده .

ولا ننسى أيضاً أن من العرب القدامى من شغلهم الموسيقى اللفظية وولعوا بها فغلبوا الترادف ، وشغلوا به عن الفروق بين الدلالات ، وحدث أن تضخم قاموس المترادفات بحق وبغير حق ، ففرح المثبتون ، وتهكم المنسكرون ، وكان العاصم هو الاعتدال والدقة .

ولا ترضينا نزعة الغلو هذه ، كما لم ترض غيرنا ،
ذلك لأن أصحابها « تناسوا كل الفروق بين الكلمات حتى المتميزة
منها ، وقد أوسع لهم هذا المجال قدح الزناد بطلاقة لا تمت إلى الضبط العلى
بأوثق الصلة ، زد على هــذا الخلط بين ألفاظ جاهلية وأخرى إسلامية ،
حسبها مترادفة ، (١) .

وسيجد من هذا الغلو - ولا شك - المعجم اللغوي التاريخي ، على أن
الفروق الزمنية بين المحدثين ليس بالطويل في مرحلتى الجاهلية والإسلام بالذات .
ولأن الغلو دعا إلى وجوب « تحديد معانى الألفاظ تحديداً منطقيًا ،
فلا نسرف فى اصطناع المترادف الذى يجعل الألفاظ غير مفصلة على قدود
المعاني (٢) . حتى نجعل العربية مبسطة وميسرة فى مجال التطبيق التعليمى .

وقد ذهبت فئة مقصرة من العلماء قديمًا وحديثًا : تثير الشكوك حول
المترادف ، « وأظهروا بوضوح عدم وجوده فى العربية ، ولم يقفوا بأبحاثهم
عند هذا الجانب السلبي ، بل تلمسوا الأدلة ، وأبرزوا الدواعى ، واتجهت
عنايتهم لبيان وتعداد الفروق ومغاير الفصل بين الدلالات المقول بترادفها .
وأبحاثهم - وإن كانت دقيقة وهىمة التحليل ، وفيها بعد القصور ،
وشمول الاستقراء - إلا أنها اصطفت بصيغة « جدلية » ، كانت تنتهج
سبيلها على إشعاع مبدأ : إخضاع اللغة للفلسفة ، خاصة وأن عقولهم فى ذلك
الوقت كانت متأثرة « بالميتافيزيك » كما يرى المستشرق (جاك بيرك) .
ومن ثم يجب ألا نترك الحبل على الغارب لهذا الغلو فيكون ذلك
داعيًا قويًا إلى إنكار المترادف ، والوقوف فى وجهه ، وكيال التهم للقائلين

(١) مشكلات العربية ، الأستاذ محمود تيمور ، نقل من « الفكر » التونسية .

(٢) مجلة الفكر التونسية س ٤٥ ، ع ٥٥ ، ص ١٠

بوجوده . . وسلفاً نحن لسنا أهلاً لأن نكمل التهم لأجداد أُنذاريهم
وأخلصوا الوجه الله تعالى .

فاللغة لا تخضع للفلسفة ، وحرية العربي فيها كبيرة كما أسلفنا .

فن المغالاة - إذن - ما ألمعت إليه د . بنت الشاطيء ، في كتابها :
(كتاب العربية الأكبر) من أن رفض الترادف في العربية يعطل بأنه تزكية
وإعلاء لها - حسب آفاق مناهج علم اللغات الحديث - ذلك أنه رُئي في
الترادف فقدان حس لغوي ، ومجهز عن ضبط الدلالات والمفاهيم .

كما أن الفن الأدبي يفسر لغة يمكن أن يستبدل لفظ فيها بعشرات
أو مئات أو ألوف الألفاظ .

واستناداً إلى ذلك قررت - الدكتور - أن القرآن حسم قضية
الترادف ، لأن التقيع الدقيق لألفاظه يربنا أنه لا ترادف بين الألفاظ .
واسقطت لذلك باستعمال القرآن الكريم لمادتي (حلف ، وأقسم) ، وهما
بمعنى واحد في كتب اللغة والتفسير ، لكن مواضع استعمالها في القرآن
كله يمنع هذا الترادف ، حيث تأتي مادة (حلف) دائماً في مقام الحنث
باليمين ^(١) .

وعلى هذا النهج يقول (بويسون) : « ويكفي قليل من التفكير لكي
نرى أن اللغة الحية لا تحوى مترادفات كاملة » .

بل ذكر بعضهم - في خبث - إن في العربية ترادفاً ، ليسلط عليها حكماً
بالجود ، وهو فناء : « العربية لا تصلح أن تكون لغة علم لعجزها عن
تحديد دلالات الألفاظ ، وضبط مفاهيمها ، حيث تسكر المترادفات فيها

(١) مقال للأستاذ مصطفى بوهلال ، في الفكر الترسيمة .

كثرة فاحشة»^(١).

هكذا قالوا ، وتلك شغشة نعرفها من أخزم ، وتجديف غير علمي .
ومن نماذجهم في التفرقة ترصلا للجد الترادف :

١ - الفرق بين القديم والعتيق : أن العتيق هو الذي يدرك حديث
جنسه فيكون بالنسبة إليه عتيقا ، ولهذا لا يقال : إن السماء عتيقة وإن
طال مكثها ، لأن الزمان لا يؤثر فيها ، ولا يوجد من جنسها ما تكون
بالنسبة إليه عتيقا^(٢) .

٢ - والبخل هو اللع من المال نفسه ، والشح هو بخل الرجل من
مال غيره^(٣) .

ويضاف إلى ذلك ما استقاه السيوطي من الأصفهاني في مفرداته وكذا
الإمام الجويني ، مثل : الخوف والخشية ، والسبيل والطريق ، والإيتاء
والإعطاء ، والتمام والسكال^(٤) .

وأقول : تلك تفرقة جائرة ، لا يدركها العربي الأول .

بل صرح بعضهم بأن ما ظن من الترادف إنما هو من التباين ، إما
لأن - أحدهما اسم للذات والآخر اسم للصفة ، أو صفة للصفة وهذا رأى
قديم حديث : يقول ابن فارس : مذهبتنا أن هناك فرقا بين هذا وذاك .
كما نفاه الإمام الرازي في الأسماء الشرعية^(٥) .

وفرق ثلث وابن فارس بين الإنسان من النسيان ، والبشر من أنه
ظاهر البشرة أي الجلد . وللسيف اسم واحد وما بعده صفات^(٦) .

(١) الفرق التفرقة للمعري ٣٤ .

(٢) السابق .

(٣) الألفاظ للسيوطي ١/١٩٤ .

(٤) التعريفات الجرجاني ٣٤ .

(٥) المزهر ١/٤٠٢ ، وحاشية البناني على المحلى ٢٩١ .

(٦) الصاحي ٦٦ ، والمزهر ١/٤٠٣ .

كما قرر أبو على الفارسي في مجلس سيف الدولة ، منسكراً أن يكون
للسيف أسماء كما ذكر ابن خالويه ، تصل إلى الحسين (١) .

وببالغ ابن الأثير فيرى أن الذي « لا يفرق بين الأسد والفدوكس
والنصن والعسلوج فليس بعالم (٢) » .

وألف الأب هنري كولا منسى اليسوعى : « فرائد اللغة في الفروق »
معتمداً على فقه اللغة للتعاليبي ، وكليات أبي البقاء ، ومفردات الأصفهاني
والألفاظ الكتابية لهمداني ، ونفى بذلك وجود الترادف على زعمه .

ومن الطريف أن بعضهم ينسكروا الترادف ، لأن وجوده يحوج إلى
حفظ السكل وفي هذا مشقة (٣) .

وسياتى رد على ذلك في بيان الحاجة إلى الترادف .

ومثله طرافة : أنه (الترادف) لو وقع لعرى عن الفائدة ، واللازم
باطل فبطل المزموم ؛ لأن قيام الواحد كاف في الإفهام ، والزائد عبث
لا يليق بالحكيم (٤) .

هكذا قيل ، وهو دليل على ضعف التذكارة والطبع اللغوي قبل أى
شئ آخر .

وفي هذا المسار (مسار الإنسكار) ما يراه الرحوم حنفى ناصف من أنه
عقد الإمعان لا ترادف في الحقيقة ؛ لأن قبائل العرب ليست بحاجة إلى أزيد
من لفظ لسكل معنى . .

والطريف أنه يرجع ما ورد - من مثل ذلك - إلى اختلاف القبائل

(١) السابق . (٢) المثل السائر ٣٦٠ .

(٣) شرح البذهخي والإستوى لمتناج الوصول ٢١٦ .

(٤) علم أصول الفقه للشهيد محمد أبو النجا ٤١ .

القص التي أخذت عنها اللغة .. وإذا كانت القبائل عربية فعلام نحمل كلامه بالرفض ، وهو الذي يروى في بحثه أن الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال يوماً لكاتبه :

« الصق روائفك بالجيوب ، وخذ المزير بشنا ترك ، واجعل هندورتك إلى حبل ، حتى لا أنفى نغية إلا أودعتها بحماسة جليانك » . ومرادف ذلك : ألصق مقعدتك بالأرض ، وخذ القلم بأصابعك ، واجعل عينيك إلى وجهي ، حتى لا أنبس نبسة إلا وعيتها وحفظها في حبة قلبك ^(١) . يقول ابن خلدون : مما ينبغي إثباته : أن اللغة إثبات أن اللفظ كذا ، لمعنى كذا ^(٢) .

أى يختص كل لفظ بمعنى معين ، وبذلك تصبح الكلمة بمثابة العلاقة للمعنى ، ومتى طرقت السمع أثارت في الذهن دلالة معينة ، يشترك في فهمها أفراد البيئة اللغوية « بهذا جرت السكثرة الغالبة من ألفاظ اللغات في العالم ^(٣) » وأقول : لعل تلك نظرة تعليمية وتفسيرية ، بعد أن عمت الشكوى من استعجام الطبع والذهن .

على أن ابن خلدون يقول : إن العربية دخلها تغيير حتى في قبائل العرب نفسها ، لأنه كثيراً ما يجاب التفاعل الإنساني والحياة باتساع الثنايا ، وتنوع الكائنات ، وتشابه الحوادث ، وتقارب الظواهر والأشياء وتلاحمها .. وبقسم كل ذلك باختلاف النظرة للسميات تشقت ملكة التقييم . لذلك نشأت ألفاظ التقت في معناها أجزاء وأخرى تم فيها التقاطع واستقر استعمالها عند الجميع ، بما فيها تلك المفردات التي تشترك في معنى واحد ،

(١) عبرات لغة العرب ٣٩ . (٢) مقدمة ابن خلدون ١٠٦٤ .

(٣) دلالة الألفاظ ٢١٠ - ٢١٦ .

والتي صدر كل منها عن لسان قوم^(١) .

وقد قلنا من قبل إن شبه الجزيرة العربية اعتبرت واحدة .

تلك نماذج من أحاديث واستنتاجات وعلل الرافضين للترادف قديماً وحديثاً دعت بعض المفكرين والكتاب - مما ليسوا بصراء باللغة إلى التردد والتوقف في قبول الترادف سقناها على طولها ، إنصافاً للجانبين ، ونلمساً للحقيقة .

ونقول : إذا كانت اعتراضات المعارضين ، لتفسير العربية في المجال التعليمي والتطبيقي لظروف تقتضى ذلك - مجال آخر .

- كما أن الفروق اللغوية كثيراً ما تمحى ، أو تنسى ، أو تموت ويصيح البديل في قوة الأصيل ، وسبق أن ذكرنا إن النقل القار للفظ كالنسخ في الحكم .

- وإخضاع اللغة للنزعات والسبحات الفلسفية ، والقيود المنطقية ، أمر لا يتفق وحرية العربي الواسعة في حياته ولغته .

- وإذا مالت صاحبة (كتاب العربية الأكبر) إلى إنكار الترادف وبخاصة في القرآن - كما أسلفنا في لفظي (حلف وأقسم) فهذا رأى قديم حديث .

إلا أنه بالاستقراء ، والرجوع لكبار المفسرين ، الضالعين في اللغة فإننا نلقى الترادف : « بكثرة في ألفاظ القرآن ، رغم محاولة بعض المفسرين أن يلبسوا فروقاً خيالية لا وجود لها إلا في أذهانهم للتفرقة بين الألفاظ القرآنية » المترادفة » .

١٧٠ (١) الفكر التوسعية : البيا لفة : ٢٠٠٧

ويسوق الأستاذ مصطفى موهلال مثالا يؤيد ذلك من تفسير « التحرير والقنوير » للعلامة محمد الطاهر بن عاشور ، في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ السَّكْذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(١) . فقد قال (المفسر) : الافتراء : السكذب وهو مرادف الاختلاق . ونظيره إطلاق اسم الاختلاق على السكذب ، فالافتراء مرادف للسكذب ، وإردافه بقوله هنا « السكذب » تأكيد للافتراء ، وتكررت نظائر هذا الإرداف في آيات كثيرة^(٢) .

فالقول بخلو القرآن الكريم من الترادف تجديف في قضية كبرى . لا يمكن الحكم فيها بنظرة عجي ، ورأى قد يكون فطيراً ، لما شابه واكتنفه من المعالة في النظرة .



• للترادف فوائد :

لغتنا قد وسعت حضارات ، وتسمنت ذروة العظمة ، أيام كان أبناؤها في أوج نشاطهم ورقيمهم الفكري ، وكانت حواضرهم مركز إشعاع على تقيه به على حواضر الدنيا من حولهم ، فلما أمسوا من النائمين أو النامين ، فقدوا حسهم اللغوي والوجودي .

فلم تفقد اللغة حسها ، وإنما فقدت أبناؤها ، فالغيب فيهم وليس فيها .

• والترادف في كل لغات الدنيا موجود ، وليست لغتنا بدعاً من بين هذه اللغات .

• وعابث من يدعى العبث في الألفاظ الزائدة ، ولما فن أين يعانى حسن

اختيار اللفظ المناسب ؟ ومن أين يتأتى تسم ذروة البلاغة ، والإبداع القولى ؟ وغير خاف أن اللغة للامتاع ، كما هى للاستعمال .

- والقول بأن فى حفظ الزائد من الألفاظ مشقة تذرع بلداء أو كسالى .
- ولا وجه للتشكيك فى صلاحية لغتنا بمرادفاتنا ، لمجاعة العصر بعلمه ، إذ فيها من الروبة والسمة ما لا يبارى : فقد بدت حين بدا أصحابها ، وتحضرت حين تحضروا ، ووسعت ما وفد واستجد ودعت الحاجة إليه ، وضبطت بدقة متناهية المفاهيم والآلات ، وأثبتت أنها صاحبة قدرة فائقة ، على ملاحة القدم والتحديث والتعبير العلى فى مختلف المجالات . . فهى قديماً وحديثاً ومستقبلاً - بحق - أداة حضارة وصانعة بلاغ .

وتأصيل العلوم فى أية أمة ناهضة إنما يكون بلغتها ، فعلى أبناء العربية الأخذ بيدها وإشاعة استعمالها فى كافة الميادين ، وسيرون قدرتها على الوفاء بما يطلب منها ، وأنها جديرة بأن تكون لغة العلم الحديث . . تدريساً ، وتأليفاً ، واستعمالاً ، وإمتاعاً ... حين تكون المعاشة الكاملة لها ومعها . وحيثما الله شعوباً عربية سبقت فى هذا المضمار ونجحت وبذت فى جعلها لغة التدريس فى كل المراحل التعليمية (كما فى سوريا الشقيقة وغيرها) ، ولعل هذا النجاح يطمئن من ادعاءات بعض رجالنا فى جامعاتنا من أن العربية ليست لغة علم . .

والتاريخ والواقع يكذبهم ، ومن جهل شيئاً عاداه . والمرء ابن اللغة ، وهم قد ألفوا غير العربية فشأنوا لغتهم وأبغضوها - جهلاً - وأحبوا غيرها تعصباً ، والتعصب بغير حق أعى ومعيب .

* * *

واللغة - أية لغة - قوية الارتباط بالوجود الاجتماعى وتطوره ، ومفرداتها
تتطور تبعاً لذلك خشونة ونعومة ، وثقلاً وخفة ، ويروضها الاستعمال والتداول
استثناساً ووحشة ، إن قيل بالقرابة ، وعدم الالف لبعض المفردات في
الترادف اللغوى عند الاستعمال .

فيجب إذن ألا نبالغ في التماس فروق - قد تبدو ضعيفة واهية - للتمييز
بين المترادفات تمهيداً - لإنكارها أو التشكيك فيها ، فقيود المنطق الصورى
وحدوده لا تطبق على العربى ولغته .

وعلينا أن لا نؤمن بأن الحديث اللغوى هو الذى أمدنا - على ترمى
الأجيال - بكلمات مترادفة أصلاً .

وعلينا ألا نسلم للسبحات الفلسفية اللغوية ، ولا للخطرات الجوارية ،
ونجعلها سبب الضيق أو السمة في وجود المترادفات .

وعلينا بالتالى ألا نفرط فتجعل من الترادف فوضى ، فينتظم الألوفا
والثلاث من الألفاظ ، كما صنع الفيروز آبادى .

ولا نرفض ما كان من طبيعة اللغة ، وورثناه عن الموثوق بهم من
علمائنا الأجلاء ولسنا أهلاً لأن نتهمهم فيما وثقوه وأصلوه .

وعندئذ لن يفتكر الحس اللغوى الصادق الترادف اللغوى
وسنربط التعليم فى مراحل المختلفة بالمجتمع فى وطننا العربى بمودة
وحب وإقبال .

ولن يكون هناك استيراد غير وداع أو اقتراض بلا وداع ، لنهضقنا فى
التمعير والتفكير .

وستزدهر ثروتنا اللغوية ، وسيبعث ما فى بطون المعاجم المليئة ، ليكون
مونا لنا حين نحتاج إليه مدداً ورديقاً طيباً .

وما حفظته معاجنا الحافلة به إلا للإرهاص بأنه رديف صالح يسد الحاجة ويبقى بها ذاتياً بمقدارة عند الحاجة .

* * *

وليس بصحيح - إذن - ما يقال : من أن الترادف يعاكس الروح العلمية .

وأن روح العصر لا تستقيم التكرار في الأدب .

لأن في الترادف ما يستعمل كوجه من أوجه السحر البياني ، مع فصاحة في التأنيق في الاختيار اللفظي : بين كون هذه اللفظة (مألوفاً) مستعملة ، وتلك (غريبة وحشية) . أو أن حروف هذه أخف وامتزاجها أحسن^(١) . كما مر في حديث أم الهيثم .

أو يكون لإحدى المترادفتين : (في تحسين المعنى وتزيينه ، وإحداث خصوصية فيه تأثير لا يكون للأخرى) .

كتب الأستاذ سيد قطب في استعمال لفظه « القارعة » ما يليق صورة الفرع واللمع .. ومن تناسق العرض أن تسمى بالقارعة ، ليقسق الظل الذي يلقيه اللفظ ، والجرس الذي تشترك فيه حروفه كلها ، مع منظر الناس كالقراش المبثوث ، والجهال كالمهن المنقوش^(٢) .

وفي استعمال لفظه « الواقعة » تثير في الشعور صوراً ومشاعر أخرى : بما فيها مدغم سكون أشبه بسقوط الجسم الذي يرفع ثم يترك فيقع ، فينتظر له الحس فرقة ورجة . وهكذا يلبي السياق ما يتوقعه الحس ، فهي

(١) دلائل الإيهام ٣٢٤

(٢) مقاهد الغياطة في القرآن ٩٦

(القيامة) خافضة رافعة (١).

فلا ينكر - إذن - منصف ضرورة وجود المترادف وفائدته .. إذ يسر انتقاء اللفظ الملائم ، ووسع مجال التصرف ، وستر العيوب اللسانية .
(١) وإذا كانت البلاغة هي : « أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ، ويختار له اللفظ الذي هو أخص به ، وأكشف عنه ، وأتم له ، وأحرى بأن يكسبه نبلا وبظهر فيه مزية » (٢) فنصحبنا بحاجة إلى المترادف ، كما في لفظتي القارعة والواقعة للتصوير الدقيق .

(ب) والترادف وسع مجال التصرف فأصبح من نتائج سعة « العربية » به : اقتدر أصحابها على كتابة المعنى الواحد بعدة تراكيب بين هائل ، ومهم ، ومنقط ، ومشتك وبعض المفسرين كتب تفسيراً للقرآن الكريم بألفاظ ليس فيها حرف منقط (٣) ..

وبعضهم ذكر شعراً بلا نقط ، كقول القائل :

الحمد لله الصمد حال السرور والسكد

الله لا إله إلا الله مولك الأحـد

كل سواه هالك لا عدد ولا عـد

ولئن كان ترفناً عقلياً ، فلا شك إن به إمتاعاً .

فميزة المترادف : في هذا الصدد : كثرة الطرق للاختيار عما في النفس ، واختيار الأخف والأظهر بين الألفاظ ، أو الترويح والإمتاع بالأحاجي والألفاظ .

(١) السابق . (٢) دلائل الإعجاز ٨٥

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ٥٥

وعلق الشيخ محي الدين عبد الحميد - في تحقيقه على شرح القصائد
العشر - على إنكار ثعلب وابن فارس المترادف بقوله :
« وهذا كلام عجيب من ثعلب : فإن فائدة تعدد الألفاظ لمعنى واحد
ليست مقصورة على دلالة اللفظ على معناه :

فأين التفتن في الأسلوب ؟ وأين قوافي الشعر ؟ بل أين أوزانه ؟
ألا ترى اللفظ قد يصلح قافية في بيت ، ولا يصلح فيه اللفظ الآخر ؟
وهذا لا بدع مجالا للشك في أن العرب قد استعملوا ألفاظاً متعددة لمعنى
واحد ، والنصوص تؤيد ذلك ... فادعاء غير ذلك لا يقوم على دليل »^(١) .
(ج) ويستتر المترادف العيوب اللسانية ، وما حكى عن الخطيب المصنع ،
واصل بن عطاء ، مشهور غير منكور ، وقد كان لا يحسن نطق « الراء »
نفلت خطبته - التي ذم فيها بشار - من الراء ، ومن ثم مدحه الشاعر بقوله :
ويجعل البر قبحاً في تصرفه وجانب الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطراً والقول يعجله فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطر
قال الجاحظ : وسألت عثمان البري : كيف كان واصل بن عطاء يصنع
في العدد : في عشرة ، وعشرين ، والمحرم ، وصفر ، ورجب ، وربيع ؟ فقال :
مالى فيه إلا قول صفوان :

ملقن ملهم فيما يحاوله جم خواطره جواب آفاق^(٢)
وقد يستعذب الأديب نطق وتكرار ما لا يحسن نطقه ، ولا يستطيعه ،
طرافة وملاحة ، أو حين يعجزه الإتيان بالمترادف ليتخلص من عيبه اللسانى
فيمتص تهكم الآخرين بالعيب ، كصنيع أستاذنا الشيخ إبراهيم البدوي -

(١) شرح القصائد العشر ، هامش ٣٢٢ (للمحقق) .

(٢) نواذر المخطوطات ١٢١/١ ، والبيان والتبيين للجاحظ ٧١/١ ، وأمان للرنقى

وقد كان أدبياً فكهاً وشاعراً فذاً ، وله خلق ، وفيه مروءة وسماحة - أراد أن يهنيء الأميرة « فريال » وكان لا يحسن نطق الراء ، فقدم لقصيدته بقوله :
مالي خرجت اليوم عن مكنون عاداتي فنظمت قافيتي من « الراءات »
« الراء » من « فريال » قد كررتها فنجا لساني وانجحت هتراتي
فكانت مقدمته اعتذاراً بليفاً وملحة طريفة .

* * *

● وبعد :

فإن اللغات تزداد ثروة وحيوية بقدر ما يتاح لها من شروط النماء والحياة . وفصحاناً أتيج لها من عوامل التنمية الذاتية ، بما لا نظير لها في لغات العالم والكلمة الواحدة - قد تعطي من المعاني والدلالات بقدر ما يتاح لها من الاستعمالات ، « لأن كثرة الاستعمال لا بد أن تخلق كلمات جديدة تلبي بها مطالب الحياة والأحياء والرقى . واحتفاظ لغتنا بالمهجور إرهاباً بأنه قد يستعمل ، ويستغنى به لأنه ردبف صالح »^(١) .

وكان كل مصر من العرب يفخر باستعمال لهجته وأما أفصح من غيرها :

يقول الجاحظ : قال أهل مكة لحمد بن مناذر الشاعر : ليست لكم أهل البصرة لغة فصيحة ، إنما الفصاحة لنا أهل مكة .

فقال ابن المناذر : أما ألقاظنا فأحكي لألقاظ القرآن ، وأكثرها موافقة له فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم :

(أنتم تسمون « القدر » برمة ، وتجمعونها على برم . ونحن نقول : قدر وقذور . وقال الله سبحانه : ﴿ وَقُدُورِ رَاسِيَّاتٍ ﴾^(٢) .

(١) دراسات في فقه اللغة ، للشيخ صبحي الصالح ٣٠١

(٢) سبأ : ١٣

وَأَنْتُمْ تَسْمُونَ الْبَيْتَ إِذَا كَانَ فَوْقَ الْبَيْتِ « عَلِيَّة » وَتَجْمَعُونَهَا عَلَى
عَلَالَى ، وَنَحْنُ نَسْمِيهِ « غُرْفَةً » وَتَجْمَعُهُ عَلَى غُرَفَاتٍ وَغُرَفٍ . قَالَ تَعَالَى :
﴿ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾^(١) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ
آمِنُونَ ﴾^(٢) .

وَأَنْتُمْ تَسْمُونَ الطَّلَعَ (الْكَافُور) وَالْإِغْرِيزُ . وَنَحْنُ نَسْمِيهِ (الطَّلَع)
وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَنَزَّلْنَا طَلُعَهَا هَضِيمٌ ﴾^(٣) .

يقول الجاحظ عن أبي سعيد عبد الكريم بن روح : فعدت هشر كلمات ،
لم أحفظ أنا منها إلا هذه^(٤) .

ولعل هذا يطامن من حدة المنكرين للترادف اللغوي .

ويحكون إن أعرابياً وفد إلى الين لزيارة زيد بن عبد الله بن دارم ،
على ربوته فقال له : « ثب » بمعنى اجلس في لغة الين ، فقفز الأعرابي -
سمماً وطاعة - من العلو الشاهق ، فدفقت عنقه ، لأنه ظن أن « ثب » بمعنى
اقفز فقفز^(٥) .

وبعض اللغويين يستشهد بهذه القصة ، على أنه في الإمكان التعبير عن
شيء واحد بلفظين مختلفين ، ما دامت البيئتان اللغويتان متباينتين ، ولو صدر
لفظ (وثب وقعد) بمعنى واحد عن قبيلة واحدة ، وفي بيئة لغوية واحدة .
لما كان ثمة احتمال للترادف بين اللفظين ، على أن المراد باختلاف بين لفتين
الاختلاف بين لهجتين ، كلتاها فرع اللغة واحدة ، وتفرعهما عن أصل واحد
هو الذي يسوغ ضم ما عند هذه إلى تلك .

(٣) للشعراء : ١٤٨

(٢) سبأ : ٣٧

(١) الزمر : ٢٠

(٥) السابق والصاحبي ٢٧

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ١٨/١

فيصح لنا - على هذا الأساس - التقى بماثر لغتنا ، التي تشتمل على محصول لغوى لا مثيل له بين لغات العالم (١) .

وحسبنا أن نصفها عندئذ بأنها غنية وغناها ذاتى حفلت به معاجمها المليئة دليلاً على ذلك .

ولن نستبكهف عن رد الاعتبار إلى لهجة كل قبيلة لم تطرأ العجمة على ألسنتها ، ولم تلبس اللسنة الدخيلة ملاحها ، فمثل هذه اللهجات سنسقط منها مزايا لغتنا ، ومعانى مفرداتها وتراكيبها ومدى سمعتها وتعريف أصحابها في طرق تنميتها .

والترايف أخيراً : - كما يقول الشيخ عبد الله العلابى :

« عنوان على فراغ الأمة إلا من القول من وجه ، وعلى مرونة اللغة من وجه آخر . . وبما أنه أصبح صفة ظاهرة من صفات العربية إلى حد الفرد . وليس هذا فقط ، بل أصبح الأديب العربى يضيق جداً إذا لم تسكن له فسحة من الألفاظ الشتى التى تتلاقى على معنى واحد .

وجب على الواضع الحديث ألا يهمل هذه الناحية أبداً ، وفى اللغة كفاء وغناء . . ويستطرد الشيخ العلابى فيقول : « ولكن ضعف الطبع اللغوى فى اللغويين ، جعلهم يطمنون على اللغة الأمانى :

يطمنون أن لو كان لهم بهذه الكثرة من الترايف غنى يقناول مافى العلم وما يجيش به النفس !! ولكنها أمنية - لو علموا - تنالهم أنفسهم دون اللغة » (٢) .

(١) دراسات للشيخ صبحى الصالح ٣٠١

(٢) مقدمة الشيخ العلابى ٢٢٧

وسيبقى في هذا الترادف الذى سخروا منه جوابها على مر الأيام
والليالى ، هتافاً عليه يثير شاكلة انتباه من سمع من يأتى من الأجيال :
أعزائى أبناء الضاد : هذا غناى إلى حد التزيد ، وهذا ضعفكم حتى
عن الاستفادة بالأعلام المنتورة فى بطون معاجى ، وفى منعطقات السبل .
فلا ينبغي أن نفرض الطرف ، ونقصر الجهد ، ونقر بالعجز ، ونرضى
بالقليل ، ونرفض نرد الترادف وقد ثبت وجوده ووضح كضوء الفجر
الصادق ، لا ريب ولا شك فى ذلك .

* * *

القسم الثاني

في التطبيق

في هذا القسم شواهد :

- المشترك اللفظي ، والمداخل ، والشجر ، والسلسل
- المتضاد .
- المترادف .

شواهد المشترك اللفظي

● لفظ الأمة عن المشترك :

من معاني « الأمة » : أتباع الأنبياء ، والجماعة ، والصالح والذي يؤتم به ، والدين ، والمنفرد بالدين ، والحين من الزمان ، والأم ، والقامة ، والوالدة^(١) .

١ - فالأمة بمعنى « الواحد ، الصالح الذي يؤتم به ، ويكون علماً في الخير ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ۖ ﴾^(٢) .

وفي معنى الواحد المنفرد بالدين : قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، قلت : يا رسول الله ، إن أبي كان على ما رأيت وبلغك ، أفلا أستغفر له ؟ قال : « بلى ، فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده » . وفي حديث قس بن ساعدة : « أنه يبعث يوم القيامة أمة وحده » .

٢ - والأمة بمعنى « الجماعة » كقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ۖ ﴾^(٣) . ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ ﴾^(٤) . وحديث : « لولا أن الكلاب أمة تُسَمَّحُ لأمرتُ بقتلها »^(٥) .

٣ - وبمعنى « الحين » من الزمان جاء قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ۖ ﴾^(٦) . وأبو عبيدة يقول : بعد قرن . وقال الأحمشي :

أَتَذْكُرُ بَعْدَ أُمَّتِكَ النُّوَّارَا وَقَدْ قَفَعَتْ بَغْوُ شَيْبٍ عَذَارَا^(٧)

(١) أماني الغالي ٣٠١/٢ ، يصائر ذوى التمييز ٧٩/٢ ، أضداد ابن الأنباري ، تفسير الكشاف ٣٣/٢

(٢) النحل : ١٢٠ (٣) القصص : ٢٣ (٤) البقرة : ١٣٤ (٥) النهاية ٦٨/١ ، مجاز القرآن ٩٩/١ ، نوادر ابن الأعرابي ٤٨ ، والاشتقاق لابن دريد ٢٣٦ (٦) يوسف : ٤٥ (٧) جمهرة أشعار العرب ١٥

٤ — وفي معنى « القامة » جاء قول الأعشى الأكبر ، في (الأم جمع أمة) :

فَإِنَّ مَعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ عِظَامُ الْقِيَابِ طَوَالَ الْأَمَمِ^(١)

٥ — وجمع الجماعة : قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾^(٢) ،

بتفسيرين مختلفين ، قال بعضهم : الأمة هاهنا بمعنى المؤمنين ؛ لأن الله لما أغرق الكافرين ونجى نوحاً عليه السلام ومن معه ، كان الناجون كلهم بعد ذلك من المؤمنين .

وقال آخرون : الأمة هاهنا بمعنى الكافرين ، والتأويل :

كان الناس قبل أن يرسل الله نوحاً كافرين كلهم ، فأرسل إليهم نوحاً وغيره من بعده ليبشروهم وينذروهم^(٣) .

٦ — والأمة : « الله » والسنة والدين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾^(٤) . وفسره أبو عبيدة : ملة واستقامة^(٥) .

٧ — والأمة ، والأمة ، والأم والام « الوالدة » قال الشاعر :

تَقَبَّلْتَهَا مِنْ أُمَّةٍ لَكَ طَالَمَا تُنْزِعُ فِي الْأَسْوَاقِ عَنْهَا خَارُهَا^(٦)
وقال آخر : أُمَّهَتِي خِنْدِفٌ وَالْبَأْسُ أَبِي^(٧) .

وقال الشاعر :

وَمَا الْأُمُّ إِلَّا أُمَّةٌ فِي حَيَاتِهَا وَأُمٌّ إِذَا مَاتَتْ وَمَا الْأُمُّ بِالْأَمَمِ^(٨)

٨ — وأرجع ابن فارس الهمزة واليم إلى أصول أربعة متقاربة هي :

(١) ديوانه ٣٢ ، أمالي القالي ٣٠١/٢ (٢) البقرة ٢١٣

(٣) أشهاد ابن الأثير ٢٦٩ (٤) الزخرف : ٢٣

(٥) أمالي القالي ٣٠١/٢ ، ومجالس مقلب ٥٠/١

(٦) بصائر ذوي التمييز ١١١/٢

الأصل والمرجع والجماعة والدين . ثم إلى ثلاثة أصول هي : القامة ، والحسين ،
والتصد ، وقال : إن الخليل يقول : كل شيء يضم إليه ما سواه مما يليه ،
فإن العرب تسمى ذلك أمًّا^(١) .

وحكى عن الكسائي : أن أمة الرجل : بدنه ووجهه . وقال أبو زيد :
يقال : إنه لحسن أمة الوجه . ويقال : لا أمة لبني فلان ، أى ليس لهم وجه
يقصدون إليه ، لسكهم يخطئون خبط عشواء . وقال اللحياني : ما أحسن
أمته : أى خلقه .

وجاءت الأمة بكسر الهززة وضمها فى قول النابغة الذبياني^(٢) ، بمعنى
الدين والاستقامة :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَهَلْ يَأْتِمُنْ ذُو إِمَّةٍ وَهُوَ طَائِعٌ
(أى لا آثم وأنا ذو دين وفى طاعتك) .

٩ — والأمة : النعمة ، قال الأعشى :

وَلَقَدْ جَرَرْتَ إِلَى الْغَنَى ذَا قَافَةٍ وَأَصَابَ غَزْوُكَ أُمَّةً فَازَا لَهَا^(٣)
١٠ — والأمة : الجنس^(٤) . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ
فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ^(٥) 》 .

• • •

• وللفظ (أمم) من المشترك :

ترجع الهززة والميم عند ابن فارس إلى : الأصل . والأمم : هو الشيء
اليسير والخمير ، حكاه الخليل ، وهو القريب المتناول ، وهو التصد ، كما حكاه
الخليل أيضاً .

وقال يونس : هذا أمر مأموم يأخذ به الناس .

(١) اللسان ١٦١/٢ ٢٥٤
(٢) ديوانه ٢٠٣ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٩٩
(٣) تاج المروس ١٨٩/٨
(٤) الأبنام : ٣٨

وقال أبو حاتم : قال أبو زيد : يقال (أُم) أى صغير وعظيم ، من الأضداد .

وقال أبو عمرو : رجل منمى أى لا يؤم البلاد بغير دليل ^(١) .

١ - الأُم : (الصغير) واليسير ، والحقير .

قال عمرو بن قتيبة (جاهلى) :

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ أَقْدِرْ بِهِ إِذْ قَدَّرْتُهُ أُمًّا ^(٢)

وقال الأعشى : أبو بصير ميمون :

أَيْنَ قَتَلْتُمْ عَمِيدًا لَمْ يَسْكُنْ أُمًّا كَنَفَقْتُلْنِ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمَثِلُ ^(٣)

أى لم يكن صغيراً حقيراً .

وأكل الأخطل تمر أمة وزينبها الخزون ، فجاءت بخشبة لتضربه ،

فهرب من وجهها ، وقال :

أَلَمْ عَلَى عَنَابِ الْعَجُو زِي وَشَكُونَهَا مِنْ غِيَاثٍ لَمْ

فَطَلْتُ تَنَادَى أَلَا وَيْلَهَا وَتَلَعْنُ وَاللَّعْنُ مِنْهَا أُمًّا ^(٤)

فلعن أمة له ، أيسر من الضرب بالخشبة .

وأنشد صاحب القاموس فى بصائرہ : (بمعنى العظيمة) :

وَمَا الْأُمُّ إِلَّا أُمَّةٌ فِي حَيَاتِهَا وَأُمٌّ لِمَا مَاتَتْ ، وَمَا الْأُمُّ إِلَّا أُمٌّ ^(٥)

٢ - والأُم : « القريب » المتناول .

قال زهير :

(١) الفاييس ٣٠/١ .

(٢) الفاييس ٣٠/١ ، أعداد السجستانى ٨٠ ، والأبارى ١٢٥ ، والطيب ٤/١ .

(٣) ديوان الأعشى ٤٨ (٤) الأغاني ٣٠٢/٨ .

(٥) بصائر ذوى التميز ١١١/٢ .

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ وَحِيرَةً مَا هُمْ لَوْ أَنَّهُمْ أَمَمٌ^(١)
وقال عبيد الله بن قيس الرقيات :

كُوفِيَّةٌ نَازِحٌ مَحَلَّتْهَا لَا أُمَمٌ دَارُهَا وَلَا صَقَبٌ^(٢)
(أُم : قريب ، وصقب : قريب أيضاً ، وجاز الجمع بينهما لا اختلاف
اللفظين) .

وقال أمية بن أبي الصلت :
قَوْمِي أَنَادِي لَوْ أَنَّهُمْ أَمَمٌ وَلَوْ أَقَامُوا قَتِيلُ النَّعَمِ^(٣)
(أى لو أنهم قرييون لطلبتهم ، وأحببت نزولهم معي ، ولو هزات
النعم ، للمسكت في مكان واحد) .

٣ - والأمم : « القصد » : هذا مأوم : أى مقصود يأخذ به الناس :
قال حمرو ذو السكلاب الهذلي :
يَا لَيْتَ شِعْرِي عَفَاكَ وَالْأَمْرُ أَمَمٌ مَا فَعَلَ الْيَوْمَ أُوَيْسٌ فِي النَّعَمِ^(٤)
(أُم : قصد . أويس : الذئب) .
ومنة مُم ، وأنشد أبو حمرو :

* احذرن جواب الفلامنما^(٥) *

ومنه ﴿ وَلَا آمِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾^(٥) جمع أم : يؤمون ، أى يقصدون^(٦) .

* * *

(١) ديوان ابن قيس الرقيات ٧٦ ، أشداد السجستاني ٨٥ ، المقائيس ٣٠/١ ، وديوان
زهير ٢٩٨ (٢) ديوانه ٦٠ ، أشداد أبي الطيب ٧/١

(٣) أشداد أبي الطيب ٧/١ ، والأثيري ١٣ ، (٤) المقائيس ٣٠/١

(٥) المائدة : ٢ (٦) المقائيس : ٣٠/١

(١٢) - المعركة القنوي ()

• ولفظ (الجد) ، بفتح الجيم و (الجد) بكسرهما من المشترك :

أرجع ابن فارس لفظه (جد) إلى ثلاثة أصول ، وهي : العظمة ، والحظ ، والقطع .

وصرفه ابن الأنباري بقوله : يقال : جد يجد ، وأجد يجد في الأمر ، وجد النخيل يجمده ، إذ صرمه . وجد الرجل يجد : إذا صار ذا جد ، وذا حظ . وجددت تجد ، إذا صرت ذا جد .

وذكر الفيروز آبادي : أن القطع هو أصل الكلمة (١) .

١ - فالجد : « أبو الأم » أو أبو الأب ، يقول زهير بن أبي سلمى :

إِلَى مَعَشَرٍ لَمْ يُوْرِثِ الْوُثْمُ جَدَّهُمْ
أَصَاغِرُهُمْ وَكُلُّ فَحْلٍ لَهُ نَجْلٌ (٢)

وقال امرؤ القيس :

كَمَا لَاقَى أَبِي جُبَيْرٍ وَجَدِّي وَلَا أَنْسَى قَتِيلًا بِالسَّكَايِبِ (٣)

٢ - والجد : « العظمة » :

قال الله تعالى :

﴿ وَأَنَّهُ تَمَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ (٤) : أي

عظمته سبحانه ، وزاد الفيروز آبادي ، أو : فيضه سبحانه .

وقالت سعدى بنت الشهبول الجهنية - في معنى العظمة - ، ثرى أخاها :

ذَهَبَتْ بِهِ نُهْرٌ فَأَصْبَحَ جَدُّهَا

يَعْلُو ، وَأَصْبَحَ جَدُّ قَوْمِي يَخْشَعُ (٥)

(١) القاموس ١ / ٤٠٦ ، وشرح ديوان المغضيات لابن الأنباري ٦٤٨ ، بصائر

ذوى التميز ٢ / ٣١٠ ومجالس ثعلب ١ / ٤٠٢ ، (٢) ديوانه ٢٧٤

(٣) ديوانه ٦٢ ، (٤) القصص ١٠٠ ، (٥) بصائر ذوى التميز ٢ / ٣٧١ ، والأسمعيات ١٠٣

٣ - والجد : « الحظ » ، وهو الذى تسميه العامة (البخت) ، كما ذكر ابن الأنبارى .

قال امرؤ القيس :

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ رَبِّى أَبْيَسَهُمْ وَبِالْأَشْقِينَ مَا كَانَ الْعُقَابُ

وجعل ابن الأنبارى مثله حديث : (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) ، أى لا ينفع ذا الحظ حظه من أمرك^(١) . وفسر الحديث الفيروز بقوله : « أى لا يتوصل إلى ثواب الله بالجد ، وإنما ذلك فى الآخرة بالطاعة والجد فيها ، واستشهد بقول الشافعى رضى الله عنه :

أَرَى هِمَمَ الْمَرْءِ اكْتِنَابًا وَحَسْرَةً عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يُسْعِدِ اللَّهُ جَدَّهُ
وَمَا لِفَتَى فِي حَادِثِ الدَّهْرِ حِيلَةٌ إِذَا نَعَمَ فِي الْأَمْرِ قَابِلُ سَعْدِهِ
وقال مجد الدين : وقيل فى معنى الحديث : أى لا ينفع أحدًا نسبه وأبوته .

وقال ابن الأثير : ولا ينفع الفتى غناه ، وإنما تنفعه الطاعة^(٢) .

ويقول الخطيئة ، (فى معنى الحظ) :

فَإِنَّ الشَّقَىَّ مِنْ تَمَادَى صُدُورِهِمْ وَذَوَا الْجَدِّمْ لَا نُؤَا إِلَيْهِ وَمَنْ وُدُوا^(٣)

وقال همر بن أبى ربيعة :

رَبِّ ، عَلَقْتُهَا تَجَدُّ هَجْرَى ذَاكَ ، وَاللَّهِ ، مِنْ شَقَاوَةِ جَدِّى^(٤)

وأشدد مجد الدين :

بِجَدِّكَ لَا بِجَدِّكَ مَا تُلَاقَى وَمَا جَدُّ إِذَا لَمْ يَغْنِ جَدُّ^(٥)

(١) شرح الجاهليات لابن الأنبارى ، بصائر ذوى التميز ٢/٣٧٠ ، النهاية ١/٢٤٤

(٢) شرح ديوان الخطيئة ١٤٠ ، ديوانه ٩١ (٣)

(٤) بصائر ذوى التميز ٢/٣٧٠

٤ - والجد : العمر ، ذكره ثعلب .

قال طرفة بن العبد :

فَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى وَجَدَّكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عُودِي (١)
(العود : عواد المريض ، وقيامهم كفاية عن بأسهم من حياته ، وجدك : عظمتك ، وقال بعضهم : وحظك (٢) ، وقيل : هو أبو الوالد) .

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات بتغزل :

لَمْ تَسْلُمِيْنِي عَقْلِي وَجَدَّكَ عَنْ ضَعْفٍ ، وَلَكِنْ بِالنَّفْسِ فِي الْعُقَدِ (٣)

• • •

• (والجد) بكسر الجيم :

١ - ضد المنزل : كقول الحطيئة يدح :

يَسُوسُونَ أَحْلامًا بعيد أناتها وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْحَفِيفَةُ وَالْجِدُّ (٤)
وقال الكمي :

أَرَانَا عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ وَطَوْلِهَا يَجِدُّ بِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَنَهْزِلُ (٥)
وقال بشر بن أبي خازم :

جَدَدْتُ يَجِبَهَا وَهَزَلْتُ حَتَّى كَبُرْتُ وَقِيلَ : إِنَّكَ مُسْتَهَامٌ (٥)

٢ - والجد : الاهتمام والإسراع والقطع والانكماش :

ومنه الحديث : « كان - ﷺ - إِذَا جَدَّ السَّيْرُ ، جَمَعَ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ » :

(معناه : اهتم وأسرع) .

وقال الحطيئة ، (في معنى الانكماش) :

رَأَى يَجِدُّ أَقْوَامَ أَضْيَعَ فَحَثَّهُمْ عَلَى تَجْدِمْ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ الْجِدُّ (٥)

(١) مجالس ثعلب ١/٤٠٢ (٢) ديوانه ١٥٠ ، وشرح الجاهليات ١٩٤

(٣) ديوانه ٧٧ (٤) ديوانه ١٤٠

(٥) شرح القضايات ١٤٨ (٦) ديوانه ١٤٠

وفسر ثعلب : « إن عذابك الجدد ... » بالانكماش^(١) .
 وقال معاوية بن مالك بن جعفر بن محلاب (معبود الحكماء)
 (في معنى الصرم) :
 أَجَدُّ الْقَلْبِ مِنْ سَلَمَى اجْتِنَابَا وَأَقْصَرَ بَعْدَ مَا شَابَتْ وَشَابَا^(٢)
 وقال خالد بن مالك الخناعي :
 إِذَا أَذْرَكُوهُمْ يُلْحِقُونَ مُرَاتَهُمْ بِضَرْبٍ كَمَا جَدَّ الْحَصِيرُ الشَّوْاطِبِ^(٣)
 (يلحقون : أى يجعلون لهم لحاماً بالسيوف من الضرب . وجد : قطع .
 الشواطب جمع شاطبة : وهى التى تعمل الحصار)^(٤) .
 ٣ - والجد : « الغنى » .

وشاهده : حديث القيامة : « وإذا أصحاب الجدد محبوبسون »^(٥) .

• • •

● ولفظ (الخال) من المشترك :

(الخال) له شهرة كبيرة فى دنيا المشترك : فقد عنى به العلماء والأدباء
 والشعراء^(٦) .

١ - فالخال : أخو الأم :

قال الله تعالى : ﴿ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ ، أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ ﴾^(٧) .
 وقال الذبياني يعتذر :

فِدَاءَ لَامْرِئٍ سَارَتْ إِلَيْهِ بِعَذْرَةٍ رَبَّهَا عَمَى وَخَالِ^(٨)

(١) مجالس ثعلب ١/٤٠٢

(٢) شرح المفصليات ٦٩٧ ، وديوان عامر بن الطفيل برواية ابن الأثير من ثعلب ٦٤

(٣) شرح أشعار الهذليين ١/٦٧٤ (٤) النهاية ١/٢٤٤

(٥) مراتب التحرين ٣٣ ، والمزهر ١/٣٧٦ ، والمخصص ٢/١١١ ، وقاموس العروس

٣١٣/٧ ، واللسان ١٣/٢٤٠ - ٢٤٧ ، والنهاية ٢/٩٣ ، ومجالس ثعلب ٢/٣٥٢

(٦) النور : ٦١ (٧) ديوان النابغة ٢٥٧

وقال المرقش الأكبر :

فَنَحْنُ أَخَوَالُكَ عَمْرُكَ وَالْعَا لُ لَهُ مَعَظُمٌ وَحُرُمٌ (١)

٢ - والخال : علامة على الخد ، أو العلامة مطلقاً في الجسد .

قال ابن سيده : الخال شامة سوداء ، وجمعه خيلان .

وقال أبو عبيد : رجل نخيل ونخيول أو نخول . وقال ابن دريد : رجل أخيل به خيلان (٢) .

قال هر بن أبي ربيعة :

إِذْ تَمَنَيْتُ أَنْتَى لَكَ بَعْلٌ آه ، بَلْ لَيْتَنِي بِخَدِّكَ خَالًا (٣)

وأنشد ابن بري للخاليل :

وَاللَّخْوَرِ تَصْطَادُ الرِّجَالِ بِقَاحِمٍ وَخَدَّيْ أُسَيْلٍ كَالْوَذِيلَةِ ذِي الْخَالِ (٤)

(الوذيلة : قطعة من اللحم أو لحم السنام) .

وقال مزاحم بن عمرو ، (والذي قتله ابن الدمينية) :

أَغْشَى نِسَاءَ بَنِي تَيْمٍ إِذَا رَقَدُوا بَعْدَ الْعِشَاءِ وَلَا أَبْنَى مَقَارِبَهَا

بَابَةِ الْخَالِ مِنْهَا عِنْدَ مُرَّتِهَا وَقَوْلِ رُكْبَتِهَا حِينَ تَنْتَبِهَا

ويروى : « تبين ذلك خال عند مررتها » (٥) .

واعتماد الخال عند السرة ، أو فوق الخالب . وهو حينئذ لا يخال به ،

لأن قيل هو مجاز من الخيلاء .

ويقول ابن المعتز في صاحب غدار :

غَالَاةٌ خَدَّهُ وَرَدَّ جَنِيٌّ وَنُونُ الصَّدْغِ مُعْجَمَةٌ يَخَالُ (٦)

(١) ديوان الفضليات ٤٩٠

(٢) المختصر ١١١/٢

(٣) ديوانه ٢٢٥ .

(٤) اللسان (خيل) ١٣/٢٤٠ - ٢٤٧

(٥) شرح ديوان ابن الأينية للمعري ٧

(٦) شرح مقامات الحريري ١٨٨/٤

وفي صفة خاتم النبوة : « عليه خيلان » (جمع خال) ، وهو الشامة في الجسد .

وفي الحديث : « كان المسيح - عليه السلام - كنيز خيلان الوجه »^(١) .
 ٣ - والخال (سحابة ممطرة) : سحابة مخيلة بفتح الميم ، إذا استغلت فيها المطر ، أي ظننته ، وهي الخال أيضاً ، وجمع الخيلة : الخايل .
 أنشد أبو زيد :

أَرِقْتُ لَهُ وَشَايَعِي رِجَالٌ وَقَدْ كَثُرَ الْمَخَايِلُ وَالسُّدُودُ^(٢)
 (السدود : السحاب السود التي تسد الأفق) .
 وقال صخر الهذلي : (أخو الأعلم) ، في سحابة :

لِسَمَاءٍ بَعْدَ شَقَاتِ النَّوَى وَقَدْ بَتُّ أَخْيَلْتُ بَرَقًا وَلَيْفًا
 أَجَشُّ رِيحًا لَهُ هَيْدَبٌ يُكْشَفُ لِلْخَالِ رِيْطًا كَشِيْفًا^(٣)
 (شقات النوى : تفرق الوجهة . وأخيلت : رأيت الخيلة ، وهي السحاب .
 وأجش : فيه بحه . ريحلا : ثقيلا . وهيدب : قريب من الأرض .
 وكشيفًا : متفرقا) .

وقال أبو ذؤيب الهذلي :
 رَفَعْتُ لَهُ صَوْتِي وَأَيَقَنْتُ أَنَّهُ أَرَامِلُ نَجْمٍ خَالَهُ غَيْرَ كَاذِبٍ^(٤)
 (أراميل : أصوات نوء من النجم . وخاله : سحابه) .
 وقال الفرزدق :

أَتَيْنَاكَ زُورًا وَوَفْدًا وَشَامَةً لِيَخَالَكَ خَالُ الصَّدْقِ مَجْدٌ وَمَاطِرٌ

(١) النهاية لابن الأثير ٩٤/٢ .

(٢) اللسان (سود) ، وأخذاد أبي الطيب ٢٢٩/١ .

(٣) شرح أشعار الهذليين ٢٩٤/١ (٤) السابق ٢٩٢/٢ .

وفسره للفضل في الفاخر : (شامة : نظر إلى مقر البرق . والخال : السحاب)^(١) .

وقال البر بن تولب :

ولكن دَعْنِي هَيْتِي حِينَ أَبْلَغْتُ لِمَا لَيْكَ، وَخَالَ مِنْ نَوَالِكَ مَا ضَبَّ^(٢)

٤ - والخال (العزب) : قال امرؤ القيس :

كَذَبْتَ لَقَدْ أَضْيَيْ عَلَى الرَّءْ عُرْسَهُ وَأَمْنَعُ عُرْيِي أَنْ يَزِنَ بِهَا الْخَالِي^(٣)

(أضي : أميل . ويزن : يثمم) .

وقال ثعلب :

لَمَّا رَمَيْتُ رَبِّمًا رَمَيْتُ رَبَاعِيَا كَمَا رَمِيَ الْمَيْتَانِ ذُو الرِّيَّةِ الْخَالِي^(٤)

(رمت : أصبت . والريبة : ما يريب . والخال : العزب) .

٥ - والخال : الماضي :

قال عبيد بن الأبرص (يذم الشيب ، ويحصر على سواد الشعر) :

وَالشَّيْبُ شَيْنٌ لِمَنْ يَحْتَلُّ سَاحَتَهُ لِلَّهِ دَرُّ سَوَادِ اللَّمَةِ الْخَالِي^(٥)

وأشد ابن برى للخليل بن أحمد :

يَعْرِفُ أَطْلًا لَا شَجْوَنَكَ بِالْخَالِ وَعِيشَ زَمَانٍ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي^(٦)

وقال امرؤ القيس :

أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي وَهَلْ يَعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي^(٧)

(عم : أمر من وعم ، بمعنى نعم)

(٢) السابق ٣٢٣

(٤) مراتب التحويين ٣٣

(٦) مراتب التحويين ٣٤ ، اللسان (خيل) .

(١) الفاخر للفضل ٢٧

(٣) ديوانه ٢٥

(٥) ديوانه ١١١

(٧) ديوانه ٢٤

٦ - والخال : التكبر : والخيلاء ، والتباهى ، والتفاخر :

رجل خال ، وامرأة خالة ، مشتق من الخيلاء ، وهو التكبر والتبعثر :
قال أبو عبيدة في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾^(١) :
المختال ذو الخيلاء والخال ، وهما واحد ، ويجىء مصدرًا ، وأنشد قول العجاج :
قال العجاج :

والخالُ ثوبٌ من ثيابِ الجَهَالِ فيهِ غَفْلَةٌ للغفَالِ
وقال الشاعر : ونسبه في مجاز القرآن للمعدي :

فإن كنتَ سَيِّدَنَا سُدَّتْهَا وَلَمَّا كُنْتَ لِلْخَالِ فَازْهَبْ فَتَحَلَّ^(٢)
وقال أبو صخر المذلي (في غير مختال) :
يَفُوحُ الْمَسْكُ مِنْهُ حِينَ يَغْدُو وَيَمْشِي الزَّاهِرِيَّةُ غَيْرَ خَالٍ^(٣)
(الزاهرية : التبعثر) .
وقال الرازي :

ما زالَ ذُو الْبَنِيِّ شَدِيدًا هَبْصُهُ يَطْلُبُ مَنْ يَفْهَرُهُ وَيُهْصُهُ
حَتَّى أَتَاهُ قَرْنُهُ فَيَقْصُهُ فَقَادَ عَنْهُ خَالَهُ وَعِزَّصَهُ^(٤)
(هبصه : نشاطه وسرعته . ويهصه : يذق عظامه فتتداخل . فيقصه :
يقصده وأتاه . فقاد : مال وذهب . خاله : تكبره وخيلاؤه . وعرصه :
نشاطه وبغيه) .

٧ - والخال : برد من برود اللين الموشية :

وقال الشماخ :

(١) النساء : ٣٦

(٢) الاشتقاق لابن دريد ٣١٩ ، اللسان (خيل) ، ومجاز القرآن ١/١٢٧ ، نظام الغريب
لرابعي ٤١ .

(٣) شرح أشعار الهذليين ١/٩٦١ (٤) أزداد أبي الطيب ٢/٥٥٦

وَبُرْدَانٍ مِنْ خَالٍ وَسِعْمُونَ دِرْهَمًا عَلَى ذَلِكَ مَقْرُوظٌ مِنَ الْخَلْفِ مَاعِزٌ^(١)
قال أسيد بن أبي إياس ، يعتذر إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان
قد أهدر دمه :

وما حملتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ ظَهْرَهَا أَبْرًا وَأَوْفَى ذِمَّةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ
وَأَكْسَى لَثُوبِ الْخَالِ قَبْلَ اعْتِرَاكِهِ وَأَعْطَى لِرَأْسِ الْمَنْهَبِ الْمُتَجَرِّدِ^(٢)
(اعتراكه : قدمه وبلاه . والمنهب : الفرس السريع . والمتجرد :
القصير الشعر) .

وقال عبدة بن الطيب ، يصف ثوراً وحشياً :
مُجْتَابٌ نَصْعٍ جَدِيدٍ فَوْقَ نَقَبَتِهِ وَلَقَوَائِمٍ مِنْ خَالٍ سَرَاوِيلٍ^(٣)
(مجتاب : لابس . نصع : أبيض . نقبته : لونه . خال : برود فيها خطوط
سود وحر) .

وقال ساعدة بن جؤية :
يَذْرِبِينَ دَمْعًا عَلَى الْأَشْفَارِ مَنْحَدِرًا يَرُفُلْنَ بَعْدَ ثِيَابِ الْخَالِ فِي الرِّدَمِ^(٤)
(ثياب الخال : برود فيها خطوط خضر . والردم : المرقعات) .

وقال النابغة الذبياني (يصف قطع بقر وحشى) :
كَأَنَّ كُشُوحَهُنَّ مُبِطَّنَاتٍ إِلَى فَوْقِ الْكُعُوبِ بُرُودُ خَالٍ^(٥)
٨ - وانخال : اللواء :

قال أبو منصور : ولا أراه سمي خالاً إلا لأنه كان يعتقد من برود
انخال ، وهى من برود البين .

(١) الساق ١٣/٢٤٠ وما بعدها .

(٢) شرح أشعار الهذليين ٢/٦٢٧ ، ومجالس نعلب ٢/٣٥٢ .

(٣) ديوان المفضليات ٢٧٦ ، ونظام الغريب للربيعي ٧٨ .

(٤) شرح أشعار الهذليين ٣/١١٣٧ . (٥) ديوانه ٢٥٧ .

قال الأعشى الأكبر ، فيما كان بينه وبين أهدائه :

نُقِمُ لَهَا سَوْقَ الْجِلَادِ وَنَعْتَلِي بِأَسْيَافِنَا حَتَّى نُوَجِّهَ خَالَهَا^(١)

وقال مالك بن نويرة (مخضرم) :

فَمَا فَعَتُوا حَتَّى رَأَوْنَا كَأَنَّا مَعَ الصَّبْحِ آذَى مِنَ الْبَحْرِ مَزِيدَ
بَلْمُومَةٍ شَهْبَاءٍ يُبْرِقُ خَالَهَا تَرَى الشَّمْسَ فِيهَا حِينَ ذَرَّتْ تَوَقَّدُ^(٢)

(آذى : موج . ملمومة : مجتمعة . شهباء : بيضاء السلاح) .

وقال عنتره (في لواء الجيش) لما قتل عبد الله بن الصمة :

فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ لَا قِيَّ فَوَارِسًا يَرْدُونَ خَالَ الْعَارِضِ الْمُتَوَقَّدُ^(٣)

(والعارض : اللامع لكثرة السلاح . والمتوقد : النشط) .

وأنشدوا لأبي العباس ثعلب :

لِيَأْتِيَ رَيْعَانِ الشَّبَابِ مُسَلَّطَ عَلَى بُعْضَبَانِ الْإِمَارَةِ وَانْخَالِ^(٤)

٩ - وانخال : العلامة مطلقاً .

قال رؤبة : يَقْطَعَنَّ خُيْلَانُ الْفَلَا تَبُوعَا .

(الخيْلان : العلامات . والتبوع : مد التجاع في السير)^(٥) .

١٠ - وانخال : الحسن القيام على المال وغيره :

يقال : إنه لخال مال وخائل مال إذا كان حسن القيام عليه .

ومنه الحديث ، وكان - صلى الله عليه وسلم - يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ .

وهي أشهر الروايات ، وجاء برواية « يتحولنا » ، بالخاء ، أى يبدلنا من

(١) ديوان الأعشى الكبير ٣٠٧ ، والاسان (خيل) .

(٢) الأصمعيات ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣) ديوانه ٤٠ (٤) مراتب القلوبين لأبي الطيب ٣٣ ، الاسان (خيل) .

(٥) الأساس ١٢٤ (خيل)

حال إلى حال^(١) .

وقال زهير بن أبي سلمى :

تجدنى على ما خيلت هم ازأوها وإن أفسد المال الجماعات والأزل
(فسره الأصمعي : أى هم الذين يقومون بها المقام المحمود)^(٢) .

١١ - والنخال : موضع :

قال امرؤ القيس يبكي الديار :

دِيارٌ لسلى عافياتِ بذي خال ألحَ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمَ هَطَّالٍ^(٣)
وقال ياقوت : النخال : اسم جبل تلقاه الدثينة لبني سليم . وقيل : هو
في أرض غطفان^(٤) .

وأنشد قول الشاعر :

أهأجك بالنخالِ الحمولُ الدوائِع وأنتَ لِمَهْوَاهَا مِنِ الْأَرْضِ نَارِعُ^(٥)
وذات النخال : موضع ، جاء في اللسان :

* أتعرفُ أطلالاً شَجَوْنَكَ بِالنَّخَالِ^(٥) *

وقال همرو بن معد يكرب :

* وَهُمْ قَتَلُوا بِذَاتِ النَّخَالِ قَيْسًا^(٦) *

وقال الأعشى الأكبر :

قالوا . تمار فبطنُ النخالِ جادُهُما فالعسجديةُ فالأبلاء فالرجل^(٧)
(تمار : جبل لبني سليم . وبطن النخال : جبل موضع معين) .

(١) النهاية لابن الأثير (خيل) (٢) ديوانه ٢٧٦ ، وأملى القائل ٣٢٢/٣

(٣) ديوان امرؤ القيس ٢٥

(٤) المشرك وشما ، والمختلف مقما لياقوت ١٥١ .

(٥) السابق ، واللسان (خيل) (٦) السابق .

(٧) ديوان الاعشى الكبير ٥٧ .

١٢ - والخال : الغلاء والقفر :

قال عبيد بن الأبرص :

دِيَارُهُمْ إِذْ هُمْ جَمِيعٌ فَأَصْبَحْتُ بَسَابِسَ إِلَّا الْوَحْشُ فِي الْبَلَدِ الْخَالِي^(١)
(البسابس : القفر الخالية) .

وقال سلم الخاسر (أموى) :

وَفَتَى خَالًا مِنْ مَالِهِ وَمِنْ الْمَرُوءَةِ غَيْرُ خَالٍ
أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ فَكَفَّاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ^(٢)
وقال امرؤ القيس :

وَقَدْ أَغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَايَها لِعَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ رَائِدُهُ خَالٍ^(٣)
(الوسمي : أول مطر الخريف . والرائد : طالب السكلا . وخال : ليس فيه غيره) .

١٣ - والخال : يوم من أيام العرب .

قال أوس بن حجر :

وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ انْخَالُ شَالَ بِرِجْلِهِ كَمَا شَالَ يَوْمَ الْخَالِ كَعْبُ بْنُ أَصْمَعٍ^(٤)
(شال : رفع ، والخال الأولى : الظلم) .

١٤ - والخال : الظلم بالدابة .

أنشد الليث :

نَادَى الصَّرِيخُ فَرَدُّوا الْخَيْلَ عَانِيَةً تَشْكُو الْكَدَالَ وَتَشْكُو مِنْ حَقَا انْخَالٍ
(الصريخ : المستغيث ، والمستغاث به : ضد)

(٢) البيان والتبيين ٣/٣٥٥

(٤) ديوانه : ٦١

(١) ديوانه ١١٧

(٣) ديوانه : ٢٩

١٥ - والنخال : الجبل الضخم ، والتل العالى :

قال الشاعر في قوم تعجب أجسامهم ، ولا عقول لهم :
غُشَاءٌ كَثِيرٌ لَا عَزَاءَ فِيهِمْ وَلَكِنْ خِيَلَانَا عَلَيْهَا لَمَمَائِمٌ^(١)

١٦ - والنخالى : الذى لا هم عنده ، والمعجب بنفسه :

يقول ابن سيده : رجل خال وخائل : معجب بنفسه .

قال عبيد بن الأبرص :

وَمِلْنَا إِلَيْنَا بِالسَّوَالِفِ وَالْحَلَى وَبِالْقَوْلِ فِيمَا يَشْتَمِي الرُّوحُ الْغَالِي^(٢)
وقالت الخنساء :

لَا يَنْطِقُ الْمُسْكِرَ لَدَى حُرَّةٍ يَبْتَارُ ، خَالِي أَلْهَمٌ فِي الْغَاوِيَةِ^(٣)
(يبتار : يحرب . والغاوية : الفتوة والضالون ، والماء للمبالغة) .

وقال الشاعر :

* إذا تحرد لا خال ، ولا يخل^(٤) *

١٧ - والنخال : الظن : وقد يكون بمعنى اليقين ، أيضاً في الأضداد :

قال ابن الأثير : وفي حديث طهفة . « ونستخيل الجهم »^(٥) ،
نستعمل من خلت أخال إذا ظننت ، أى نظنت خليقاً بالمطر . وفي حديث
عائشة رضى الله عنها : « كان - صلى الله عليه وسلم - إذا رأى في السماء
اختيالا تغير لونه » . الاختيال : أن يخال فيها المطر . وفي حديث آخر :
« كان إذا رأى نخيلة أقبل وأدبر » ، النخيلة : موضع الخيل ، وهو الظن ،
كالخيلة ، وهى السحابة الخليفة بالمطر^(٦) .

(١) تاج العروس ٣١٣/٨ ، واللسان (خيل) . (٢) ديوانه : ١١٩ .

(٣) ديوان الحماسة ١٤٤ . (٤) اللسان (خيل) ١٣ / ٢٤٧ - ٢١٧ .

(٥) النهاية ٩٤/٢ . (٦) النهاية ٩٣/٢ .

ويقول ذو الإصبع العدواني ، (جاهلي) :
 لِي ابْنُ عَمٍّ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ مُخْتَلَفَانِ : فَأَقْلَبِيهِ وَيَقْلِبْنِي
 أَزْرَى بِنَا أَتَنَّا شَالَتْ نَعَامَتُنَا فَخَاكِنِي دُونَهُ ، بَلْ خِلْمَتُهُ دُونِي ^(١)
 (شالت نعامتنا تفرقتنا . دونه : أقل) .

١٨ - والخالي : المنفرد بنفسه :

قال نابغة بنى شيبان :
 إِنْ مَنْ يَرْكَبُ الْفَوَاحِشَ مِرًّا حِينَ يَخْلُو بِسِرِّهِ غَيْرُ خَالِي
 كَيْفَ يَخْلُو وَعِنْدَهُ كَاتِبَاهُ شَاهِدَاهُ ، وَرَبُّهُ ذُو الْحَالِ ^(٢)
 (الحال : العقوبة العظيمة والمسكر الشديد) .

١٩ - والخالي : العظيم الماجد :

قال الطائي الذي تنصر على يديه النعمان بن المنذر :
 مَا كُنْتُ أَخْلِفُ ظَهْرَهُ بَعْدَ الَّذِي أَسْدَى إِلَيَّ مِنَ الْفِعَالِ الْخَالِي ^(٣)
 * * *

• الحال في قصائد العلماء والشعراء :

لفتت ظاهرة المشترك في اللغة أنظار الدققين من العلماء والأدباء ،
 والناوئين ، فجاءت قصائدهم شاهدة على إثبات المشترك في اللغة .
 ذكر أبو الطيب عبد الواحد اللغوي في كتابه : « مراتب النحويين »
 قصيدة للعلامة أبي العباس ثعلب في معاني الخال ، ذكرها عنه بالسند
 الصحيح . وكذا نقلتها كتب اللغة « كاللسان » وغيره . وذكر ثعلب فيها
 أهم معاني الخال ، فتدارك عليها أبو الطيب بقصيدته الأخرى في معاني
 الخال ، وذكر بعض ما لم يذكر في قصيدة ثعلب .

(١) الأغاني ١٠٤/٣ (٢) أمالي الخالي ٢/٢٦٨

(٣) مجمع الأمثال للميداني ١/٢٧٦

وقد تفضلت مكتبة برلين العامة - مشكورة - بإهدائي قصيدة الخال
لثعلب ، من مخطوطة قديمة على هامش معجم عربى مخطوط هناك . وراجعناها
على المراجع التى وجدت فيها ، كما سيجىء .

وعلق أبو الطيب اللغوى فى « مراتب النحويين » : على القصيدة بأن
القافية الواحدة فى القصيدة الواحدة يستوى لفظها ويختلف معناها ، وأن
التكرار اللفظى لا يعيب القوافى لذلك ، وأنه ليس بإبطاء يعيب القوافى (١)

* * *

(١) وهذه قصيدة أبى العباس ثعلب فى معانى الخال ، وهى تنظم كثيرا من
المعانى السابقة

أشد عبد القدوس بن أحمد - بالسند - قال : أنشدنا ثعلب :

١- أتعرف أطلالا شجونك بالخال وعيشَ زمان كان فى العُصْرِ الخالى

٢- ليالى ريعانِ الشَّبَابِ مُسَلَّطَ عَلَى بُعْصِيَّانِ الإمَارَةِ والخال

٣- وَإِذْ أَنَا خِدْنٌ لِلْعَوَى أَخِي الصَّبَا

وَاللَّغْزَلِ الْمُرْبِيعِ ذِي اللَّهْوِ والخال

٤- وللخَوْدِ بَصَاطُ الدُّرُجَالِ بِفَاحِمٍ وَخَذَنِي أُسَيْلٌ كَأَلْوِذِيلَةِ ذِي خَالٍ

(والوذيلة . المرأة) ورواية « اللسان » : « كالوذيلة ذى الخال » .

٥- لِمَ ذَا رَمَيْتُ رُبْعًا رَمَيْتُ رِبَاعَهَا كَمَا رَنَمَ المِثْيَاءُ ذُو الرِيَّةِ الخالى

(ورواية اللسان : « ذو الرثبة » . ورُئِمَتْ : أجهت . والميثاء : المرأة

التي تميل) .

(١) يراجع هذا فى :

مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ٣٣ - ٣٥ ، ولسان العرب ١٣ / ٢٤٠ - ٢٤٢ ،
وقصيدة فى معنى الخال لأبى العباس ثعلب ، وسورتها لدى ، من مكتبة برلين العامة .

٦- وبقنادني منها رخيماً دلالة كما افتاد مهرماً حين يالقه الخالي

(ورواية اللسان . « رخيماً دلالة ») .

٧- زمان أفدئ من يراح إلى الصبا بسهمي من نرط الصبابة والخال

ورواية اللسان . « من مراح » .

٨- وقد علمت أني وإن ملت للصبا

إذا القوم كموا لمت بارعش الخالي

(كموا : من كعكه الخوف فتكعكم) .

٩- ولا أرتدي إلا المروءة حلة

إذا ضنّ بقوم بالعصب والخال

١٠- وإن أنا أبصرت المحول ببلدة

تنسكبتها واشتمت خالاً على خال

(عاق على هذا ابن نوبخت بخطه : « ببلدة تبطنها » .

١١- خالف خلفي كل حليف مذهب وإلا تحالفني فخال إذا خال

ورواية اللسان : « خالف بحلفي كل خرق مذهب » .

١٢- وإني حليف للسياحة والندی كما احتلفت عبس وذبيان في الخال

ويروى « بالخال » . ورواية اللسان .

(وما زلت حلفاً للسياحة والملا وذبيان بالخال)

١٣- وثالثنا في الحلف كل مهند لما ريم من صم العظام به خال

ورواية اللسان . « لما يرم » .

وشرحها أبو الطيب بقوله :

١- قوله : « شجرتك بالخال » : يريد موضعاً بهبه .

(١٨ - المصنف - القرن)

- ٢ - وقوله : « في العصر الخالي » : أى الماضى .
- ٣ - وقوله : « الامارة والخال » : يريد الراية .
- ٤ - وقوله : « ذى اللهو والخال » : يريد الخيلاء والتكبر .
- ٥ - وقوله : « كالوذيلة والخال » : يريد واحد خيلان الوجه .
- ٦ - وقوله : « ذى الريبة الخال » : يعنى : العزب .
- ٧ - وقوله : « حين يألفه الخالى » : هو الذى يخليه : أى يلقى اللجام فى فيه .
- ٨ - وقوله : « من فرط الصبابة والخال » : يريد أخا أمه .
- ٩ - وقوله : « بالعرش الخالى » : يعنى المتحوب الضعيف .
- ١٠ - وقوله : « بالعصب والخال » يريد : برود الخال ، وهى ضرب من برود اليمن .
- ١١ - وقوله : « على خال » ، يعنى السحاب .
- ١٢ - وقوله : « خال إذا خال » : من الخالة ، وهى التخلّى .
- ١٣ - وقوله : « بالخال أو فى الخال » : يريد موضعاً .
- ١٤ - وقوله : « به خال » : أى قاطع .

* * *

• قصيدة أبى الطيب عبد الواحد اللغوى :

قال أبو الطيب اللغوى : ولما ظننا أن من يسمع هذه الأبيات ، ربما خال أن قائلها قد زاد على الخليل ، وأنه لما تعرض لشيء تقصاه .. رأينا أنه بخلاف هذه الصورة ، وأنه قد ترك أكثر مما أخذ ، وأغفل أكثر مما أورد : فقد بقى من هذه القافية ما نحن ناظموه أبياتاً ، ومعتذرون من تقصيرنا فيه : إذ البغية إيراد القوافى ، دون العمل لنقد الشعر : وهى القصيدة :

- ١- أَلَمَّا رُبِعَ الدَّارِ بَانَ أَنِيسُهُ عَلَى رَغَمِ أَنْفِ اللَّهِو قَفَرًا يَذِي الْخَالِ
- ٢- مُسَاعِدَ خَلٍّ أَوْ مَقْضَى ذِمَّةٍ وَحِجِي قَتْلِي بَعْدَ سُكُونِهِ خَالِ
- ٣- خَلَا مِنْهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَخُلْ مُنْجَبِي
- وَلَمْ يَخُلْ مِنْ نُؤْيٍ وَأُورَقَ كَالْخَالِ
- ٤- وَكَمْ جَلَّتْ أَيْدِي النَّوَى وَصَرَفُهَا عَلَى الزَّمَنِ الْخَالِي الْمُحِجِّينَ بِالْخَالِ
- ٥- تَبْصُرُ حَلِيلِي الرَّبْعَ شَيْعَتِ دَائِمًا بِقَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ الَّذِي حَلَّ بِي خَالِ
- ٦- أَلَمْ تَرَنِي أُرْعَى الْهَوَى مِنْ جَوَانِحِي
- رِيَاضًا كَهَمِّ الْمَرْءِ ذِي النِّعَمِ الْخَالِ
- ٧- أَذَوْقُ أَمْرِيهِ بِغَيْرِ تَسْكُرِهِ مَذَاقَهُ مَوْفُورٍ عَلَى جُزْئِهِ خَالِ
- ٨- وَأَسْكُنُ مِنْهُ كُلَّ وَادٍ مُضَلَّةٍ وَأَلْفُ رُبْعًا لَيْسَ مِنْ مَأْلَفِ الْخَالِ
- ٩- وَكَمْ أَتَقَضَى فِيهِ سَيُوفُ عِزَائِمٍ وَأَنْصُؤُ ثِيَابَ الْبَدَنِ عَنْ جَمَلِ خَالِ
- ١٠- وَكَمْ مِنْ هَوَى نُكِبْتُ عَنْهُ إِلَى هَوَى
- وَحَقُّ يَقِينٍ حَدَثُ عَنْهُ إِلَى خَالِ
- ١١- وَمَهْمَا تُدَلِّلُنِي لِلَّيْلِ صَبَابَةً فَنَعِيرُ مَعْرَى الْقَدْرِ مِنْ مَلْبَسِ الْخَالِ
- ١٢- تَطَامُنُ طَوْدِي لِلْهَوَى بِسَقْفِيْدِهِ وَالْحَقُّ أَطْوَادَ الْأَعْزَيْنِ بِالْخَالِ
- ١٣- أَضِنَّ بَعْدِي ضَنْ غَيْرِي بِرُوحِهِ
- وَأَبْذُلُ رُوحِي بِذَلِّ ذِي السَّكْرَمِ الْخَالِ
- ١٤- وَلَئِنْ أَخْلُ مِنْ شَيْءٍ فَلَا مِنْ صَبَابَةٍ
- خَلَّتْ شِرَّتِي كَالْفَيْثِ بَلَّ بِهِ الْخَالِ
- ١٥- وَلَئِنْ تَخَلُّ لَكُنِي مِنْ تَذَكَّرٍ هَهْدَانَا
- فَمَسَكَمُ أَتَقَنَّ الْوَاشُونَ أَنِّي بِهَا خَالِ

١٦- وَإِنْ زَعَمُوا أَنِّي تَخَلَّيْتُ بَعْدَهَا
فَمَا أَنَا عَنْهُمْ بِأَعْلَى وَلَا الْخَالِي

قال أبو الطيب :

- ١- « ذو الخال » : اسم موضع ، قال امرؤ القيس :
- ديار لسلبي عافيات بذى الخال ألح عليها كل أسحم هطال
- ٢- ود من بعد سكانه خال ، : معناه : يا خالده على الترخيم .
- ٣- ود أوراق كالخال ، : (فالأوراق : الرماد ، والخالى : الحبل الأسود) .

- ٤- ود المحبين بالخال ، : فالخال هاهنا : ثوب يستتر به الميت .
- ٥- ود من الوجد الذى حل بي خال ، : أى فارغ .
- ٦- و « ذى النعم الخال » : الرجل الحسن القيام على ماله والراعى لإبله :
- يقال : إنه لخائل مال ، وخال مال .
- ٧- ود موفور على جرحه خال ، : من قولهم : خلى على اللبن أو غيره ، وأخلى عليه ، إذا لزمه وحده ولم يتغذ بغيره .
- ٨- ود ليس من مآلف الخال ، : من قولهم : خلا بالمسكان إذا لزمه ، فلم يفارقه .

- ٩- ود عن جل خال ، : البعير الضخم البادن .
- ١٠- ود حدث عنه إلى خال ، : أى إلى ظن .
- ١١- ود عن مابس الخال ، : الرجل المتكبر .
- ١٢- ود الأعزى بالخال ، : أى الأكمة الصغيرة .
- ١٣- ود بذل ذى السكوم الخال ، : الرجل السمع السكوم .

- ١٤ - ود كالغيث بلّ به الخالي ، . فالغيث هاهنا : الغيث . وبل به :
اخضر به ، والخالي : الذى يجز الخلا .
١٥ - ود أنى بها خال : أى منفرد .
١٦ - ود ما أنا منها بالخل ولا الخالي : الخلى الذى ليس بهجزون ،
والخالى : البرى .

* * *

• ولفظ (رهو ، ورهوة) من المشترك ومن الأضداد :

الرهو ، والرهوة : الساكن ، والفجوة الواسعة ، وللساكن المرتفع ،
واسم جبل ، والطريق ، وفيها معناه : المقابلة ، واسم طائر ، والرفق ،
والإبقاء ، وعيب فى المرأة ، والطارفان ، وجوبة تجتمع فيها المياه ، والارتفاع
والانخفاض (ضد) . . .

قال ابن خالويه : الرهو : المرتفع ، والرهو : المنخفض (ضد) . رواه
ثعلب عن ابن الأعرابي . ونقله ابن فارس عن القتيبي ، وأجازه أبو عمرو
فى الرهو ، والرهوة .

١ - الرهو : الارتفاع :

قال رؤبة فى الارتفاع :

* إِذَا عَلَوْنَا رَهْوَةً أَوْ غَمَضًا (١) *

(غمضا : المطنن المنخفض من الأرض . ورواية ابن الأثير :
« أو خفضا ») .

وقال عمرو بن كلثوم :

نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتِ حَدٍّ محافظةً وكُنَّا السَّابِقِينَ (٢)

(١) نادر أبو م. ج ٥٤ ، والقايس (رهو) ٢/٢٤٧ ، أضداد أبي الطيب ٢٨٧ ،
وكل كتب الأضداد تقريباً . (٢) ديوانه ١١٩ ، أضداد ابن الأثير ١٤٩

(قال ابن السكيت : رهوة هاهنا : ما ارتفع وعلا . وقيل :
عنى جبلا .

وقال ذو الرمة :

نَظَرْتُ كَمَا جَلَى عَلَى رَأْسِ رَهْوَةٍ مِنْ الطَّيْرِ أَقْنَى يَنْفُضُ الطَّلَّ أَزْرَقُ^(١)

وقال عمار بن الطفيل يفتخر :

لَقَدْ تَعَلَّمُ الْحَرْبُ أَنِّي ابْنُهَا وَأُنِّي الْهَمَامُ بِهَا الْمُعَلِّمُ
وَأُنِّي أَهْلُ عَلَى رَهْوَةٍ مِنَ الْمَجْدِ فِي الشَّرَفِ الْأَعْظَمِ^(٢)
وقال الحارث بن حلزة :

لَوْ أَنَّ مَا بَأْوَى إِلَيَّ أَصَابَ فَنَدَا
أَوْ فَرَعَ رَهْوَةٍ أَوْ رُؤُوسَ
سَ شَمَارِخٍ لَهْدِدْنَ هَذَا^(٣)

٢ - والرهوة : الانخفاض :

وأشد قطرب قول أبي العباس النخعي :

* إِذَا هَبَطْنَ رَهْوَةً أَوْ غَايَطَا *

قال قطرب : فقوله : هبطن : يدل على الانخفاض .

ولأبي العباس النخعي :

وَوَلَّيْتُ رِجْلِي فِي رَهْوَةٍ فَمَا نَأَلْنَا عِنْدَ ذَلِكَ الْقَرَارَا

وقال الشاعر (أنشد ابن السكيت) :

وَأَنْتِ عَدْوُكَ فِي رَهْوَةٍ يَغِيبُ عَنْكَ مَا دُمْتَ حَيًّا صَحِيحًا^(٤)

(١) ديوانه ٤٠٠ (٢) ديوانه ١١٩ (٣) الوحشيات ١٦٣

(٤) أضداد السجدة ٩٤ ، أضداد ابن الأنباري ١٤٨ ، أضداد أبي الطيب ١/٢٨٤ ،

والاصمعي ١١ ، وابن السكيت ١٦٩

ونظر أعرابي إلى جل ذى سنامين ، فقال . (سبجان الله : رهو بين سنامين) ، أو قال : رهوة بين سنامين^(١) .

٣ - والرهو . الإبقاء والسكون والرفق ، يقال . لا ترهو إلا على نفسك .. أى لا تبقين إلا عليها . ومعنى (السكون) مما شذ عن الباب عند ابن فارس .

قال الله تعالى : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهَوًا ، إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴾^(٢) .
أى اترك البحر على حاله بعد النجاة ، ولا تضربه ؛ لينطبق ، وإنما دعه مفتوحاً ، لينطبق عليهم^(٣) .

وقال الفطامي (فى السكون) يمدح :
(ونسبه الزخشرى فى تفسيره إلى الأعشى ، وليس فى ديوانه) .
يمشِينَ رَهَوًا فَلَا الْأَعْجَازُ خَازِلَةً
وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَشْكِلُ^(٤)

ومثله : السوق الرفيق ، وهو مصدر : رها يرهو رهواً فى سوقه .
وفى معنى الانخفاض قال رجل من الأزد :

وَمَشْتَانَا أَبْيَدَةَ إِنْ سَلِمْنَا نَحُلُّ الرِّهْوَ مِنْهُ وَالصَّعِيدَا
(أبيدة : منزل بنى سلامان من الأزد بالسراة)^(٥) .

وقال الشاعر :

أَنْتَ كَالرَّهْوِ رِفْعَةً سُدَّتْ رَهَوًا وَبَنَى الْمَجْدُ يَافِعًا وَالْدَاكَا

(٢) الفخا : ٢٤

(١) الأشد لابين الأنبارى ١٥٠

(٣) نوادر أبي مسعل ٥٤ ، والقائس ٢٤٧/٢ ، والكشاف ٣/٥٠٣

(٤) ديوانه ٤ ، أشد لابين الطيب ٢٨٩/١ ، والأنبارى ١٥٠ ، ونوادر ابن أعرابي ٥٤

(٥) الوحشيات ١٤

وقال الآخر :

غَدَاةَ أَنَا هُمْ فِي الرَّحْفِ رَهْوًا رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ بِهِمْ بَصِيرُ
وَأُنْشَدَ الْفَرَاء :

كَأَنَّهَا أَهْلُ جِصْرِ يَنْظُرُونَ مَتَى يَرَوْنِي خَارِجًا طَيْرًا يَنَادِيدُ
طَيْر رَأَتْ بَازِيًا نَضَحُ الدَّمَاءَ بِهِ أَوْ أُمَّةً خَرَجَتْ رَهْوًا إِلَى عِيدِ^(١)
(أراد بالرهو : السكون ، وبناديد : متفرقون) .

وقال سنان بن أبي حارثة :

إِنْ أَمْسَى لَا أَشْتَكِي نَصَبِي إِلَى أَحَدٍ وَلَسْتُ مُهْتَدِيًا إِلَّا مَعِيَ هَادٍ
فَقَدْ صَبَحْتُ سَوَادَ الْحَيِّ مُشْمَلَةً رَهْوًا تَطَالُعُ مِنْ غُورٍ وَأَنْجَادٍ
(مشملة : كتيبة . رهوًا : ساكنة تسير على هون ، كذا فسرهُ
الشنقيطي)^(٢) .

وروى ابن الأنباري بالسند ، في تفسير قوله تعالى . ﴿ وَانْزِلْكَ الْبَحْرَ
رَهْوًا ﴾^(٣) ، أن معنى رهوًا : ساكنًا ، وأيده عبد الواحد اللغوي^(٤) .
ثم روى ابن الأنباري بعد ذلك بالسند أيضًا أن معناه : « طريقًا
يبسًا »^(٥) . وفسره الزنجشیری : بالسكون على هيئته وحاله . وذكر أن
الوجه الثاني للرهو هو : الفجوة الواسعة . وذكر ما قيل : من أن أعرابيًا
رأى جملاً فالجلاً : (الضخم من الإبل ذو سنامين يحمل من السند للفحلة)
فقال : (سبحان الله : رهو بين سنامين)^(٦) .

(١) أضداد ابن الأنباري ١٥٠ (٢) الأصمعيات ٢٠٩

(٣) البخان : ٢

(٤) أضداد ابن الأنباري ١٥٠ ، أضداد أبي الطيب ٢٨٩/١ ، وشرح ديوان الخطيب ٩

(٥) أضداد ابن الأنباري ١٥١

(٦) تفسيره ٥٠٣/٣ ، وشرح ديوان الخطيب ٩ لابن السكيت وغيره .

وقال شراح ديوان الخطيئة : (الرهو) ما تطامن الأرض ، وكان ما حوله أشد ارتفاعاً ، وسأل بعضهم عن شيء شبيه بمثل ذلك ، فأجيبوا : رهوة بنى فلان (١) .

٤ - والرهو : صفة تدم بها المرأة عند الجماع من السعة : وقال ابن فارس : نعت سوء للمرأة (٢) . يقال : امرأة رهو ، ورهوى .

قال الراجز :

لَقَدْ وَلَدَتْ أَبَا قَابُوسَ رَهْوً أَنْتُمْ الْفَرَجِ حَرَامُ الْعِجَانِ (٣)
(أنتوم : واسعة ، وأصله في السقاء ، تنفتق منه خرزتان تقصيران واحدة . والعجان ما بين الفرج والإست . وحرام العجان : سب كان يجري على الألسنة) .

وقال الخليل السعدي :

فَأَسْكَنْتُهُ رَهْوًا كَانَ عِجَانَهَا مَشَقُّ إِهَابٍ أَوْسَعَ السَّلَاحِ نَاجِلُهُ (٤)
وقال أبو الحبال الباهلي :

وفارس جَلَّتْهُ ضَرْبَةٌ فَبَانَ عَنْ مِسْكَبَيْهِ السَّكَاهِلُ
فَصَارَ مَا بَيْنَهُمَا رَهْوَةً يَمْشِي بِهَا الرَّامِحُ وَالْقَابِلُ (٥)
وقال ابن الأنباري : « سمعت أبا العباس يقول : يقال للساكن : رهو . وللواسع : رهو ، وللطائر الذي يقال له ، السكركي : رهو » (٦) .

ويستعمل الرهو أيضاً عند ابن الأنباري في المتغنى ، والرخو ، والأحق .

(١) السابق .

(٢) المقاييس ٢/٢٤٧ ، واللسان (رها) .

(٣) أضياد أبي الطيب ١/٢٨٩ ، واللسان (رها) .

(٤) شرح ديوان عامر بن الطفيل لابن الأنباري ١١٩

(٥) أضياد ابن الأنباري ١٥٠

(٦) الوحشيات ٦٤

٥ - والزهو : طائر يقال : إنه السكرى ، أو يشبهه ، أو ضرب من الطير .
ويقال : إن الزهو : طائر أصفر من السكرى ، يزود الماء في إسمته ،
لحمه ، لأنه يخال الطير ترد الماء لعشر .

قال الرازي : وَطَرْتُ كَالزَّهْوِ وَلِيَاتُ^(١)

وقال طرفة بن العبد يهجو :

مُمْ سَوَّدُوا زَهْوًا تَزَوَّدَ فِي اسْتِهِ مِنْ الْمَاءِ خَالَ الطَّيْرُ وَارِدَةً عَشْرًا^(٢)

(يشبه سيد بنى للنذر : « وائل بن شرحبيل » ، هذا الطائر الأحمق) .

٦ - والزهوة : الماء الذى يجتمع إلى جوبة تكون في محلة الفوم .

وقضى - عليه السلام : « ألا شفعة في فناء ولا طريق ، ولا منقبة ، ولا ركع ،

ولا زهو »^(٣) .

(المنقبة : الطريق الضيق بين الدارين ، لا يمكن لأحد أن يسلكه .

والركع : البيت وناحيته من ورائه) .

٧ - وزهو البلاد : أدناها وأقصاها :

قال الرازي :

وبلدة أَمْخَطُ مِنْ زَهْوَيْهَا

بِجَلْدَةٍ تَسْتَنْ فِي عَطْفِيهَا^(٤)

(أَمْخَطُ : أسرع . والجَلْدَةُ : الناقة القوية الشديدة . تستن : تسرع) .

٨ - والزهو . الطعام الكثير ، مصدره زهواً .

قال الشاعر :

بِالْيَتْنِي شَاهَدْتُ بِالسَّيْفِ مَعْشَرًا رَهَا لَهُمْ ضَبْجُ الْإِنَاوَةِ وَالْبُسْرِ

(١) أُنْدَادُ أَبِي الطَّيِّبِ ٢٨٩ / ١ ، وابن الأثير ١٥٠ ، المقابيس ٢١٧ / ٢ ،

(٢) ديوانه ١٨٣

وفوائد ابن الأعرابي ٥٤

(٣) أُنْدَادُ ابْنِ الْأَثَرِيِّ ١٤٩ (٤) أُنْدَادُ أَبِي الطَّيِّبِ ٢٨٨ / ١

(الضبج : اللبن الرقيق الكثير الماء . الاناوة : الرشوة والخراج . والبسر :
التمر للغض قبل أن يرطب) .

وقال الراجز :

آثَرْتُ صَفْوَانَ عَلَى الْعِيَالِ بِالْعَلْفِ الْمُرْمِي وَبِالْجَلَالِ^(١)
(صفوان : اسم فرس) .

٩ - والرهو : المتتابع :

قل الخطيئة ، يصف خيلاً :

مُثَابِرَةٌ رَهْوًا وَزَعْتُ رَعِيْلَهَا بِأَبْيَضَ مَا ضَى الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلِ^(٢)
(رهوًا : قال ابن السكيت وغيره : ها هنا : المتتابع) .

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي ، الرهو : من قولك : تركت الناس
رهوًا واحدًا إلى فلان ، مثل عنق واحد ، وذلك إذا تلا بعضهم بعضًا^(٣) .
وقال ابن فارس : وجاءت الخليل رهوًا : أى متتابعة^(٤) . وهذا يفسر
رهوًا في بيت الخطيئة .

وأشداً ابن الأعرابي :

وَأَلْقَى نَفْسَهُ وَهَوَيْنَ رَهْوًا يَدَاكَ إِذَا مَا هَزَّ بِالْكَفِّ بَعْسُ^(٥)
(أى يقلو بعضها بعضًا كلعاب الرمح) .

والإمام السيوطي يقول : إن « رهوًا » في الآية السكرعة : ﴿ وَانْرُكِّ
الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾^(٦) ، أى ساكنًا على هيئته بالسريانية ، وقيل . يابسًا . . .

(٢) شرح ديوان الخطيئة لابن السكيت وغيره ٩

(١) السابق .

(٤) الفقايس ٢٤٧/٣

(٣) نوادر ابن الأعرابي ٥٤

(٥) تاج العروس ٤٥٦/١ (رهوًا) (٦) المخان ٢٤

وذكر أن الأقوال كثرت في معناه ، قليل : رهواً : أى سهلاً ، وقيل :
منفرجاً . . . (١) .

* * *

• وللفظ (صلى ، والصلاة) من المشترك :

قدمنا طرفاً من تعريف لفظ صلى وصلاة ، في فقه المشترك ، وهذه
بعض المعاني التي تدور حولها .

١ - صلى : دعا ، من الدعاء .

قال الأعشى :

تَقُولُ ابْنَتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مَرْتَجِلاً يَارَبُّ جَنْبِ أَبِي الْأَوْصَابِ وَالْوَجَمَا
عَلَيْكَ مِثْلَ الَّذِي صَلَّيْتَ فَأَعْقَمَضِي نَوْمًا فَإِنَّ لَجْنِبِ الْمَرْءِ مُضْجَعًا
وقال الأعشى أيضاً يصف خمرأ ، ويدعو لها (بألا تفسد) :

وَقَابِلَهَا الرُّيْحُ فِي دِنِّهَا وَصَلَّى عَلَى دِنِّهَا وَارْتَمَمَ^(١)

وقال عز وجل : ﴿ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾^(٢) .

٢ - صلى : أطاع وعهد وتبتل .

قال ثعلب : أنشدني عبد الله بن شبيب لضرار بن الأزور :

تَرَكْتُ الْقِدَاحَ وَعَزَفَ الْقِيَا ن ، وَالْخَرَّ تَضْلِيَةً وَابْتِهَالًا
فِيَارِبُ لَا تَغْنِيَنَّ بَيْعَتِي قَدْ بَعْتُ أَهْلِي وَمَالِي بِدَالَا^(٣)

وروى أن الرسول - ﷺ - سمع هذا الشعر وتهلل ، وقال : « ربح

البيع » .. ثلاث مرات .

(١) معرك الأقران للسيوطي ١٢١/٢

(٢) جهرة أشعار العرب ١٥ ، ديوان الأعشى ٣٥ ، وقاج المروس ١٠/١٢٢

(٣) الخوبة ١٠٣

(٤) مجالس ثعلب ٢/٢٢٣ ، ٢٢٤ ، وقاج المروس (صلى) بدون نسبة .

٣- وصلى : تلى السابق .

فالقرس المصلى هو الذى يلى السابق .

قال بشامة النهشلى ، ونسب لغيره كما فى الحماسية (١٤) :

إِنْ تَبْتَذِرْ غَايَةَ يَوْمًا لِمَسْكْرُمَةٍ تَلْقَى السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا^(١)

(وقال المصلين مع السوابق ، ولم يقل المصليات ، لأنه قصد الأدميين ،

أو أخرج السابق إلى باب الأسماء فصار مثل كاهل وكواهل ، وصاهل

وصواهل) .

وفى الحديث : « سَبَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ ، وَتَلَّثَ مُحَمَّدٌ ،

وَخَبِطَتْنَا فَنَقَنُ » ، فما شاء الله . وأصله فى الخيل كما سبق ، واعتبره

الزخشرى مجازاً ، ولم ينبه صاحب اللعاج على المجاز^(٢) . وقال أبو عبيد فى

الأجناس : المصلى الذى يحىء بعد السابق^(٣) .

٤- والصلأ : العجز :

يقول ابن دريد فى وصف القرس :

قَرِيبٌ مَا بَيْنَ الْقَطَاةِ وَالْمَطَا بَعِيدٌ مَا بَيْنَ الْقَذَالِ وَالصَّلَا^(٤)

(القطأ : مكان الردف ، أو ما بعد الردف . والمطا : الظاهر . والصلأ :

العجز أو الصلوان : الفجوتان اللتان تبعدان أصل الذنب بينهما وبين الجاعرتين).

قال للنافعة :

كَلَى صَلَوِيهِ مُرْهَفَاتٌ كَأَنَّهَا قَوَارِمُ رِيشٍ بَرَّ عَنْهُمْ مَفْكَبٌ^(٥)

(١) شرح الحماسة للمرزوق ١٠٣/١ ، ومجالس تعلق ٢٢٣/٢

(٢) أساسى البلاغة ٢٥٨ (صلى) ، وتاج العروس ١٠/١١٢

(٣) الأجناس لأبى هبيل (٤) شرح المقصورة ابن دريد ٦٤

(٥) كتاب غنى الإنساب للأصمعى ٢١

٥ - وصلى : أحرق ، أو أدنا .

قال عز وجل : ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴾ (٢) .

وقال سبحانه : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ (٣) .

وأنشد ثعلب :

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدُ بَنِي بَدْرٍ
نَحِيَّةً مَنْ صَلَّى فُؤَادَكَ بِالْجَمْرِ (٤)

(أراد : أنه قتل قومها فأحرق فؤادها بالحزن عليهم) .

وقال المرار القفعمي (يصف ظهراء في يوم شديد الحرارة) :

إِذَا خَرَجْتَ تَتَمَيُّ بِالْقُرُونِ أَجْنَحَ سُمُومٍ كَلَفَحَ الصَّلَاةَ (٥)

(أى إذا ضاقت بها السكنس ، انتفت الحر بالقرون) .

وطلق رجل من بني ضباب زوجه أم الضحاك المحاربة ، وكانت تحبه

فقال :

وَأَعَجَلْنَا قُرْبُ الْفِرَاقِ وَيَنْفَا حَدِيثُ كَتَمَ نَيْسِ الْمَرِيضِينَ مُرْزِعِجِ

حَدِيثُ لَوْ أَنَّ اللَّهْمَ يَصْلَى بِحَرِّهِ غَرِيضًا إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُوَ مَنْضُجِ

ورواية القالي :

« بمحمره ... طريا أنى أصحابه ... »

(١) الليل : ١٥ (٢) الأعلى : ١٢ (٣) الحاقة : ٣٠ ، ٣١

(٤) مجالس ثعلب ٣٧٣/٢ ، السان (صلي) .

(٥) الوحيات ٥٥ ، والمعاني الكبير ٢٦٤

(٦) الوحيات ١٩١ ، وأماله القالي ٨٦٣

وأُشْدُ ثعلب :

إِذَا الضَّيْفُ أُلْقِيَ نَعْلُهُ عَنْ شِمَالِهِ طَرُوقًا وَصَلَّى كَفَّ أَشْعَثَ سَاغِبٍ (١)
(وقال : صلى يده بالنار من شدة البرد . وروى الشطر الأول : « أُنَانَا
فلم تفرح بطلعة وجهه ») .

٦ - والصلاة : المصلى ، أى مكان الصلاة لليهود أو المسلمين :

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّ مَتَّ
صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ﴾ (٢) .

فسر ابن عباس - رضى الله عنه - الصلوات بكنائس اليهود .

وذكر ابن الأنبارى : أنه يقال أيضاً للمصلى من مساجد المسلمين صلاة .

كما يقال لكنيسة اليهود : صلاة . واستشهد بقوله سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ (٣) .

أراد لا تقربوا المصلى ، وقالوا : هذا تفسير أبى عبيدة وغيره (٤) .

وقرأ بعضهم : « وبيع وصلوات » بالياء ، وتلك قراءة الكلبي .

وقيل : إن الحجاج بن يوسف قرأ : « وصلوب » بالباء .

ويقال : إن اسم الكنيسة بالعبرية « صلوثا » ، وعربت إلى صلاة ،

وعلى هذا يفسر قول الشاعر :

وانق الله والصلاة فدعها إن فى الصوم والصلاة فسادا (٥)

(أراد بالصلاة : الكنيسة . وأراد بالصوم : ما يخرج من بطن النعام ،

يقال : صام الظليم ، إذا فعل ذلك) .

(٣) النساء : ٤٣ .

(٢) الحج : ٤٠ .

(١) مجالس ثعلب ١/٨٦ .

(٤) تاج المروض ١٠/٢١٢ ، أضداد ابن الأنبارى ٣٣٨ (٥) السابق نفسه .

وفسر بعضهم « الصلوات » بالصلوات المعروفة ، وأول تهديعها بتعطيها ،
على طريق المجاز .

٧ - والصلوة : واحد الصلوات المعروفة :

قال الله عز وجل : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾ (١)
وقال عز من قائل : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى
وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (٢) .

وقال سبحانه : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ (٣) .

٨ - وصلى : طرد .

يقال : صلى الحمار أنه على الطريق ، أى طردها وقبحها ، كما نقله
الصاغاني (٤) .

• • •

● ولفظ (العين) من المشترك :

لفظ العين ، من الألفاظ التي حفلت واحتفلت بها قواميس اللغة العربية ،
وكثر تداولها واستعمالها في بطون الأمهات من الكتب الأدبية وغيرها ،
مما يشهد بأنها من عين أعيان المشترك . وجمعها : أعين ، وعيون ، وأعيان ،
وزاد صاحب التاج أعينات . وأبو العلاء المعري يرى أن كل ما فيه عين
وباء ونون فبعضه مشتق من بعض .

وابن فارس وبعض علماء اللغة معه يرون : أن الباصرة هي الأصل ،
الذى يدل على عضو به البصر ، ثم يشق منه سائر استعمالاتها ، كإف المفايس .
أى أن بقية الاستعمالات من المجاز لا الحقيقة وليس هذا على إطلاقه .

والطريف أن صاحب تاج العروس يروى عن السهيلي في روضه : أنه

يرى أن هذه هي المجاز لخلول الابصار فيها ، ثم يدعوننا إلى التأمل ، وقولته
جديرة بالتأمل .

ولم تذكر القواميس التي عنيت بالمجاز والحقيقة والإشارة إليهما —
كالأساس ، وتاج العروس . — إلا خمسة معان ، استعملت العين فيها مجازاً .
كطلوع النبات ، والنور ، وصديق عين ، وعبد عين ، وأعيان الناس ،
والإخوة ، ومهد العين .

وإذاً فقد بقيت المعاني الكثيرة التي شهدت بها الأساليب الفصيحة ،
والتي استعملت على سبيل الحقيقة لا المجاز .

على أن هذه المعاني العديدة وردت مجتمعة في بطون القواميس العربية ،
ومفصلة ، ولها شواهد ، وأحياناً غفلاً من الشواهد ، استناداً إلى اشتقاق
أو تصرف .

واستندت القواميس في الشواهد على المأثور الفصيح ، وما وعته أمهات
الكتب الأدبية ، وكتب التفسير والبلاغة وغيرها .

ومن الذين حرروا هذه المعاني المتعددة لفظ « العين » : الأزهرى
في تهذيبه ، والخليل في العين ، وابن فارس في مقاييسه ، واللسان ، والصحاح ،
والمحكم ، والأساس ، والقاموس ، والسيوطى في مزهره ، وصاحب التاج
من جواهر القاموس .

فقد حكى السيوطى — مثلاً — في المزهر ، عن كتاب الأجناس
للأصمعي ، والترقيص للأزدى ، وشرح الديريدي لابن خالويه ، وديوان
الأدب للفارابي ، والمجمل لابن فارس ، والمحكم لابن سهد ، وتهذيب

الإصلاح للتبريزي ، والعين للخليل . . . حكى عنهم معاني العين^(١) .

كما نقل ياقوت في معجم الأدباء قصيدة لابن فارس في معاني العين .

وما ذكره من معانيها التي أوصلها بعضهم إلى أكثر من مائة :

الجارحة الباصرة للإنسان وغيره ، وعين الماء والبئر ، والركبة ، والمزادة ، وثقب فيها ، وعين القنطرة ، وسحاب ينشأ من ناحيتها ، ومطر لا يقلع ، والشمس أو شعاعها ، والذهب ، والمال الحاضر ، والدراهم والدنانير ، والربا ، وعين الشيء ، وحقيقته ، ونفسه وشاهده وخياره ، ورئيس الجيش ، وطليعته ، والرقيب ، والديبدبان ، والحارس ، والجاسوس ، وأهل الدار والناحية ، والإخوة الأشقاء ، وبنو الحرائر والأعيان ، والوجهاء ، وخاصة الخواص ، والولى من الأولياء ، والجماعة من الناس .

والنقرة في مقدم الركبة ، وميل الميزان ، وحرف من حروف الهجاء ، والإصابة بالعين (الحسد) ، وموضع بل موضع بعينها ، ومعجم التخليل ، وطائر أصفر البطن ، والبقر العين ، والمعاينة^(٢) .

وزاد المزهر عن التخليل . أنها تطلق على سنام الإبل أيضاً .

والمعاني قد تقترب من بعضها ، كما نرى ، وقد تقاعد .

وفي « قيد الأوابد » ، للشيخ تاج الدين بن مكرم ، ذكر تقسيماً حسناً عن العين ونقله عن المزهر ، نلخصه فيما يلي :

(١) العين : الناظرة ، أو غيرها . والناظرة : إما بوجه الاشتقاق أو بالتشبيه .

(١) راجع العين للخليل ، والمحكم المجلد السادس ١٧٩ - ١٨٤ . والمقاييس ١٩٩/٤ - ٢٠٤ ، واللسان ١٧٠/١٧ - ١٨٥ . وبصائر ذوي التمييز (عين) . معجم الأدباء لياقوت ٩٠/٤ . والمزهر للسيوطي ٣٧٢ - ٣٧٥ . والصحاح والقاموس (عين) ، والأساس ٣١٩ . وشرح ديوان ابن أبي حصينة المبرى ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ . وقاموس المروس ٢٨٧/٩ - ٢٩٣ . والمخصص ٣٣/١٠ في العين والإضافة إليها .
(٢) للمراجع السابقة .

والتي بالاشتقاق مأخوذة عن المصدر ، أو عن غيره ، ويرجع إليها في المصدر : معنى الحسد ، وضرب العين ، والمعاناة . وفي غير المصدر : أهل الدار ، والشيء أو المال الحاضر .

ويأتى من وجه التشبيه : الحر ، وواحد الأعيان ، وسيد التوم ، وخيار الشيء ، والجالسوس .

(ب) وما ليس من العين النازرة ، يأتى منه . ذات الشيء ، وعين الماء وعين الشمس ، وعين الركبة ، وطائر معين ، ومطر لا يتلع أياماً ، والسحابة تأتى من ناحية القبلة ، وعين القبلة ، واهوجاج في الميزان ، ودينار^(١) .

* * *

وهذه بعض معانى العين :

١ - العين : الباصرة ، أى الجارحة .

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾^(٢) .

وقال عز وجل : ﴿ وَالْعَيْنِ بِالْعَيْنِ ﴾^(٣) .

وأنشد ابن برى : * بأعيننا لم يُخْلَطْها القذى *^(٤) .

٢ - والعين : عين الماء وينبوعه^(٥) والبئر ، وغيره :

قال تعالى : ﴿ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾^(٦) .

وقال سبحانه : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾^(٧) .

وقال السموأل :

بَنَى لِي عَادِيًا حَصِينًا حَصِينًا وَعَيْنًا كَلَّمَا شِدْتُ اسْتَقَيْتُ^(٨)

(٢) البلد : ٨

(١) للزهر ٣٧٤/١

(٤) التاج ٢٨٧/٩

(٣) السائدة : ٤٥

(٥) الأساس (عين) ، والخصص ٣٣/١٠ ، وجالس تلمب ٢١٢ ، والمحكم

(٦) البقرة : ٦٠

١٨٤ - ١٧٩/٦

(٨) ديوان السموأل ٧٩

(٧) الرحمن : ٦٦

وقال أوس بن حجر في بئر :

تَذَكَّرْتُ عَيْنًا مِنْ غَمَازَةِ مَاؤُهَا لَهُ حَبَبٌ تَسْتَنُّ فِيهِ الرَّحَا فُ^(١)

(عينا : بئر معروف بين البصرة والبحرين . وزخارف : طرائقه) .

وقال ابن الأعرابي : ويقال : حفر حتى أعان وأعين ، أى حتى

استخرج للماء^(٢) .

٣ - والعين : المطر أو السحاب ، أو مطر لا يقلع أياما ، أو مطر يأتي

من ناحية القبلة : وعن ابن الأعرابي ، يقال : هذا مطر العين . ويقال

أيضا : مطرنا بالعين^(٣) .

تقول العرب : مطرنا بالعين ، والعين مطر خمسة أو ستة أيام لا يقلع .

وقال صاحب اللسان : عان الماء إذا جرى ظاهرا .

قال الزايعي :

وَأَنَاءٌ حَتَّى تَحْتَ عَيْنٍ مَطِيرَةٍ عِظَامُ الْبُيُوتِ يَنْزِلُونَ الرِّوَايَا^(٤)

(يعنى لا تخفى بيوتهم ، فيقصدونها الأضياف) .

وحكى الأصمعي - كما في المزهرة - في كتابه : « الأجناس » : ويقال :

أصاب أرض بنى فلان (عين) .

وابن فارس يرى عين السحاب مشبها بمشبهه ، لأنه شبه بعين الماء التي

شبهت بعين الإنسان . وابن سيده يرى : عين القبلة : حقيقة^(٥) .

وفي الحديث : « إذا نشأت بحرية ، ثم تشاءمت ، فتلك عين عذيقه »^(٥) .

(٢) البئر لابن الأعرابي ٥٦

(١) ديوانه ٦٩

(٣) اللسان (عين) ، والمحكم ١٧٩/٦ - ١٨٤ ، والنهاية ٣/٣٣٢ ، والناج

(٤) عين .

(٤) ألفايس ٢٠٠/٤ ، والمحكم والمحيط (عين) ، والمزهرة ٣٧٢

(٥) تاج المروس ٢٨٧/٩ ، والمحكم ٢٩٣ ، والمروى في شرح ديوان ابن أبي خصبة ١١٥

أى إذا نشأت السحابة . وقال الأصمعى : يقال : هذا مطر العين .
ولا يقال : مطرنا بالعين .

وقال المعري : « . . . والأجود أن يكون مأخوذاً من عين الشيء أى
حقيقته ، أى أن أهله يتعاینون فيه وتقع عليهم العين . ويجوز أن يكون
من عان الماء بعين إذا سال ، كأن المسكان يسيل بهم . وأنشد للأخطل :
حَبَسُوا الْمَطِيَّ عَلَى قَدِيمِ عَهْدِهِ طَامٍ بَيْنَ وَمُظْلَمٍ مَطْمُومٍ^(١)
(مطموم : مسدوم مدفون) .

٤ - والعين : حقيقة الشيء ، ونفسه ، وشاهدته : قال ابن فارس وغيره :
وعين الشيء نفسه : فنى معنى العين : نفس الشيء ، يقول أبو ذؤيب الهذلى :
وَلَوْ أَنِّي اسْتَوْدَعْتُ الشَّمْسَ لَارْتَقَتْ إِلَيْهِ النَّبَا بِعَيْنِهَا وَرَسُولُهَا^(٢)
واسمعه به الأزهرى على أن العين هنا بمعنى الرقيب^(٣) ،
وذكره القاج .

وفى حديث الحجاج ، قال للحسن رضى الله عنه : « والله لعينك أكبر
أمدك »^(٣) ، يعنى شاهدك ومنظرك أكبر من سنك ، وأكثر
فى أمد عمرك .

وجاء فى اللسان : والعين عند العرب حقيقة الشيء ، يقال . جاء بالأمير
من عين صافية .

(١) السابق .

(٢) حساسة البعثرى ٩٩ ، والفاخر ٤٤ ، والملايس (عين) ، والمحج ١٧٩/٦ -
١٨٤ ، والتاج ٢٨٧/٩ - ٢٩٣ .

(٣) السابق .

- ٥ - والعين : الجاسوس ، والرقيب ، والحارس ، والمقدم :
- وفي الحديث الشريف : « أنه بعث بسبعة عينا يوم بدر »^(١) .
- أى جاسوسا .
- وفي حديث الحديبية : « كان الله قد قطع عينا من المشركين »^(٢) .
- أى كنى الله منهم من كان يترصدنا ويتجسس علينا أخبارنا .
- وقال ذو الرمة في (الرقيب) :
- أَقُولُ لَهَا فِي السَّرِّ بَيْتِي وَبَيْنَهُمَا إِذَا كُنْتُ مِمَّنْ عَيْنُهُ الْعَيْنُ حَايَا^(٣)
- وقال ممر بن أبي ربيعة :
- وَمَقَالُهَا : سِرٌّ كَلِيلَةٌ مَعَمَّا نَعْمَدُ فَإِنَّ الْبَيْنَ شَائِئُهَا
- قلتُ : العيونُ كثيرةٌ معكم وأظنَّ أَنَّ السَّيْرَ مَا نَعْمَدُ^(٤)
- وقال ممر بن حوى السكسكى الدمشقي :
- دَعَوْتُ حِفَاظًا بِاسْمِهَا طَرَفَ نَاطِرِي وَكَانَ لَهَا عَيْنًا عَلَى مُرَاقِبَا^(٥)
- وقال ابن قيس الرقيات :
- إِنَّ عَهْدِي بِهِمْ غَدَاةٌ اسْتَقَلُّوا مِنْ فِلِسْطِينَ وَالدُّمُوعُ غَزَارُ
- وَاسْتَحَارَتْ عَلَى الْقَنَاظِرِ مِنْ حُو رَانَ عَيْنُ نَوَاعِمِ أَبْكَارِ
- لَمْ يُسْكَلْنِ خَشْيَةَ الْعَيْنِ ذَا الْأَسْبُ وَغَطَّى الدُّمُوعُ مِنْهَا الْخَلَارِ^(٦)
- وحكى المزهري عن الفارابي في ديوان الأدب ، أنه ذكر من معاني العين :
- الديديان^(٧) .

(١) الانسان (عين) والتاج (عين) ، والنهاية ٣/٣٣١ .

(٢) السابق . (٣) ديوانه ٦٥١ (٤) ديوانه ٢٤٤

(٥) الورقة لابن الجراح ٨٨ (٦) ديوانه ١١١

(٧) الغافيس (عين) ، والأساس (عين) ٣١٩ ، والمزهر ١/٣٧٣

٦ - والعين : الحسد ، والعائن : الحاسد ، والمعين المحسود :
ومنه الحديث . « العين حق ، وإذا استغسلتم فاغسلوا » . يقال :
أصاب فلاناً عين . إذا نظر إليه عدو أو حسود ، فأثرت فيه فروض
بسببها . وفي الحديث : « لا رقية إلا من عين أوحه » .
ومنه الحديث : « كان يؤمر العائن فيتوضأ ، ثم يغسل منه المعين » .
وقال ابن فارس : وعنت الرجل : أصبته بالعين ، فأنا أعيينه عينا ،
وهو معيون .

وفي اللسان : المعيون من أصابته العين ، وأنشد للعباس بن مرداس :
قد كان قومك يحسبونك سيداً وأخال أنك سيد معيون^(١)
٧ - والعين : الذهب ، والمال ، والنقد ، لا الدين :
جاء في « الزهر » عن الأصمعي في كتاب الأجناس : العين : النقد من
الدرهم والدنانير ، ليس بعرض .

قالت الخنساء (في عين الذهب الجيد) :
كأنما خلق الرحمن صورته دينار عين يراه الناس منهوداً^(٢)
وقال ابن فارس : ويقال : هو عين غير دين ، فالعين : المال العتيد
الحاضر ، أى حاضر تراه العيون . وشرط الأصمعي في الأجناس ألا يكون
عرضاً^(٣) .

وزاد صاحب اللسان : العين : المال العتيد الحاضر الناض ، ومن
كلامهم . عين غير دين . واشترت العبد بالدين أو بالعين^(٤) .
وفي معنى الدينار ألفز أبو المقدام في قوله

(١) المقاييس (عين) ، واللسان ١٧ / ١٧٥ - ١٨٥

(٢) الزهر ١ / ٣٧٢ ، والمقاييس (عين) ، والزهر ١ / ٣٧٢

(٣) الزهر ١ / ٣٧٢ ، والمقاييس (عين) ، واللسان ١٧ / ١٧٥ - ١٨٥

(٤) اللسان (عين) .

حَبَشَى لَهُ ثَمَانُونَ عَيْنًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ قَدْ يَسُوقُ أَهْلًا (١)

(أراد عبداً حبشياً ، له ثمانون ديناراً بين عيني رأسه) .

والعين : الذهب ، قال سيويه : عليه مائة عينا . زاد اللسان : والوجه الرفع (٢) . وذكر ابن سيده : أن العين والعينة : الربا (٣) .

وجاء في المزهري عن المجل : النض : الدرهم الصامت ، والناض من المتاع ما تحول ورقاً أو عيناً (٤) .

٨ - والعين : ما يشاهد ويحضر وبماين :

جاء في الحاشية رقم (٦٤٢) لامرأة ترى زوجها بعد أن قتل :

أَجِيرَانُ ابْنِ مَيَّةَ خَبَرُونِي أَعَيْنُ ابْنِ مَيَّةَ أُمَ صِبَاكَ (٥)

(الضمار : الغائب الذي لست منه على ثقة) .

ومنه المثل : لا أطلب أثراً بعد عين ، والعين هنا : المعاينة .

وعن ثعلب : من فاته العين لم يستبعد الأثر (٦) .

(أى من فاته عين شيء يقنع بتجميع أثراه) .

٩ - والعين : مثل الشيء :

قال عوف بن عطية بن الخرع التيمي :

فَإِنْ شِئْتُمْ أَلْفَحْتُمْ أَوْ نَتَجَّجْتُمْ وَإِنْ شِئْتُمْ عَيْنًا بَعَيْنٍ كَمَا هُمَا (٦)

(ألفتما ونتججتما بالبناء للمجهول ، أى : أخذتما اللقاح وهى الإبل

الخلوب . ونتججتا : أخذتما الإبل ذات الفتاج . وعيناً بعين : أى مثلاً بمثل .

فاليد باليد ، والعين بالعين ، والنفس بالنفس) .

(١) المحكم ١٧١/٦ - ١٨٤ (٢) المحكم ، واللسان ، (عين) ، والمزهري ٣٧٣/١

(٣) السابق . (٤) شرح الحاشية للرزوقي ١٥١٤/٣

(٥) القافض للفضل ٤٤ ، رسالة في اعجاز الأبيات ١٧١ ضمن مجموعة نوادر الخطوط ،

والمثال للعبداني ٨٥/١ (٦) الأصمعيات ١٦٧

١٠ - والعين : الشريف ، والعيون : الأشراف :

فقد أوعى حصن بن حذيفة الفزاري بنيه ، فقال

(. . . واغزوا الكثير بالكثير ، . . . ولا تغزوا إلا بالعيون) . قال

السجستاني : يعنى : لأشراف^(١) .

وقال بدر بن عامر في منافرته مع أبي العيال :

بِكَلَامٍ خَصْمٍ أَوْ جِدَالٍ مُجَادِلٍ عَمَلِي يُعَالِجُ أَوْ قَوَافٍ عَيْنِ

(العلق : شديد الخصومة والجدال . والعين : المشهورة المختارة . وقال

السكري : سألت الأصمعي عن عين ؟ فقال : لا أذكره . وقال أبو نصر :

مختارة . وقواف عين أى مختارة كل بيت منها نادر . وقال أبو عمرو :

عين : ظاهرة ينظر إليها^(٢) .

وقال ابن خالويه في شرح الدريدية : تنقسم العين إلى ثلاثين قسما ،

وذكر منها : العين : خيار كل شيء ، ولم يذكر الباقي^(٣) .

وحكى صاحب المزهري عن الخليل أنها تطلق أيضاً على سنام الإبل ،

وأنشد الخليل :

أَلَا رَبَّ عَيْنٍ قَدْ ذَبَحْتُ لِطَارِقٍ فَاطْعَمْتُهُ مِنْ عَيْنِهِ وَأَطَايِيهِ^(٤)

جاء في اللسان : وعين كل شيء خياره ، وأنشد للراجز :

فَاخْتَانَ مِنْهَا عَيْنَةً فَاخْتَارَهَا حَتَّى اشْتَرَى بِعَيْنِهِ خِيَارَهَا^(٥)

١١ - والعين : شعاع الشمس ، أو الشمس نفسها :

جاء في المحكم : وعين الشمس شعاعها الذي لا تثبت عليه العين ،

(٢) شرح أشعار الهذليين ١/١٩٩

(٤) السابق .

(١١) المعبرون والوصايا ١٣٢

(٣) المزهري ٣٧٣

(٥) اللسان ١٢/١٧٥

وقيل : العين : الشمس نفسها . وحكى اللحياني : يقال : طلعت العين
وغابت العين^(١) .

١٢ - وعد عين : إذا تعده بمجد وبقين :

قال امرؤ القيس :

أَبْلَغًا عَنِّي الشُّوَيْعِرُ أَنِّي عَمَدُ عَيْنٍ قَلَدْتُهَا حَرِيْمًا^(٢)

وقال خفاف بن ثدبة السلمي :

فَإِنْ تَكْ خَلِي قَدْ أَصِيبَتْ صَمِيمُهَا فَعَمَدًا عَلَى عَيْنٍ تَيْمَمْتُ مَا لَسَكَا^(٣)

وقال عمر بن أبي ربيعة :

وَخَلَّ كُنْتُ عَيْنَ التُّضْعِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتُ وَمَسْتَمًّا مَطِيْعًا^(٤)

١٣ - وعين : مكان معين :

قال سعد بن جؤية الهذلي (في علم ببلاد هذيل) :

فَالسُّدْرُ مُخْتَلِجٌ وَغُودِرَ طَافِيَا مَا بَيْنَ عَيْنٍ إِلَى نَبَاقِي الْأَثَابِ^(٥)

وقال الأعشى الكبير ، يعير بني عيدان بفرارهم يوم موقعة عين النر :

(وهو يوم فظيمة التي حلقت لضررتها شعرها فاقتتل أهلها) .

ثُمَّ بِالْعَيْنِ غِرَّةٌ تَكْشِفُ الشَّمَّ سَ وَبَوَّ مَا مَا يَنْجَلِي لِظُلَامَا^(٦)

وقال بدر بن عامر الهذلي (في موضع بنجد) :

أَسَدٌ تَفَرُّ الْأَسَدُ مِنْ عُرْوَاتِهِ بَعَوَ أَرْضِ الرَّجَازِ أَوْ بَعِيُونِ^(٧)

(١) المحكم والمحيط الاعظم ١٧٩/٦ - ١٨٤ ، والاساس ٣١٩ ، واللسان (عين)

(٢) اللسان (عين) ، وناج المروض (عين)

(٣) السابق (٤) ديوانه ١٨٩

(٥) اللسان : (عين) ، والمحكم ١٧٩/٦ - ١٨٤

(٦) ديوانه ٢٤٧ (٧) التاج (عين)

ويقول ذو الرمة :

وَالْهَمَّ عَيْنُ أَثَالٍ مَا يُنَازِعُهُ مِنْ نَفْسِهِ بِسَواهَا مُورِداً أَرْبُ^(١)

(وأثال : موضع في عين . يقول : ليس لهذا الفحل هم غير عين أثال) .

وذكر ياقوت عدة أماكن كل منها تسمى (عينا)^(٢) .

١٤ - والعين : أهل الحى ، أو أهل الناحية ، أو أهل الدار :

قال الراجز يصف امرأة بالشره :

* تَشْرَبُ مَا فِي وَطْئِهَا قَبْلَ الْعَيْنِ^(٣) *

١٥ - والعين : واحد الأعيان ، للإخوة من أب وأم ، أو من أولاد

الحرائر :

وفي الحديث الشريف :

« إِنَّ أَعْيَانَ بَنِي الْأُمِّ يَتَوَارَثُونَ دُونَ الْإِخْوَةِ لِأَبٍ »^(٤) .

١٦ - والعين : خاصة من الخواص ، وولى من الأولياء :

نظر رجل في الطواف إلى حرم المسلمين ، فاعلمه على - رضى الله عنه ،

وكرم الله وجهه - فاستعدى عليه عمر رضى الله عنه : فقال : « ضربك بحق

أصابته عين من عيون الله ، عز وجل »^(٥) .

وقال النابغة الذبياني في حكاية الحية والفأس :

فَلَمَّا وَقَّاهَا اللَّهُ ضَرْبَةَ فَأْسِهِ وَلِلْبَرْءِ عَيْنٌ لَا تُغْمِضُ نَاطِرُهُ^(٦)

(١) ديوانه ١٣ (٢) المشترك وضما والمختلف صقما لياقوت ٣١٩

(٣) شرح ديوان ابن أبي حصينة للعمري ١١٥

(٤) (عين) في التاج واللسان .

(٥) النهاية لابن الأثير ٣/٣٣٢ ، واللسان (عين) .

(٦) ديوانه ٢٦١

١٧ - والعين : القنب في الزادة ، القديمة أو الجديدة :

قال الخليل : يقال للسقاء إذا بلى ورق موضع منه : قد تعين . قال ابن فارس : وهذا أيضاً من العين ؛ لأنه إذا رق قرب من التعثرق ، فصار السقاء كأنه ينظر به^(١) .

وأشد ثعلب قول الراجز ، (في قرية تثقبت في جيد فتاة) :

* يَذَاتِ لَوْثٍ عَيْهَهَا فِي جَيْدِهَا^(٢) *

وقال الزخشرى : عين قربتك : صب فيها ماء حتى تفسد عيون الخزر .

وتعين السقاء : بلى ورقته منه مواضع ، واستشهد بقول القطامي :

ولسكنَّ الأديمَ إذا تَفَرَّيَ بَلَى وَتَمَيَّنَا غَلَبَ الصَّدَا(٣)

وذكر الزخشرى : أنه من الحقيقة لا المجاز .

قال ابن فارس : والعين : الجديد ، بلغة طيء ، وأشد قول الطرماح :

فَاخْضَلَّ مِنْهَا كُلُّ بَابٍ وَعَيْنٍ وَجَفَّ الرُّوَايَا بِالْمَلَأِ الْمُتَبَاطِنِ

(المتباطن . المتطامن) .

ويقول ابن فارس . وهذا عندنا خطأ ، لأن الهالي ما بلى ، والعين ما به

عيون ، وقد تكون الجديدة ذات عيون^(٣) .

١٨ - والعين : الجماعة .

قال جندل بن اللثقي :

إِذَا رَأَى وَاحِدًا أَوْ فِي عَيْنٍ يَعْرِفُنِي أَطَرَقَ لِأَطَرَاتِ الطَّحْنِ

ونكتفي بهذا القدر في معاني العين ، والتي أوصل بعضهم معانيها إلى

أكثر من مائة معنى .

* * *

(٢) الأساس ٣١٩ (عين)

(١) الفاييس ٢٠٤/٤

(٣) الفاييس ١٩٩/٤ — ٢٠٤ ، وأشداد أبي الطيب ٤٩٩/٢ .

• قصيدة ابن فارس في العين :

وهذه قصيدة في بعض معاني العين وجدت على وجه « الحمل » قيل :
يخط ابن فارس ، وشرح معانيها : ياقوت الحموي في « معجم الأدباء » :
والقصيدة مروية بالسند الطويل ، يقول فيها ابن فارس (١) :

١ - يَادَارُ سُمْدَى بِذَاتِ الضَّالِّ مِنْ أَضْمٍ
سَقَاكَ صَوْبَ حَيَا مِنْ وَاكِفِ الْعَيْنِ
العين ها هنا سحاب ينشأ من ناحية القبلة .

٢ - إِنِّي لَأَذْكُرُ أَيَّامًا بِهَا وَلَنَّا
فِي كُلِّ إِصْبَاحٍ يَوْمٍ قُرَّةَ الْعَيْنِ
العين ها هنا : عين الإنسان وغيره .

٣ - تُدْنِي مَعْتَقَةً مِنَّا مُعْتَقَةً
تَشْجُهَا عَذْبَةٌ مِنْ تَابِعِ الْعَيْنِ
والعين ها هنا : ما ينعم منه الماء .

٤ - إِذَا تَمَزَّجَهَا شَيْخٌ بِهِ طَرَقَ
سَرَتْ بِقُوَّتِهَا فِي السَّاقِ وَالْعَيْنِ
الطرق : ضعف الركبتين . والعين ها هنا : عين الركبة .

٥ - وَالزُّقُ مَلَانَ مِنْ مَاءِ الشُّرُورِ فَلَا
تَخْشَى تَوَلُّهُ مَا فِيهِ مِنَ الْعَيْنِ
توله الماء : تسربه . والعين ها هنا : ثقب يكون في الزادة .

٦ - وَغَابَ عُدُّهَا حَبًّا فَلَا كَدْرُ
فِي عَيْشِنَا مِنْ رَقِيبِ السُّوءِ وَالْعَيْنِ
العين ها هنا : الرقيب .

٧ - يُقَسِّمُ الْوُدَّ فِيمَا بَيْنَنَا قَسَمًا
مِيزَانَ صِدْقٍ بِلَا بَخْسٍ وَلَا عَيْنِ
العين ها هنا : عين الميزان .

٨ - وَقَاتِضُ الْمَالِ يُغْنِينَا بِحَاضِرِهِ
فَنَكْتَفِي مِنْ قَلِيلِ الدِّينِ بِالْعَيْنِ
العين ها هنا : المال الفاضل : (الدراهم والدنانير) .

(١) معجم الأدباء لياقوت ٩٠/٤ - ٩٢ .

(والجمل) الْمُجْتَبَى نُفَيْ فَوَائِدُهُ حِفَاظُهُ عَنِ كِتَابِ الْجَمِيمِ وَالْعَيْنِ
(المجل : معجم ابن فارس . والجيم : معجم الشيباني . والعين : معجم
الخليل) .

* * *

• مرويَات السيوطى عن العين :

روى السيوطى عن ابن خالويه : أن العين تنقسم عنده ثلاثين قسمًا^(١) ،
وذكر منها :

خيار كل شيء - ونقل عن الفارابى - فى دنوان الأدب - ما يؤكد
أنها من المشترك ، ونقل عن العبرى فى تهذيب الإصلاح بعض المعانى ،
وزاد : عين القوس التى يقع فيها البندق .

ورجع السيوطى إلى تذكرته فوجد العين تطلق على أشياء كثيرة ، وأن
بعض للتأخرين قسمها تقسيمًا حسنًا :

ويمكن تلخيص هذا التقسيم إلى :

أن العين إما أن تكون النازرة ، أو التى ليست نازرة .

والنازرة إما أن تكون بوجه الاشتقاق ، أو بوجه التشبيه .

وما كانت بوجه الاشتقاق إما مصدر أو غير مصدر ، وكلماتها تحته معان .

— وأما العين التى ليست نازرة ففتحها معان تدل على أشياء .

وجاء فى آخر كلام السيوطى ما يلى :

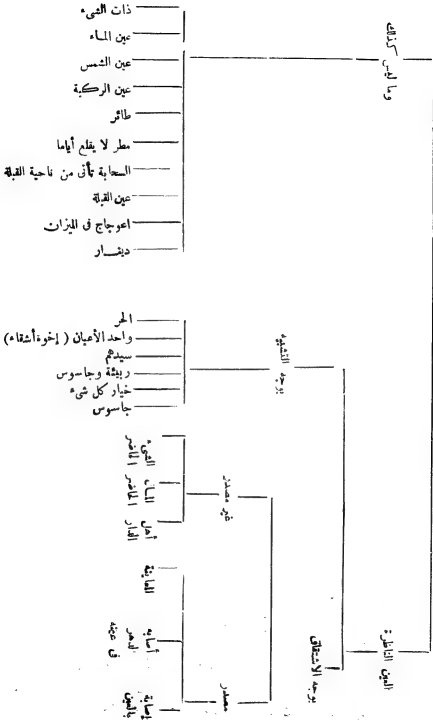
حرر ذلك الشيخ تاج الدين بن مكتوم فى « قيد الأوابد » ، ونقل عن
الخليل معنى آخر زائد هو : أنها تطلق على سنام الإبل ، وأنشد قول معن
ابن زائدة :

أَلَا رَبُّ عَيْنٍ قَدْ ذَبَحْتُ لِطَارِقٍ نَاطِعَمَتُهُ مِنْ عَيْنِهِ وَأَطَابِيهِ

(١) المزهرة السيوطى ٣٧٣/١ - ٣٧٥ .

(العين) منها ما يرجع الى :

هذا ، ويمكن رسم جدول لتذكرة العلامة السيوطي كما يلي :



• **ولفظ المعجوز من المشترك :**

فقد عد الأئمة والأدباء لفظ (المعجوز) من معاني المعجوز معاني كثيرة - منها الحقيقة والمجاز - أوصلها بعضهم إلى سبع وسبعين .

وقال الفيروز آبادي في « الهمائل » أنه عد لها ما يفيد على الثمانين .

وقيد منها صاحب تاج العروس^(١) ، القصيدة التالية للشيخ يوسف

ابن همران الحلبي ، يمدح قاضياً ، (وفي بعض تراكيها تكلف) وهي :

لِحَاطِظِ دُونَهَا غَوْلُ الْعَجُوزِ وَشَكَّتْ ضِعْفَ أَضْمَافِ الْعَجُوزِ

الأولى : المنية . والثانية : الابوة .

لِحَاطِظِ رَشَالِهَا أَشْرَاكَ جَفْنِ فَسَكَمَ قَنَصَتْ مِثَالِي مِنْ عَجُوزِ : الأسد
وَكَمْ أَضْمَتْ وَلَمْ تُعْرِفْ مُجِبًّا كَمَا السَّكْسَعِي فِي رَمِي الْعُجُوزِ

حمار الوحش

وَكَمْ فَتَكَتْ بِقَلْبِي نَاطِرَاهُ كَمَا فَتَكَتْ بِشَاةٍ مِنْ عَجُوزِ : الذئب
وَكَمْ أَطْفَى إِلَهَ الْعَذْبِ قَلْبًا أَضَرَّ بِهِ اللَّهُيبُ مِنَ الْعَجُوزِ : الخمر
وَكَمْ خَبِلَ شَفَاهُ اللَّهُ مِنْهُ كَذَا جِلْدُ الْعَجُوزِ شِفَا الْعَجُوزِ

الأول : الضمع . والثاني : السكلب .

إِذَا مَا زَارَ نَمَّ عَلَيْهِ خَرَفٌ وَقَدْ تَحَلَوُ الْحَيَاتِبُ الْعَجُوزِ : اليمامة
رَشَفَتْ مِنَ الْمَرَاشِفِ مِنْهُ ظِلْمًا أَلَدَ جَنْبِي وَأَحْلَى مِنْ عَجُوزِ : جريد النمر
وَجَدْتُ الشَّعْرَ عِنْدَ الصَّبْحِ مِنْهُ شَذَاهُ دُونَهُ تَشْرُ الْعَجُوزِ : المسك
أَجَرَ ذُبُولَ كِبْرَانِ سَقَانِي بِرَاحَتِهِ الْعَجُوزَ عَلَى الْعَجُوزِ

الأول : الخمر . والثاني : الملك .

(١) راجع تاج العروس ٤/ ١٩ - ٥٣ ، وشرح مقامات الحريري ٤/ ١٥٧

وَكَمْ أَرَوَى عُفَاةً مِنْ نَدَاهُ
إِذَا مَا لَا طَمَتْ أَمْوَاجُ بَحْرِ
أَهَالِي كُلِّ مِصْرٍ عَنْهُ تَشْتِي
مَدَى الْأَيَّامِ مُبْتَسِمًا تَرَاهُ
وَأَشْبَحَ مِنْ شِكَا فَرْطِ الْعَجُوزِ : المَجُوعِ
فَلَمْ تَرَوْ الظَّمَاةَ مِنَ الْعَجُوزِ : الرَكِيَّةِ
كَذَا كُلُّ الْأَهَالِي مِنْ عَجُوزِ : الْقَرِيَةِ
وَقَدْ يَهَبُ الْعَجُوزُ مِنَ الْعَجُوزِ

الأول : الألف والثاني : البقر .

تَرَدَّى بِالتَّقَى طِفْلاً وَكَهْلاً
وَطَابَ ثَنَاؤُهُ أَصْلاً وَفَرْعاً
إِذَا ضَلَّتْ أَنَاسٌ مِنْ هُدَاهَا
وَيَقْظَانُ الْفَوَادِ تَرَاهُ دَهْراً
وَأَعْظَمَ مَا جَدَّ لُوِيَتْ عَلَيْهِ
أَيَّامَ مَوَالِي سَمَا فِي الْفَضْلِ حَقِّي
إِذَا طَاشَتْ حُلُومُ ذَوِي عَقُولٍ
فَكَمْ قَدْ جَاءَ مُتَمَتِّحِينَ إِلَيْنَا
إِلَى كَرِيمٍ فَإِنْ سَابَقَتْ قَوْمًا
فَفَضْلُكَ لَيْسَ يَخْصِيهِ مَدِيحُ
مَكَانَتُكُمْ عَلَى هَامِ الثَّرَيَا
رَكِبْتَ إِلَى الْمَعَالِي طَرْفَ عَزَمٍ
رَمَى عَنْ قَوْسٍ حَاجِبِيهِ فَوَادِي
أَيَّاءَ ظَنِيًّا لَهُ الْأَحْشَاءُ كُنَاسِ
تَعْدُبُنِي بِأَنْوَاعِ التَّجَافِي
وَشَيْخَا مِنْ هَوَاهُ فِي الْعَجُوزِ : الْآخِرَةِ
كَمَا قَدْ طَابَ عَرَفٌ مِنْ عَجُوزِ : الْمَسْكِ
فَيُهْدِيهَا إِلَى أَهْدَى الْعَجُوزِ : الطَّرِيقِ
إِذَا أَخَذَ السَّوْيَ فَرْطَ الْعَجُوزِ : السِّنَةِ
خَنَاصِرُ بِالْفَضَائِلِ فِي الْعَجُوزِ : الشَّمْسِ
تَمَتَّتْ مِثْلُهُ شَهْبُ الْعَجُوزِ : السَّمَاءِ
فَجَلَمَكَ دُونَهُ طَوْدُ الْعَجُوزِ : الْأَرْضِ
فَارْغَمَ مِنْهُ مِرْ نَفِيعَ الْعَجُوزِ : الْأَنْفِ
سَبَقَتْهُمْ عَلَى أَجْرَى عَجُوزِ : الْفَرَسِ
كَمَا لَمْ يُخْصِ أَعْدَادُ الْعَجُوزِ : الرَّمْلِ
وَمَنْ يَقْلَاكَ رَاهَنَ بِالْعَجُوزِ : الصُّومَةِ
حَمَاهُ اللَّهُ مِنْ شَيْنِ الْعَجُوزِ : الْعَرَجِ
بِقَبْلِ دُونَهَا نَبْلُ الْعَجُوزِ : السَّكَنَةِ
وَمَرَّحَى، لَا الْفَضِيرُ مِنَ الْعَجُوزِ : النَّهَابِ
وَمِثْلِي لَا يُجَازَى بِالْعَجُوزِ : الْمَعَاقِبَةِ

قَرُبُكَ دُونَ وَصَلِكَ لِي مُضِرٌّ كَذَا أَكَلُ الْعَجُوزِ بِالْعَجُوزِ

الأول : النبات . والثاني : السمن .

وَهَيْفًا مِنْ نَبَاتِ الرُّومِ وَرَدَ بِعَرَفٍ وَصَالِهَا مُحَضُّ الْعَجُوزِ : العافية
تَضُرُّ بِهَا الْمَنَاطِقُ إِنْ تَنَثَّتْ وَيُوْهِى جِسْمَهَا مَسُّ الْعَجُوزِ : الثوب
عُتُوًّا فِي الْهَوَى قَدَمْتُ نُؤَادِي قَمَنْ شَامَ الْعَجُوزِ مِنَ الْعَجُوزِ

الأول : النار . والثاني : السنور .

وَنُضِي الْقَلْبَ إِنْ طُرِفَتْ بِطَرَفٍ يَلَا وَنَرٍ وَسَهْمٍ مِنْ عَجُوزٍ : القوس
كَأَنَّ الشَّهْبَ فِي الزَّرْقَا دَلَّاصٍ وَبَدَرَ سَمَائِهَا نَفْسُ الْعَجُوزِ : الترس
وَشَمْسُ الْأَفْقِ طَلَعَةٌ مَنْ أَرَانَا عَطَاءَ الْبَحْرِ مِنْهُ فِي الْعَجُوزِ : السكف
تَرَدُّ بِسَارِهِ سُحْبُ الْعَوَادِي وَفَيْضٌ يَمِينُهُ فَيْضُ الْعَجُوزِ : البحر
أَجَلٌ قُضَاءُ أَهْلِ الْأَرْضِ مُضَلًّا وَأَقْلَاهُمْ إِلَى حُبِّ الْعَجُوزِ : الدنيا
كَمَالَ الدِّينِ آيَتْ فِي اقْتِنَاصِ الْأَمْرِ مَحَا وَالسَّوَى دُونَ الْعَجُوزِ : الثعلب
إِذَا ضَنَّ الْقَمَامُ عَلَى عُقَاةٍ سَقَاهُمْ كَفَّهُ مُحَضُّ الْعَجُوزِ : الذهب
وَكَمْ وَضَعَ الْعَجُوزُ عَلَى عَجُوزٍ وَكَمْ هَيَّا عَجُوزًا فِي عَجُوزٍ

الأول : القدر . والثاني : ما توضع عليه القدر . والثالث : الناقة .

والرابع : الصفحة .

يُرْوَجِي مَنْ أَتَا جُرِي فِي هَوَاهُ فَأَذْهَى بَيْنَ قَوْمِي بِالْعَجُوزِ : العاجر
مُقِيمٌ لَمْ أَصِلْ فِي الْحَيِّ عَنْهُ إِذَا غَيْرَ دَعَاؤُهُ بِالْعَجُوزِ : المسافر
جَرَى حَبِيْبِهِ تَجَرَّى الرُّوحُ مِنْ جَرَى حَبِيْبِهِ تَجَرَّى الرُّوحُ مِنْ جَرَى
وَأَخْرَسَ حُبُّهُ مَنِي لِسَانِي كَجَرَى الْمَاءِ فِي رُطْبِ الْعَجُوزِ : النخلة
وَصَبَّرَنِي الْهَوَى مِنْ قَرُطِ سَقَمِي وَقَدْ أَلْتَمَسَ الْمَفَاضِلَ فِي الْعَجُوزِ : الرعشة
عَذُولِي لَا تَلْمِني فِي هَوَاهُ شَبِيْهِ السُّلُكِ فِي مَمِّ الْعَجُوزِ : الإبرة
فَلَسْتُ بِسَامِعٍ نَبِيْحِ الْعَجُوزِ : الكلب

تَرَوْمُ سَلَوَةً مِّنِّي بِجَهْدٍ سُلُوِيْ دُونَهُ شَيْبُ الْعَجُوزِ : الغراب
كَلَامُكَ بَارِدٌ مِّنْ غَيْرِ مَعْنَى يُحَاكِي بَرْدَ أَيَّامِ الْعَجُوزِ : الأيام السبعة
يَطُوفُ الْقَلْبُ حَوْلَ ضِيَاءِهِ حُبًّا كَمَا قَدْ طَافَ حَجٌّ بِالْعَجُوزِ :

الكمة المشرفة

لَهُ مِنْ فَوْقِ رُمَحِ الْقَدِّ صَدْعٌ نَضِيرٌ مِّثْلُ خَافِقَةِ الْعَجُوزِ : الرابة
وَحْصَرٌ لَمْ يَزَلْ يُدْعَى سَقِيمًا وَعَنْ حَمْلِ الرِّوَادِفِ بِالْعَجُوزِ :

مبالغة في العاجز

بِلَحْظِي قَدْ وَزَنْتُ الْمَوْصَ مِنْهُ كَمَا الْبَيْضَاءُ تُوزَنُ بِالْعَجُوزِ : الصنجة
كَأَنَّ عِدَارَهُ وَانْخَلَدُ مِنْهُ عَجُوزٌ قَدْ تَوَارَتْ مِنْ عَجُوزِ

الأول : الشمس . والثاني : دارتها .

فَهَذَا جَنَّتِي لِاشْكٍ فِيهِ وَهَذَا نَارُهُ نَارُ الْعَجُوزِ : جهنم
تَرَاهُ فَوْقَ وَرْدٍ انْخَلَدُ مِنْهُ عَجُوزًا قَدْ حَكَى شَكْلَ الْعَجُوزِ

الأول : المسك . والثاني : العقرب .

عَلَى كُلِّ الْقُلُوبِ لَهُ عَجُوزٌ كَذَا الْأَخْبَابُ تَجَلُّو بِالْعَجُوزِ : التحكم
دُمُوعِي فِي هَوَاهُ كَنَيْلٍ مِّمصر وَأَنْفَاسِي كَأَنْفَاسِ الْعَجُوزِ : النار
يَهْزُ مِنْ الْقَوَامِ اللَّذِينَ رُمَحًا وَرَمْنُ جَفْنَيْهِ يَسْطُو بِالْعَجُوزِ : السيف
وَيَسْكُسرُ جَفْنُهُ إِنْ رَامَ حَرْبًا كَذَاكَ السَّهْمُ يُفْعَلُ فِي الْعَجُوزِ : الحرب

• • •

• ولفظ (العفو) من المشترك :

وبعد لفظ العفو من المشترك ، ومن الأضداد أيضاً ، قال بعضهم : أصل
العفو ومعناه : الترك ، وعليه تدور معانيه ، فيقسم في كل مقام بما يناسبه ،
من ترك عقاب ، وعدم إلزام ، وترك تأنيب

وقال آخرون : أصل العفو : القناول للشيء ، وعليه تدور معانيه .
وله في اللغة معان كثيرة ، منها : السماح ، والعفو ، والترك ، والتجاوز .
ومنها المحو والطمس ، والذهاب والاندثار .
ومنها الطول والوفرة والكثرة .
ومنها الفضل واليسر والسهل والباقي .
ومنها أحل للمال وأطيبه ، والإعطاء والأخذ .
ومنها المعروف وما كان بغير مسألة وما لا تعب فيه ، والعفو الجحش ^(١) .
١ - فالعفو : التجاوز ، والترك ، والسامحة والمحو ، والدرس .
قال تعالى : ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾ ^(٢) .
وقوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ سَلَفَ ﴾ ^(٣) .
وحديث أبي بكر رضي الله عنه : « سلوا الله العفو والمعافة » ^(٤) .
(العفو : محو الذنب . والمعافة : السلامة من الهلايا . والمعافة : الإغناء
عن الناس وإغناء الناس عنه) .

والعفو والمعافة والمسامحة ، مفاعلة ، ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم :
« تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغني من حد فقد وجب » ^(٥) .
وقال ابن الأثير : العفو . التجاوز عن الذنب ، وأصله المحو والطمس .
وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها . « لا تُعَفَّ سييلا ، كان رسولُ الله -
صلى الله عليه وسلم - حُبَّهَا » ^(٦) . أي لا نطمس طريقاً وضجها الرسول .

(١) راجع (ع ف و) في : الأحاس ، والمحكم ، واللسان ، والنهذب ، والصاح ،
والقاموس ، والتاج ، ومجالس تعال ٨٧/١ .
(٢) البقرة : ١٨٧ . (٣) المائدة : ٩٥ .
(٤) النهاية ٢٦٥/٣ . (٥) السياسة الشرعية ٦٨ .
(٦) النهاية : ٢٦٥/٣ .

وجاء في الحاشية (٧٨٧) لكثير عزة :

فَعَفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَسْبَةً فَمَا تَحْتَسِبُ مِنْ صَاحِلِكَ يُكْتَبُ^(١)
وفي الحديث الشريف « أول الوقت رضوان الله ، وآخره عفو الله » .
قال الإمام الشافعي - رضى الله عنه : « والعفو لا يحتمل إلا معنيين :
عفو عن تقصير ، أو توسعة . والتوسعة تشبه أن يكون الفضل في غيرها ،
إذ لم يؤمر بترك ذلك الغير الذي وسع في خلافتها »^(٢) .

وقال زهير :

عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الْجَوَاءَ فَيَمُنْ فَالْعَوَادِمُ فَالْحِسَاءُ^(٣)
(عفا . درس . والجواء وما عطف عليه : مواضع) .

وحكى الزمخشري : وعليهم العفاء ، وعفى - بالقشيد - عليهم الخيال :
أى هلكوا . والله عفو عن عباده^(٤) .
٢ - والعفو : ما كثر ، وفور ، وطال .

يقال : « عفا القوم : كثروا . وعفا شعر البعير : إذا كثر وطال ، فغطى
دبره . ويستعمل ثلاثياً وارباعياً ، وأعفى اللحية : وفرها حتى كثرت
وطالت ، وأرض غافية : لم يبرع نباتها فوفر وكثر . ومنه الحديث : « احفوا
الشوارب ، واعفوا اللحى »^(٥) .

وقال الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى
عَفَوْا ﴾^(٦) . (حتى عفووا : حتى كثروا)^(٧) .

(١) شرح المَرْزُوقِ لِلْعَامَةِ ١٧٥٨/٤ (٢) الرسالة للإمام الشافعي ١٢٩

(٣) دبراته ٣٠٥ ، والأساس ٣٠٨ (٤) السابق

(٥) تاج الدروس ٢٤٧/١٠ (٦) الأعراف : ٩٥

(٧) التكامل للبهرد ١٢٩/٢ ، والأساس ٣٠٨

وقال الأخطل :

قَبِيلَةُ كَثِيرِ الْفَمْلِ دَارِجَةٌ إِنْ يَهْبِطُوا الْعَفْوَ لَمْ يُوجَدْ لَهُمْ أَثَرٌ^(١)

(العفو : بلاد غفل لم توطأ وليس بها آثار) .

وفي الحديث : « إِذَا عَفَا الْوَبْرُ ، وَدَبَّرَ الدَّبْرُ ، حَلَّتِ الْعُمَرَةُ لِمَنِ اعْتَمَرَ » .

قال الزمخشري : عفا : كثر : ومنه قوله تعالى . ﴿ حَتَّىٰ عَفَّوْا ﴾^(٢) .

وقال قطرب . وعفت وفرة الرجل : كثرة ، وعفوا يعفون عفوا :

كثروا^(٣) .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحمى الشوارب وتعفى اللحى ،

أى توفرو . وفي رواية : أمر بإعفاء اللحى^(٤) .

٣ - والعفو : ما فضل وبقي ، وتيسر ، وأخذ بلا كلفة ولا مزاحمة .

جاء فى الصحاح : عفو المال : ما يفضل عن النفقة ، يقال : أعطيقته عفو

المال ، أى بغير مسألة^(٥) . وأنشد قول الشاعر (قيل هو شريح القاضى ،

أو عامر بن عمرو بن البكاء ، أو أسماء بن خارجة)^(٦) :

خُذِ الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدْرِئِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطَلِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ^(٧)

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ؟ قُلْ : الْعَفْوَ ﴾^(٨) .

(١) التاج ٢٤٧/١٠

(٢) الفائق للزمخشري ١٧٠/٨ - والآية من سورة الأعراف : ٩٥

(٣) الأضداد لقطرب ١١٨

(٤) النهاية ١١/٣ ، وأضداد ابن الأثير ٨٧

(٥) راجع (عفو) فى الصحاح ، والقاموس ، والتاج .

(٦) الوحشيات ١٨٥ ، وحاسة ابن الشجرى ٩٤

(٧) السكامل للبرد ٦/٤ ، والتاج ٢٤٧/١٠ ، والأساس ٣٠٨

(٨) البقرة : ٢١٩

قال المبرد : معناه : ما فضل : أى أقبل اليسور من أخلاقهم ، ولا تستقصى عليهم فيستقصوا عليك ، فتتولد العداوة والبغضاء . ويقول الزنجشري : أى ما فضل من قوتك وقوت عيالك .

٤ - والعفو : أحل المال وأطيبه . وفى المحكم : أجل المال وأطيبه . ومنه حديث الزبير : أنه قال للناطقة : « أما صفوا أموالنا فلآل الزبير . وأما عفوه فإن تبا وأسدأ تشغله عنك » . قال الحرابي : العفو : أجل المال وأطيبه .

وقال الجوهري : عفو المال : ما يفضل عن النفقة . قال ابن الأثير : وكلاهما جائز فى الامة ، والثانى (ما يفضل عن النفقة) أشبه بهذا الحديث . وقال الزنجشري : هذا من عفو مالى : أى من حلاله وطيبه^(١) .

٥ - والعفو : الترك وعدم الإلزام بالخراج أو العشر ونحو ذلك . وهذا قريب من معنى السماح والتجاوز .

سئل ابن عباس رضى الله تعالى عنه ، فى أموال أهل الذمة فقل : « العفو » : أى عفى لهم عن الخراج والعشر ، لما ضرب عليهم من الجزية . ٦ - والعفو : الجحش .

وفى الأثر : « ترك أبو ذر - رضى الله تعالى عنه - أتانين وعقوا » . وسى الجحش عقوا ، لأنه عفى من الركوب والأهمال .

وفيه خمس لغات : عفو بقتليث العين ، وعفا بفتح العين وكسرها^(٢) . وحكى الجوهري فيه مثل ذلك ، وروى ما أنشده المفضل من قول حنظلة بن شرق :

(١) السماح ، والمحكم (عفو) ، ومجالس ثعلب ٥٨٢/٢ ، والاساس ٣٠٨

(٢) القاموس للزنجشري ١٧٠/٢

بِضَرْبِ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سُكْنَاتِهِ وَطَعْنٍ كَشَفَهُ قَوِ الْعَقَا هَمْ بِالْنَهَقِ^(١)
بافتح واللكسر لعين العفا .

٧ - والعفو : النشاط والجري .

قال امرؤ القيس (في النشاط) يصف فرسه :

عَلَى رَبِّدٍ يَزْدَادُ عَفْوًا إِذَا جَرَى مِسْحَرٍ حَيْثُ الرِّكْضِ وَالذَّالَانَ^(٢)
(الربذ : واسع الخطو . والذالان : الجرى الخفيف) .

وقول امرؤ القيس أيضاً :

وَنَعَفُوا كَمَا تَعَفُّوا الْجِيَادُ عَلَى الـ سَعَلَاتِ وَالْمَخْدُولُ لَا نَذَرُهُ^(٣)
(نعفوا : نعطى من غير سؤال . وتعفوا الجياد : تسرع . والسعلات
جمع علة ، وهى الفقر ، لا نذره : أى لا نتركه) .

وقال القمقام بن ربيعة الشيرى :

حَذَلْتُمَانِي فَبَسَّ الْعَفْوُ عَفْوُكُمْ وَالْعَقْبُ مِثْلُ فَهَذَا مِنْكُمْ غَيْرَ^(٤)
(العفو : الجرى الأول . والعقب : الثانى . وغير : داهية عظيمة)^(٥) .

٨ - وعفا : من الأضداد ، ومصدره العفو .

قال الزبيدى : قال شيخنا : ومن الأكيد معرفة أن عفا من الأضداد .

يقال : عفا الشيء إذا نقص ودرس ، وعفا إذا زاد .

وأنشدوا (للعفاء والدرس) قول زهير :

تَحْمَلُ أَهْلَهَا مِنْهَا فَبَانُوا عَلَى آفَاتٍ مَازَهَبَ الْعَفَاءِ^(٦)

(٢) ديوانه ٥٥

(١) الصحاح ، والتاج ، والقاموس (عفو) .

(٤) الوحشيات ٢٠٧

(٣) السابق ١٨٩

(٥) المحصى (نموت الخيل) ١٧١/٦

(٦) ديوانه ٣٠٥ ، وأضداد ابن الأثير ٨٦

وأشد قطرب قول امرئ القيس :

فَتَوْضَحُ فَاَلْقِرَاءُ لَمْ يَمْنُ رَسْمَهَا لِمَا تَسَجَّتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ (١)

وقال : قال أبو عبيدة : لم يبق رسمها ، وقال الأصمعي : لم يبق رسمها ،
لم يدرس كله من قوله : قد عفا شعره ، ويجوز أن يكون أراد قد درس
وذهب على الضد ، على حد قول لبيد :

* عَفَّتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمُعَامَهَا (٢) *

وقال الأعشى :

تَطُوفُ الْعُقَاةُ بِأَبْوَايِهِ كَطُوفِ النَّصَارَى بِبَيْتِ الْوَن (٣)

وقال الآخر :

تَطُوفُ الْعُقَاةُ بِأَبْوَايِهِ كَمَا طَافَ بِالْبَيْعَةِ الرَّاهِبُ (٤)

وقال زهير يمدح هرم بن سنان :

يَنْزَعْنَ عَنْ إِمَّةٍ أَقْوَامٌ لَذِي كَرَمٍ

بَحْرٌ يَفِيضُ عَلَى الْعَافِينَ إِذْ عَدِمُوا (٥)

(إمة بالسكسر : النعمة)

وقال ثعلب في : « حتى عفوا » : كثروا (٦) .

* * *

(١) أزداد قطرب ١١٨ ، وأزداد ابن الأنباري ٨٦ ، وديوان امرئ القيس ١٣

(٢) ديوانه ١٩ ، وأزداد ابن الأنباري ٨٨

(٣) مجالس ثعلب ٥٨٢/٢

(٤) ديوانه ٣٠١

(٥)

• ولفظ (الغرب ، والغروب) من المشترك اللفظي :

لغرب استعمالات متنوعة .

ولاحظ اللغويون وشائج الترابية التي تربط بين هذا اللفظ ومعناه ، وقوة الآصرة التي تربطه باستعمالاته واشتقاقه ومعانيه .. فكثيراً ما تلقى المعاني ، وتعانق ، وتسير الاشتقاقات في رحلة سوية :

فالغرب : الدلو كبيراً ، ملوء ، وفارغاً ، وما يفيض منه ، وما ينجم من الراحة عن فيضانه ، وصب الماء في الحوض ، والراوية التي تحمل الماء ، ويوم السقي ، والقدح . وكل هذه المعاني تتجاذب ويقرب بعضها من بعض كأنرى . والغرب : الدمع ، والعين ، ومقدمة العين ومؤخرها ، وعرقان للدمع فيها ، وزاد : الدمع فكان المطر ، والتقى من الدمع المنهمر ، والجدول ، وماء الأسفان وظلها .

والغرب : الحسد ، والحدة ، وسرعة الجرى ، والنشاط والحركة ، حسياً ومعنوياً .

والغرب : جهة الغرب ، في مقابل الشرق ، وقد تبعد الجهة ، فيأتى : الإبعاد والبعد الحسى ، أو المعنوى ، فيغرب في كلامه .
والغرب : الذهب أو الفضة ، أو الجام منهما . أو ضرب من الشجر ، أو الإغراب في الكلام ، وداء يصيب الشاة^(١) .
وهذه بعض المعاني للفظ الغرب :

١ - فالغرب : جهة المغرب ضد المشرق ، وغروب الشمس .

(١) راجع (غرب) في الأساس ٣٢١ ، والساق ١٣٧/٢ ، وقوادري أبي منحل ٤٤٣ ، والنهاية ٢٠٠/٣ ، والمقد الفريد ١١٦/١ ، وأمالى القالى ٢٥٢/٢ ، والثرادر لأبي زيد ٦٠

قال الله تعالى : ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾^(١).

وقال أمية بن أبي عائذ يصف ناقته ورحلانه :

تَرَامَتْ بِنَا مَشْرِقًا مَغْرِبًا غِيَارًا وَجَلَسًا صَحَارَى حَزُونًا^(٢)
وفيه أيضاً (جلسا) من المشترك .

٢ - والغرب : الحد ، والحدة ، والنشاط ، والسرعة والخفة .

يقول الزخشرى : كفت من غربه : أى من حدته^(٣) . يقول أمية ابن أبي عائذ فى نشاط ناقته :

وإِنْ غَضَّ مِنْ غَرَبِهَا رَفَدَتْ وَسِيحًا وَأَلَوْتُ بِحُلْسٍ طَوَالَ^(٤)
(غَض : كف . وغربها : حدتها ونشاطها . ورفدت : أى أتبع
بعضه بعضاً . ووسيحاً : ضرب من السير . والجلس : الطويل) .
وقال ذو الرمة :

كَغَفَّ مِنْ غَرَبِهِ وَالْعَصْفُ يَسْمَعُهَا

خَلَفَ السَّيْبِ مِنَ الْإِجْهَادِ تَفْتَحِبُ^(٥)

(أى : كف الثور من حدته ونشاطه لما رأى السكلاب خلفه . والسبيب :

الذئب ، وفى غير هذا الناصية ، والنحيب : النفس الشديد المتدارك) .

وقال مليح بن الحكم يصف إبلا :

يَيْسُ بِهَا الْحَادِي خَفَافَةٌ غَرَبِهَا إِذَا شَمِرَتْ تَشْمِيرَ خَرْجَاءِ جَافِلٍ^(٦)
(ييس : يسكن . وغربها : حدتها . وخرجاء : نعامة . وجافل : خائفة) .

(٢) السكرى فى شرح أشعار الهذليين ١٩/٢ هـ

(٤) شرح أشعار الهذليين ١٩٧/٢ هـ

(٥) شرح أشعار الهذليين ١٠٢٨/٣ هـ (٦) والاساس ٣٢١ هـ

(١) النور : ٣٥

(٣) الاساس ٣٢١

(٥) ديوانه ٢٥ ، والاساس ٣٢١ هـ

وقال النابغة :

والخيل تَمَزَّعُ غَرْبًا فِي أَهْثَئِهَا كَالطَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشُّبُوبِ ذِي الْبَرَدِ^(١)
(تمزع : تسرع . غربًا : نشاطًا وحدة . الشؤبوب : الدفعة العظيمة من المطر) .

وذكرت السيدة عائشة زينب رضى الله عنهما ، فقالت : « كل خلاها محمود ما عدا سورة من غرب كانت فيها »^(٢) : أى حدة .

٣ - والغرب : الدلو ، أو الدلو المليئة ، ويوم السقى ، وراوية الماء .
يقول امرؤ القيس :

فَعَيْنَاكَ غَرْبًا جَدُولٍ فِي مَقَاضِيهِ كَمَرُ الْخَلِيجِ فِي صَفِيحٍ مُصَوَّبٍ^(٣)
(غرب : الدلو العظيمة . وثناء ليقابل العيينين . والجدول : النهر الصغير . والمقاضية : الأرض الواسعة . والخليج : الماء المتخلى من النهر باعتراض العقبات فيتيامن أو يقياسر ، والصفيح : العريض من الحجارة . والمصوب : المنحدر) .

وقال العباس بن مراد بن الخنساء ، في (حماسية ١٤٩) :
أَرَاكَ إِذْ قَدْ صَرْتَ لِلْفَقْرِ نَاضِحًا يُقَالُ لَهُ بِالْغَرْبِ أَذْبَرُ وَأَقْبَلُ^(٤)
وروى ابن الأثير في حديث الزكاة : « وما سُقِيَ بِالْغَرْبِ فَقِيهٌ نَصَفُ الْعُشْرِ »^(٥) .

وأشدد ابن الأعرابي في « كتاب البئر » قول الراجز :

(١) ديوانه ١١٩
(٢) النهاية ٣٠٠/٣
(٣) ديوانه ٣٣
(٤) شرح ديوان الحماسة للرزوقي ١/٣٦
(٥) النهاية ٣٠٠/٣

لولا الزَّمَامُ اقْتَحَمَ الْأَجَارِدَا
بِالْغَرْبِ أَوْ دَقَّ النَّعَامَ السَّاجِدَا^(١)

وقال الأعشى الأكبر يمدح :
مِنْ دِيَارِ بِالْهَضْبِ الْمُضْبِ الْقَلْبِيبِ قَاضٍ مَاءَ الشُّثُونِ فَيُضَخُّ الْغُرُوبِ^(٢)
وفي حديث الرؤيا : « فأخذ عمر - رضى الله عنه - الدلو فاستحالت
في يده غرباً » . أى دلوأ عظيمة ، لأن الفجوح كانت في زمنه أكثر منه
في زمن أبي بكر رضى الله عنهما^(٣) .

وأشدد الأزهرى والليث في يوم السقي ، قول الشاعر .
* فِي يَوْمِ غَرْبٍ وَمَاءِ الْبَيْتِ مُشْتَرَكٌ^(٤) *

٤ - والغرب . الدموع ، أو مجاريها ، أو مقدمة العين ومؤخرتها .
جاء في اللسان : والغرب عرق مجرى الدمع يسقى ولا ينقطع ، وهو
كالناسور ، والغروب الدموع حين تخرج من العين ، والغروب : مجارى
الدمع . وذكر حديث الحسن عن ابن عباس رضى الله عنهما - حين خطب
وفسر سورة البقرة - كان مُجِئًا يَسِيلُ غَرْبًا^(٥) . أى يسيل عرقاً ، وفسره
الجاحظ بالدوام .

وفي مجرى الدمع قال الحريرى :
وَكَمْ رَأَتْ مُفْلَتِي هَيْنَيْنِ مَأْوُهُمَا يَجْرِي مِنَ الْغَرْبِ وَالْعَيْنَانِ فِي حَلَبٍ
(الغرب : مجرى الدمع . والعينان : اللتان) .

وأشدد أيضاً قول الشاعر :
مَالَكَ لَا تَذْكُرُ أُمَّ عَمْرٍو إِلَّا لَعَيْنَيْكَ غُرُوبٌ تَجْرِي^(٦)

(١) كتاب البئر لابن الاعرابي ٧٠ ، وأضداد الاصصى ٤٣ ، والمختصر ١١٤/١١ ،
وأضداد ابن السكيت ١٩٧ (٢) ديوانه ٣٣٣
(٣) النهاية ٣٥٠/٣ ، واللسان ١٣٤/٢ (٤) السابق .
(٥) البيان والنبية ٨٥/١ ، واللسان ، والاساس (غرب) .
(٦) مقامات الحريرى ١٦٠/٤

وقال أوس بن حجر :

وَلَا أَنَا يَمِّنُ بِسَفْنَيْهِ بِسُجُودِهِ يُمَدِّ لَهُ غَرْبًا جَزُورٍ وَجَدُولٍ^(١)
(يسفنيح : يبكي ويشتمكي لياخذ حقه . وغرباً : الدمع حين يخرج
أوسيله) .

وغنت سلامة - جارية يزيد بن عبد الملك - للأحوص قوله :

عَاوَدَ الْقَلْبُ مِنْ سَلَامَةٍ نَصَبٌ فَلَعْنِي مِنْ جَوَى الْحُبِّ غَرْبٍ^(٢)
٥ - والغرب : البعد .

قال عبيد الله بن قيس الرقيات يتغزل في كثيرة :

قَدَوْتُ بِهَا غَرْبُ الذَّوَى فَعَسَى تَكُونُ لَنَا مَرِيرَةٌ^(٣)
(مريرة : رجمة) .

وأشد الحريري في مقاماته ، فقال :

سَلِّ الزَّيْمَانُ عَلَى عَضْبَةٍ لِيُرْوَعَنِي وَأَحَدٌ غَرْبُهُ (الحد)
وَاسْتَلِّ مِنْ جَفْنِي كَرًّا هُ مَرَاغِمًا ، وَأَسَالُ غَرْبُهُ (مجرى الدمع)
وَأَجَالَنِي فِي الْأَفْقِ أَطْوَرُ ي كُلُّ يَوْمٍ لِي وَغَرْبُهُ (فعلة من الغروب)
فَبِكُلِّ جَوٍّ طَلَعَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ لِي وَغَرْبُهُ (الغروب)
وَكَذَا الْمَغْرَبُ شَخْصُهُ مُتَقَرَّبٌ وَنَوَاهُ غَرْبُهُ (به - - - - -)

٦ - والغرب : صب الماء في الخوض فيسيل .

قال أبو مسحل الأعرابي : قد أغرب الرجل : إذا كان غريباً ،
أو إذا تسكلم بالغريب ، أو إذا صب الماء في الخوض فسال في أصله ، وهو

(٢) الألفاظ ٣١/٨

(١) ديوانه ٩٤

(٣) ديوانه ٤١

الغرب ، واستنشىء الغرب من هذا^(١) .

قال ذو الرمة : (في مسيل الماء من الخوض) :

وَأَدْرَكَ الْمُتَبَقَّى مِنْ ثَمِيلَتِهِ وَمِنْ ثَمَائِلِهَا وَاسْتَنْشَىءَ الْغَرْبُ^(٢)

(أدرك : هلك ، أى ذهب ما فى بطنها من العلف بسبب الحر .
واستنشىء : شم) .

٧ - والغرب : (بفتح الراء) : الخمر .

حكاه صاحب اللسان ، وأنشد قول الشاعر :

دَعَيْتِ أَصْطَبِيحَ غَرْبًا فَأَغْرَبَ مَعَ الْفَتَيَانِ إِذْ صَبَحُوا ثُمُودًا^(٣)

٨ - والغرب : الذهب أو الفضة ، أو جام الفضة .

قال الأعشى :

إِذَا انْكَبَّ الْأَزْهُرُ بَيْنَ السَّقَاةِ تَرَامَوْا بِهِ غَرْبًا أَوْ نُضَارًا^(٤)

(الازهر : الإبريق الأبيض) .

وقال الأعشى أو لبيد ، كما قال ابن برى : فى جام فضة :

فَدَعْدَعَا سُرَّةَ الرَّكَّاءِ كَمَا دَعْدَعَ سَاقِ الْأَعَاجِمِ الْغَرْبًا^(٥)

٩ - والغرب : ضرب من الشجر : قاله الجوهري ، ونقله الأزهري ،

وأنشد :

* عُوذُكَ عُوْدُ النُّضَارِ لَا الْغَرْبَا^(٦) *

(١) ديوانه ١١ ، نوادر أبي مجمل ٤٤٣ (٢) اللسان ١٣٥/٢ (غرب) .

(٣) السابق .

(٤) السابق .

(٥) اللسان (غرب) ١٣٧/٢

(٦) تاج العروص ١/٨

١٠ - والغروب : الدلو العظيمة .

قال الأعشى :

مِنْ دِيَارٍ بِالْهَضْبِ هَضْبِ الْقَلْبِ قَاضَ مَا الشُّونِ فَيُضَ الْغُرُوبِ^(١)
١٤ - والغروب . هي الوهاد المنخفضة .

وقد جمع الخليل بن أحمد المعاني الثلاثة للغروب في قوله^(٢) :

يَا وَبَحَّ قَلْبِي مِنْ دَوَائِي الْهَوَى إِذْ رَحَلَ الْجِرَانُ عِنْدَ الْغُرُوبِ
(غروب الشمس)
أَنْبَعَثَهُمْ طَرَفِي وَقَدْ أَرْمَعُوا وَدَمَعُ عَيْنِي كَفَيْضِ الْغُرُوبِ :
(الدلو)
بَانُوا وَفِيهِمْ طِفْلَةٌ حُرَّةٌ تَقْتَرُ عَنْ مِثْلِ أَقْلَحِي الْغُرُوبِ :
(الوهاد المنخفضة)

• • •

• مساجلات الأدباء في معنى (غرب) :

• ساجل الأدباء بعضهم تغننا في معاني (غرب) .

فقد كتب داوود بن عبيد هذه الأبيات إلى علي بن تاج الدين القلي السكي ، وطلب منه أن ينسج على منوالها^(٣) .

وهذه أبيات داوود بن عبيد :

لَقَدْ ضَاءَ وَجْهُ السَّكُونِ وَأَنْسَلَ غَرْبُهُ
فَلَمْ يَذَرِ أَيًّا شَرْفُهُ ثُمَّ غَرَبَهُ

(١) ديوانه ٣٣٣

(٢) مراقب النورين والنحوين ٣٥ ، والزهري ٣٧٦/١ ، وتاج المروس ٤٠٦/١

(٣) تاج المروس ٤٠٦/١

وَسَائِلُ وَضَلْ مِنْهُ لَمَّا رَأَى جَعَا بِمَا قَدْ جَرَى مِنْ بَعْدِهِ سَالَ غَرْبُهُ
يَمُرُّ عَلَيْهِ الْخُفْتُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلَكِنْ بِحَجَبِ السُّقْمِ يَمْنَعُ غَرْبُهُ
تَدْلِي إِلَيْهِ عِنْدَمَا لَاحَ وَقْدُهُ بِشَفْرِ شَيْبٍ قَدْ رَوَى الْخَلَّ غَرْبُهُ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلَى بِنِ تَاجِ الدِّينِ لِلْقَلْبِ ، (فِي نَفْسٍ طَوِيلٍ) :

أَمِنْ رَمِيمٍ دَارٍ كَادَ يُشْجِيكَ غَرْبُهُ
نَزَحَتْ رَكِيئُ الدَّمْعِ إِذْ سَالَ غَرْبُهُ :

عَرَقَ الْجَبِينِ
عَقَا آيَهُ نَشَرَ الْجُنُوبِ مَعَ الْعَصَا وَكَلَّ هَزِيمَ الْوُدْقِ قَدْ سَالَ غَرْبُهُ :
بِهِ النَّوَى عَنِّي سَطَرُهُ فَكَأَنَّهُ هَلَالٌ خِلَالِ الدَّارِ يَجْلُو غَرْبُهُ :

مَحَلَّ الْغُرُوبِ
وَقَفْتُ بِهَا صَحْبِي أَسَائِلُ رَسْمَهَا عَلَى مِثْلِهَا الْجَفْنُ يُذْرِفُ غَرْبُهُ :
الدَّمْعِ

عَلَى طَلَلٍ يَحْسِكِي وَقُوفًا بِرُسْمِهِ لِحَاجَةِ مِبْطَالٍ وَهَادِرٍ غَرْبُهُ :
الْتِمَادِي

أَقُولُ وَقَدْ أَرَسَى الْعَنَا بِعِرَاصِهِ وَأَتَرَفَ أَهْلِيهِ الْبَعَادُ وَغَرْبُهُ :
النُّومِ
سَقَى رِبْعَكَ الْمَمُودَ رِيْعَانُ عَارِضُ يَسْحُ عَلَى سُحْمِ الْأَثَاثِي غَرْبُهُ :

الرَّوَايَةِ
وَلَيْلِ كَيَوْمِ الْبَيْنِ مُلْقٍ رَوَاقَهُ حَلَّى وَقَدْ حَلَّ السُّكُوكِ غَرْبُهُ :
أَوَّلُ الشَّيْءِ

أَرَايَ بِهِ زُهَرَ النُّجُومِ سَوَاجِحًا يَمْحَرِّمِينَ الظَّلَامَ قَدْ جَاشَ غَرْبُهُ :
أَهْلُ الْمَاءِ

مُرَاقِبُ طَرَفِي السَّاجِدَاتِ كَأَنَّمَا لَطُولِ دَوَامِ نَيْطٍ بِالشَّهْبِ غَرْبُهُ :

مقدم العين

كَأَنَّ جَنَاحِي نَسْرِهِ حَصَّ مِنْهُمَا قَوَادِمُ حَتَّى مَا يَزِيلُ غَرْبُهُ :

القنحى

ذَكَرْتُ بِهِ مُتَقِيَا الْحَبِيبِ وَبَيْنَنَا أَهَاضِبُ أَعْلَامِ الْحِجَازِ وَغَرْبُهُ :

شجر

فَهَاجَ لِي التَّذْكَارُ نَارَ صَبَابَةٍ لَهَا الْجَفْنُ أَضْحَى سَائِلَ الدَّمْعِ غَرْبُهُ :

الميل

إِلَى أَنْ نَضَاكَفُ الصَّبَاحِ سِلَاحَهُ وَأَعْمَدَ مِنْ سَيْفِ الْمَجَرَّةِ غَرْبُهُ :

الحد

وَوَلَتْ نَجْمُومُ اللَّيْلِ صَرَغِي كَأَنَّمَا أُرِيقَ عَلَيْهَا مِنْ قَمِ السَّكْسِ غَرْبُهُ :

فيض

وَأَقْبَلَ جَيْشُ الصُّبْحِ يَغِيدُ سَيْفَهُ يَنْحَرِ الدُّجَى وَاللَّيْلُ يَرْكُضُ غَرْبُهُ :

فوس يحوى

وَزَمَزَمُ فَوْقَ الْإِيكِ قُمْرِيٌّ بَانَةٌ يَرَوْضِ كِفَاءَ حَنِّ نَدَى السُّحْبِ غَرْبُهُ :

يوم للستى

فَهَبَّ يَرِيدُ الرِّاحَ بَدْرٌ يَزِيغُهُ إِذَا قَامَ يَجْلُوهُ عَلَى الشَّرْبِ غَرْبُهُ :

النشاط

مِنْ الرِّيمِ خَوَطِي الْقَوَامِ يَنْفَرُهُ وَسَلَسَالِ رَاحٍ يُبْرِئُ السَّقَمِ غَرْبُهُ :

سيلان للريق

يَخْدُ أَسِيلٍ يَجْرَحُ اللَّبَّ خَدَّهُ وَطَرَفٍ كَحِيلٍ يَفْتُكُ الْحَجَرَ غَرْبُهُ :

مؤخر العين

بُرَيْكُ شَبِيهِ الدَّرِّ مِنْهُ مُنْضَدٌّ كَمَنْطِقِ دَاوُدَ إِذَا سَالَ غَرْبُهُ :

اللسان

فَتَى قَدْ كَسَاهُ الْفَضْلُ ثَوْبَ مَهَابَةٍ لَهَا خَصْمُهُ قَدْ نَسَّ^(١) بِالْقَمِّ غَرْبُهُ:

الريق

إِلَيْكَ أَتَتْ تُفْلَى الْغَلَا بَدْوِيَّةً وَلَمْ يَنْفِقْهَا طُولُ الْمَسِيرِ وَغَرْبُهُ:

الجمد

أَرَأَيْتَ مِنَ الْعَصَبِيَاءِ فَأَعْجَبَ نَسِيبَهَا وَأَعَذَّبَ مِنْ نَفَرٍ حَوَى الشَّهْدَ غَرْبُهُ:

منقطع الريق

إِذَا مَا جَرَتْ فِي حَلْبَةِ الشُّعْرِ كَمْ يَكُ السَّكْمِيْتُ يُدَارِنُهَا وَإِنْ زَادَ غَرْبُهُ:

الجرى والنشاط

وَإِنْ عَرَضَتْ يَوْمًا لِعِيْلَانٍ لَمْ يَكُنْ بِأَحْلَالَ مَيِّ يُغْرِقُ الْجَفْنَ غَرْبُهُ:

انهلال الدمع

فَدُونُوكُمْ لَا زِلْتَ تَسْمُو إِلَى الْعُلَا مَدَى الدَّهْرِ مَا صَبَّ سَقَى الدَّارَ غَرْبُهُ

فيضة من دمع

• • •

• ولفظ « كذب » من المشترك :

حظي لفظ (كذب) بمعناتى اللغويين فى كتبهم بحثاً وتوجيهاً :

فقد ذكره أبو زيد فى نوادره ، وابن خالويه فى شرح الدريدية ، والأصمعى فى رواياته ، والأزهري فى تهذيبه ، وابن سيده فى مخصصه ، وابن الشجرى فى أماليه وغيرهم .

يقال : كذب يكذب كذباً ، يفتح الكاف وكسرهما ، وسكون الذال وكسرهما ، وكذباً ، أيضاً .

وهناك كذب فى مقابل صدق ، ومنها كاذب وصادق . . .

وهناك أيضاً كذب بمعنى وجب ، أو بمعنى الإغراء ، تكلم بهما العرب كثيراً فى الشعر والنثر ، وهما مثلان غريبان للإغراء . والزخشرى اعتبره مجازاً ، ولا أدرى وجهه .

وهل ينصب ما بعد كذب - بمعنى الإغراء ، أو الوجوب - أو يرفع ؟
خلاف بين العلماء . فيرى ابن سيده : أن مضر تنصب بهذا الفعل ما بعده ،
وأن البن ترفع به . فالرفع على معنى وجب ، والنصب على الإغراء^(١) .

ولكن أبا مسجل في نوادره عن أبي عبيدة : عكس حكاية الرفع
والنصب : إذ سمع أبو عبيدة العرب يرفعون ما بعد كذب في معنى الإغراء ،
ما عدا أعرابها من غنى ، وكان فصيحاً ، دخل هذا الأعرابي منزل
أبي عبيدة فرأى شويهة مضرورة ، فقال : ما بال هذه على ما أرى ؟

قلت : إما لنملقها .

قال : كذب عليك البذر والنوى (بالنصب) .

فأتيت به يونس بن حبيب الضبي البصري ، فسكتها عنه ، وكتب
عنه علماً كثيراً ، وقال هذا هو القياس^(٢) .

فمن معانيه :

١ - كذب : عكس صدق .

قال تعالى : ﴿ وَأَنَا ظَنَمْنَا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾^(٣)

وعن عهد الله بن مسعود رضى الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ :

« عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ... وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى

الْفُجُورِ »^(٤) .

٢ - وكذب (وجب) وبمعنى الإغراء .

قال عتبة : (يوصى امرأته بأكل الر العتيق وشرب الماء البارد ،

وترك اللبن العتيق لغرسه) :

(١) راجع نوادر أبي مسجل ١٠٩ - ١١٤ ، ونوادر أبي زيد ١٧ ، ١٨ ،
و (كذب) في اللسان ١٩٨/٢ - ٢٠٦ ، والمخصص لابن سيده ٨٤/٣ - ٨٦ ، والأساس

٢٨٩ ، والزهري ٣٨٢/١ - ٣٨٤ ، والقاموس .

(٢) نوادر أبي مسجل ١٠٩ (٣) الجن : ٩

(٤) مختصر صحيح مسلم ١٦١/٢

كَذَّبَ الْعَتِيقَ وَمَا شَنَّ بَارِدٍ إِنْ كُنْتَ سَأَلْتَنِي غُبُوقًا قَاذِمِي (١)
وقال المعتر بن حمار الهادي :

وَذُبِيًّا نَيْمَةً أَوْصَتْ بَيْنَهَا بِأَنْ كَذَّبَ الْقَرَاطِفُ وَالْفَرُوفُ (٢)
(القراطف : جمع قرطف ، وهي القطيفة في لغة أهل الحجاز . والفروف :

عهاب من آدم تتخذها الأعراب : أي عليكم بها) :

وقال القطامي التغلبي : (في الإغراء) :

كَذَّبْتُ عَلَيْكَ لَا تَزَالُ تَقُوفُنِي كَمَا قَافَ آثَارَ الْوَسِيقَةِ قَانِبُ
(تقوفني : تقتص أثرى . والوسيقة : جماعة الإبل المطرودة) .

وقال خدّاش بن زهير العامري ، (جاهلي) :

كَذَّبْتُ عَلَيْكُمْ أَوْ عُدُونِي وَعَلَّلُوا بِي الْأَرْضَ وَالْأَقْوَامَ قَرْدَانِ مُوْطِئًا
قال أبو زيد : (معنى كذبت عليكم : أي عليكم بي) (٣) .

وفي حديث عمر رضي الله عنه : « أن عمرو بن معد يكرب شكى إليه
المعس ، فقال : كذب عليك المعس » (٤) .

(المعس بفتح العين : التواء في عصب الرجل . والعسل : السلان :
مشى الذئب ، أي عليك بسرعة المشي) .

وعن عمر رضي الله عنه : « ثَلَاثَةُ أَشْفَارَ كَذَبِنَ عَلَيْكُمْ : كَذَبَ عَلَيْكُمْ
الْحَجُّ ، كَذَبَ عَلَيْكُمْ الْجِهَادُ ، كَذَبَ عَلَيْكُمْ الْعُمْرَةُ » .

وجاء ما بعد كذب بالرفع كما سمعها أبو عبيدة (٥) . وبالنصب ،
كما روى غيره) .

(١) ديوانه ٢٠ ، وأمال الشجرى ١/٢٦٠ ، ونوادر أبي مسهل ١١٣

(٢) نوادر أبي مسهل ١١٠ ، والبيان والبيان ٣/٣١٧ ، واللسان : (كذب) ، والزهر ١/٣٨٤

(٣) السابق ١/٣٨٢ ، والنوادر لأبي زيد ١٢ ، ١٨ (٤) الزهر ١/٣٨٣

(٥) نوادر أبي مسهل ١١٠ ، والإصلاح ٣٢٤ ، واللسان : (كذب) .

وجاء في القاموس : كذب : قد يكون بمعنى وجب ، ومنه : « كذب عليكم الحجج ، كذب عليكم العمرة ، كذب عليكم الجهاد ، ثلاثة أسفار كذبن عليكم » .

وجوز الفيروز آبادي وجهاً آخر ، يقول :

أو يكون من كذبه نفسه إذا منته الأمانى وخيت إليه من الآمال
ما لا يكاد يكون : أى ليس كذبك الحجج ، أى لينشطك ويبعثك على فعله ^(١) .
أى حجوا . . .

ويقول أيضاً : ومن نصب الحجج ، جعل (عليك) اسم فعل ، وفى كذب ضمير الحجج . أو المعنى : كذب عليك الحجج أن ذكر أنه غير كاف هاذم لما قبله من الذنوب ^(٢) .

وقال ابن السكيت : كأن كذبن ها هنا لغراء ، أى عليكم بهذه الأشياء الثلاثة ^(٣) .

• • •

• ولفظ (وجد) من المشترك .

ذكرنا فيما سلف شيئاً من تصريح لفظ « وجد » ، وأوجه اشتقاقه ، وما قاله اللغويين ، والنحاة ، فيه .

ونعرض هنا بعض استعمالاته ومعانيه ، مستقاة من الفصحاء ، وأرباب اللغة :

١ - فوجد : بمعنى المحبة ، والشوق ، والهيام ، والحنين .

قال همر بن أبى ربيعة ، والذي يقول فيه الأصمعي : هو حجة في العربية :

قَالَ لِي صَاحِبِي لَيْعَلَمْ مَا بِي أَتُحِبُّ الْقُتُولَ أُخْتِ الرَّبَابِ ؟
قُلْتُ : وَجَدِي بِهَا كَوَجْدِكَ بِالْعَذِّ

ب ، إِذَا مَا مُنِفْتَ طَعَمَ الشَّرَابِ (١)

ويقول أيضاً :

تَقُولُ وَتُظَاهِرُ وَجْداً بِنَا وَوَجْدِي وَإِنْ أَظْهَرْتَ أَوْجَدَ (٢)

وشاعر الحماسية (٤٧٩) ، أشد وجداً وهيأماً من ابن أبي ربيعة ،

يقول :

هَلِ الْوَجْدُ إِلَّا أَنْ قَلْبِي لَوْ دَنَا مِنْ الْجَمْرِ قَيْدَ الرُّمَحِ لَاحْتَرَقَ الْجَمْرُ
أَفِي الْحَقِّ أَنِّي مُفْرَمٌ بِكَ هَارِئٌ وَأَنْتَ لَا خَلَّ هَوَاكِ وَلَا خَرَّ
فَإِنْ كُنْتُ مَطْبُوباً فَلَا زِلْتُ هَكَذَا

وَلَمَّا كُنْتُ مَسْجُوراً فَلَا بَرَأَ السَّخَرُ (٣)

وجميل بثينة يقول :

إِذَا قُلْتُ : مَا بِي يَا بُثَيْنَةَ قَاتِلِي مِنْ الْوَجْدِ ، قَالَتْ : ثَابِتٌ وَبَرِيدٌ (٤)

وابن الدمينية يكاد يحن من وجده ، يقول :

مُسْتَشْرِفاً مَا بِهِ قَدْ كَادَ يَخْبِلُهُ وَجْدٌ بِهَا مُسْتَهَامَ الْقَلْبِ مُحْتَمِلِجاً (٥)

وابن رهيمة مولى خالد بن أسيد ، عشق زينب بنت عكرمة ، ثم حججوها

عنه فقال :

وَجِدَ الْفُؤَادُ بَرَّيْنًا وَجْداً شَدِيداً مُتَعَباً (٦)

(٢) السابق ٧٦

(١) ديوانه ٥٢ ، والخصائص ١١٠/١

(٤) ديوانه ٦٢

(٣) شرح الحماسة للمرزوقي ١٢٦٧/٣

(٦) الفاخر المفضل بن سلمة ١٦٤

(٥) ديوانه ١٢٢

وبقرن طرفة بن العبد بين وجده وهيامه ، وبين عشق مرقش ، ويقارن ،
فيقول :

فَوَجَدِي بِسَلْمَى مِثْلُ وَجْدِ مُرْقَشٍ يَا مَتَاءَ ، إِذْ لَا تَسْتَقْبِيُو عَوَازِلَهُ
فَضَى نَحْبَهُ وَجَدًا عَلَيْهَا مُرْقَشٌ وَهَلَّتْ مِنْ سَلْمَى خَبَالًا أَمَا طَلَهُ (١)
٢ - والوجد : الحزن ، واللوعة ، والأسى .

تقول الخنساء :

فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوِّ تَطِيفُ بِهِ لَهَا حَيْنَتَانِ : إِضْمَارٌ وَإِكْبَارٌ
يَوْمًا يَا وَجَدَ مِنِّي يَزِمَ فَأَرْقِي صَخْرٌ ، وَلِلدَّهْرِ إِحْلَاءٌ وَإِمْرَارٌ (٢)
وقتل رباح بن عثمان بن حيان المولى فى فتنه ، فرائه ابن ميادة بقوله :
وَوَجَدًا مَا وَجِدْتُ عَلَى رَبَّاحٍ وَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا غَيْرَ وَجْدِي (٣)
وهو من أبى ربيعة تجمد عينه من الحزن ، لفراق أحبته :
يَا صَاحِرْ هَلْ تَذَرِي وَقَدْ جُدْتُ هَمِّي بِمَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ (٤)
وأنشد المجرى :

فَوَاكِدِي مِمَّا وَجَدْتُ مِنَ الْأَسَى لَدَى رَمِيمِهِ بَيْنَ الْقَطِيلِ الْمَشْدَبِ (٥)
(والقطيل : النخل المقطوع من أصله) .

ومالك بن عمرو العاملى أخذ بنأر أخيه سمك ، ثم قال :
فَلْيَجِدُوا مِثْلَ مَا وَجِدْتُ فَقَدْ كُنْتُ حَزِينًا فَقَدْ مَسَّنِي وَجَعٌ
لَا وَجْدَ نَسَكَلْنِي كَمَا وَجِدْتُ وَلَا وَجْدَ عَجُولٍ أَضَلَّهَا رُبْعٌ (٦)
(ربيع : ما نتج فى الربيع) .

(٢) ديوانها ٤٨

(١) ديوانه ١٨٧

(٤) ديوانه ٧٠ ، والأغاني ١٥٨/١

(٣) الكامل للبرد ٤٥/١

(٦) الفاخر ٤٦

(٥) التاج ٥٢٤/٢

ويشكو جميل حزنه إذ فارقت محبوبته :

أَلَمْ تَغْلِبِي وَجْدِي إِذَا شَطَّتِ النَّوَى

وَكُنْتُ إِذَا تَدْنُو بِكَ الدَّارُ أَمْرَحُ^(١)

ويقول جميل أيضاً :

سَلُّوا الرَّاجِدِينَ الْخَبْرِينَ عَنِ الْهَوَى

وَذُو الْهَيْثُ أَخْيَانًا يَبُوحُ فَيَصْرُخُ^(٢)

(والهَيْثُ : أشد الحزن) .

٣ - ووجد : غضب .

أغضب أبو مسلم الخولاني معاوية بن أبي سفيان ، فقال معاوية :

« أيها الناس : إن أبا مسلم الخولاني قد قال ما قال ؛ فوجدته قذالك . ولما

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا غضب أحدكم

فليغتسل »^(٣)

ويقول صخر الغي :

كَلَانًا رَدَّ صَاحِبَهُ بَيْتَاسٍ

وَتَأْنِيْبٍ وَوَجْدَانِي شَدِيدِ^(٤)

وقال هلال بن الأسعر من تميم ، (أموى) :

وَلَمَّا نَى وَلَمَّا أَوْجَدْتُ مَوْنِي كَلَا فِظْ

لَكُمْ حِفْظَ رَاضٍ عَنْكُمْ غَيْرَ مُوجِدِ^(٥)

وفي الحديث الشريف : « ... فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه

وسلم - حتى ظننا أن قد وجد عليهما - على أسيد بن الحضير ، وعهاد بن

(٢) السابق .

(٤) التاج ٥٢٤/٢ ، واللسان (وجد) .

(١) ديوانه ٤٧

(٣) أدب الكتاب للمولى ٣٣٤

(٥) الاغانى ٧٣/٣

بشر - فخرجا . . فأرسل - الرسول - في آثارها ، فسقاها ، فلعنا أنه لم يجد عليهما ^(١) .

وعن أنس رضى الله عنه : « بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية ، يقال لهم القراء ، فأصيبوا ، فأرأيت النبي وجد على شيء ما وجد عليهم » ^(٢) .

٤ - ووجد : بمعنى علم .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ ^(٣) .

وقال عز من قائل : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ ^(٤) .

وقال الزخشرى : وجدت زيدا ذا الحفاظ : علمه ، وأنشد :

إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَبِيكَ يَعْتَمِلُ إِنْ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَكَلَّمُ ^(٥)

٥ - ووجد : بمعنى أصاب .

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَهْلُكُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ ، يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ اقْوْفَاهُ حِسَابَهُ ﴾ ^(٦) . وقال تعالى : ﴿ أَوْ لَا مَسْئَمُ النَّسَاءِ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً ، فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ ^(٧) . وقال سبحانه : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ^(٨) .

(٢) صحيح البخارى ١٠٤/٨

(٤) الأعراف : ١٥٧

(٦) النور : ٣٩

(٨) التوبة : ٩١

(١) مختصر صحيح مسلم ٥٤/١

(٣) النساء : ٦٤

(٥) الأساس ٤٩٢

(٧) النساء : ٤٣

وقال أبو ذؤيب الهذلي (بمعنى مصيب) :
 بَدَلْتُ لَهُنَّ الْفُؤَالَ إِنَّكَ وَاجِدٌ لِمَا سِثْتُ مِنْ حُلُوِّ السَّكَّامِ مَلِيحٌ^(١)
 ٦ - ووجد : استغنى من وجدان المال وغيره : هو غنى واجد^(٢) .
 وقال زهير بن أبي سلمى :

وقدُ أَعْدُوا عَلَى ثُبَّةٍ كِرَامٍ نَشَاوَى ، وَاجِدِينَ لِمَا نَشَاهُ^(٣)
 وقال أعشى همدان (إسلامي) :
 وَرُبَّ خَالٍ لَكَ فِي قَوْمِهِ حَمَّالٌ أَتَقَالِ لَهَا وَاجِدٌ^(٤)
 وفي الحديث : « الْوَاجِدُ يُحِلُّ عُقُوبَتَهُ وَعِرْضَهُ » وفي رواية :
 « لِي الْوَاجِدُ يُحِلُّ عُرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ » .
 (لي : معطل . والواجد : القادر على الأداء)^(٥) .

• أسماء الطير في الفرس :

تذكر كتب الأدب واللغة أن في (الفرس) من أسماء الطير
 عدة أسماء .

ومن هذه الأسماء :

الهامة : للعظم الذي في أعلى رأسه . والفرخ : للدماغ . والنعامه :
 للجلدة التي تغطي الدماغ . والعصفور : للعظم الذي تنبت عليه الناحية .
 والذبابه : للنكتة الصغيرة في إنسان العين .
 (أو : ما حد من طرف أذن الفرس) .

(١) شرح أشعار الهذليين للسكري ١٥٢/١

(٢) الأساس : (وجد) . (٣) ديوانه ٣٠٩

(٤) الأغاني ٤٩/٦ (٥) النهاية : (وجد) .

والصردان : هرقان تحت لسانه . والسامة : للدائرة التي في صفحة العنق .

والقطاة : مقعد الردف خلف الفارس . والغرابان : رأسا الوركين فوق الذنب . والحامة : الفص .

والنسر : كالنوى والخصى الصفار يكون في الخافر وبطن الخافر .
والصقران : الدائرتان في مؤخر اللبلد دون الحجبتيين .

واليعسوب : الفرة على قصبة الأنف . والناهض : اللحم الذي يلي المضدين من أعلاهما المجتمع . والحرب : الهزمة التي بين الحجة والقصر في الورك . والفراش : الرقاق العظام في أعلى الخياشيم .

والسحاة (الخفاش) : كل مارق وهش من العظام التي تكون في الخياشيم وفي رؤوس الكتفين (وفي الأمالى : هي الخفاش أحد السحاهتين ، وهما عظمتان صغيرتان في أصل اللسان) .

والزرق : وهو الشعرات البيض في اليد أو الرجل . والتخل : وهو لحم الفخذين^(١) .

وذكر السيوطي قصيدة لجرير ، (لما في الفرس من أسماء الطير) .
وجاءت أيضاً في شرح الكامل لأبي إسحاق البطلاني ، من الأصمعي قال :

كنت ممن شهد الرشيد حين ركب سنة خمس وثمانين ومائة ، إلى حضور الميدان ومشهود الحلبة ، فقال : يا أصمعي ، قد قيل إن في الفرس عشرين اسماً من أسماء الطير . قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، وأشدك شعراً

(١) أمالي الغالي ٤٩/١ ، والمزهر ٣٧٧/١ ، والعقد الفريد ١٩٥٠ ، ونهاية الأرب ٢٤/١ ، وآداب اللغة للرافعي ١٩٤/١ .

جامعاً لها من قول جرير^(١) :

وَأَقْبَ كَالْمَرْحَانِ تَمَّ لَهُ مَا بَيْنَ هَامَتِهِ إِلَى النَّسْرِ
رَحِبَتْ نَمَامَتُهُ وَوَفَّرَ لِحْمُهُ وَتَمَكَّنَ لِلصَّرْدَانِ فِي النَّحْرِ
وَأَنَافَ بِالْعُصْفُورِ مِنْ سَعْفٍ لَهُ هَامَ أَشْمٌ مَوْثِقُ الْجَذْرِ
وَأَزْدَانِ بِالذَّبْيَكَيْنِ صَلَافُهُ وَنَبَتْ دَجَاجَتُهُ عَنِ الصَّدْرِ
وَالنَّاهِضَانِ أَمْرَ جَارُهَا وَكَأَنَّمَا عَنَّا عَلَى كَمَرٍ
مُسْحَفُورِ الْجَنْبَيْنِ مُلَمَّقٍ مَا بَيْنَ شِمَمَتِهِ إِلَى الْغُرِّ
وَصَفَتْ سَمَانَاهُ وَحَافِرُهُ وَأَدْرِمُهُ وَمَنَابِتُ الشَّعْرِ
وَسَمَا لِلْفَرَابِ لِمَوْعِيَتِهِ مَعَا فَأَبِينَ يَبْنِيهِمَا عَلَى قَدَرٍ
وَاسْتَنَ دُونَ قَبِيحِهِ خُطَافُهُ وَنَأَتْ سَمَاحَتُهُ عَنِ الصَّغْرِ
وَتَقَدَّمَتْ عَنْهُ الْقَطَاةُ لَهُ فَتَأَتْ بِمَوْعِيَتِهَا عَنِ الْحُرِّ
وَسَمَا عَلَى تَقْوِيهِ دُونَ حَدَانِهِ خَرَبَانِ يَبْنِيهِمَا مَدَى الشُّبْرِ
يَدْعُ الرِّضِيمَ إِذَا جَرَى فَلَقَا بِتَوَاسِمِهِ ، كَمَوَاسِمِ بُسْرِ
رُكْبَنٍ فِي نَحْضِ الشَّوْرِ سَبَطَ كَفَتْ الْوُثُوبُ مُشَدَّدَ الْأَمْرِ

(الصردان : طائر في الليل هو الصدى . وسعف : سائل منتشر .
والصلصل : انغاختة أو ما يشبهها ، وأمر جلزها : عصب الساق الشديد :
وعنما : قاربا الجبر بعد السكر . مسحفور : منتفخ ، شيمته : نحره . وسماناه :
الذائرة في سالفه)

ورأى السيوطي شرحاً لهذه الآيات لا يخرج عما جاء عند القالي :

وقال :

المصفور في القرس في ثلاثة مواضع : أصل منبت الناحية ، وعظم نائي في كل
جبين . والغرة التي دقت وطالت ، ولم تجاوز العينين ، ولم تستقر كالقرحة .
والديكان : العظان الناتان خلف الأذن ، وهما الخششاوان . والدجاجة :
اللحمة التي تغشى الزور ، ما بين ملتقى ثدي القرس . والناهض : لحم
المنكبين (وهو اسم لفرخ القطة) . والغرة : عضلة الساق (وهو من أسماء
الرخة) .

قال : والسماني : موضع في القرس لا أحفظه . وفي الصحاح : الخرب .
ذكر الحباري ، والجمع خربان ، وبه تمت العشرون بدون السماني .
وفي أمالي أبي القاسم الزجاجي ما نصه :

قال أبو عبد الله الكرمانى : لا يُعد من أسماء الطير في خلق القرس إلا
ما أذكره لك .

ثم ذكر : الصردان ، والذباب ، والديك ، والنعام ، والسحابة ،
واليعسوب ، والحامة ، والمصفور ، والصلصل ، والحدأة ، والخرب ،
والسمامة ، والخطاف ، والقطة ، والغراب ، والرخة ، والناهض ، والنسر ،
والساق ، والرجل ، والفراشة ، والأصقع ، والعقaban ، والجردان ،
والصقران ، والكرسوع ، والسعدانة ، والزرق ، والورشان ، والصلصلة . اهـ
(الصرد : طائر كبير الرأس يصطاد المصافير ، البصدي : من طيور
الليل . الخرب : ذكر الحباري ، الناهض : فرخ الطائر الذي وفر
جناحه)^(١)

• • •

شواهد المداخل والمشجروالمسلسل

• شواهد المداخل في اللغة :

وقال في باب (الجُحَال) ، بمعنى (السم) :

قال أبو عمر ، أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي ، قال : سألت أعرابياً فصيحاً - ما رأيت أفصح منه ، منذ ثلاثون سنة - عن الجُحَالِ ؟ فقال : النَشْبُ ، (بفتح القاف : سقى السم ، وبكسرها : السم) . قلت : فما النَشْبُ ؟ قال : الذُّعَافُ . قلت : وما الذُّعَافُ ؟ قال : الذُّثْنان . قلت : فما الذُّثْنان ؟ قال : الذُّيْفَان . قلت : فما الذُّيْفَان ؟ قال : الذُّيْفَان ؛ قال : الأُرُونُ . قلت : وما الأُرُونُ ؟ قال : أَلْجَوْزَل . قلت : فما أَلْجَوْزَلُ ؟ قال : الحِرْزِيمُ . قلت : فما الحِرْزِيمُ ؟ قال : السُّمُّ . (بضم السين) . قلت : فما السُّمُّ (بفتح السين) ؟ قال : ثقب الإبرة . قلت : فما الإبرة ؟ قال : الرُّوقُ (القرن) . قلت : فما الرُّوقُ ؟ قال : المِدرى . قلت : فما المِدرى ؟ قال : قرن الجانية (الظليّة) .

(قال ثعلب : أخبرنا ابن الأعرابي ، قال المفضل عن الأعراب كلهم : الجانية مثل الطاعة لا تهمز) .

قلت : فما الجانية ؟ قال : الخولة . قلت : فما الخولة ؟ قال : الظليّة . قلت : فما الظليّة ؟ قال : الجراب الصغير (وهي أيضاً واحدة الظباء) . قلت : فما الجراب ؟ قال : بَدَنُ البعير .

قلت : فما البدن ؟ قال : الدرع الحديد : (وقيل منه :) تُنَجِّيك

بِبدنك (١) .

قلت : وما البدن أيضاً ؟ قال : الرجل التماسك في جسمه .

قلت : وما البدن أيضاً ؟ قال : الشيخ المسن .

قلت : وما البدن أيضاً ؟ قال : الثيتل .

قلت : وما الثيتل ؟ قال : الحيطان . قلت : وما الحيطان ؟ قال : البغبيغ .

قلت : وما البغبيغ ؟ قال : الملهب . قلت : وما الملهب ؟ قال تيس

الجليل . وأنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي ، (في وصف كلبة طلبت وغلاً
مُسَيَّاً في الجبل) :

قد قلتُ لمَّا بدتِ العُقَابُ وَضَمَّهَا وَالبَدَنُ الحَقَابُ

جُدِّي لِكُلِّ عَامِلٍ ثَوَابُ الرَّأْسُ والأَكْرَعُ والإِهَابُ

(العقاب هاهنا : اسم كلبة . والحقاب : طريق الجبل ، جمعه حقب و

مثل : كتاب وكتب) (١) .

ويقول في باب (القسورة) :

قال أبو عمر : وأخبرنا ثعلب ، عن ابن الأعرابي ، قال : القسورة :

ظلمة الليل ، (ويقال : الصياد ، ويقال : السجع) . ويقال : القسورة جمع

قسور : الراي من الصيادين) . والليل : فرخ السكروان ، والسكروان :

ضرب من الطير . والضرب : الرجل بين الرجلين لا طويل ولا قصير .

والقصير : الممفوع ، يقال : قصره قصرأ . أي منعه منعاً . والمنع : السرطان

(الحيوان القشري ، والمرض) .

والسرطان : داء يعرض في الساق ، والساق : النفس . والنفس : الدم .

والدم : الطلاء بالقطران . والطلاء : الخيط .

وَأَنشَدَنَا ثَعْلَبُ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ :
 مَا زَالَ مُذْ قُرُئَ عَنْهُ خُلْبُهُ لَهْ مِنْ الْقَوْمِ طِلَافٌ يَجْذِبُهُ ^(١)
 (الخلب : الحبل الصلب الرقيق . والقوم : الشديد من كل شيء) .
 ويلاحظ : أن الضرب أيضاً يأتي بمعنى الخفيف النحيف ، قال طرفة
 ابن العبد :

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ خَشَّاشٌ كَرَأْسِ الْحَيَةِ لِلتَّقَوُّدِ
 وَالْدَمِّ ؛ وَاحِدَةُ الدَّمَاءِ ، كَمَا يَقُولُ السَّمُوعُ :
 تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الطَّبَّاءَةِ نَفْسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الطَّبَّاءَةِ تَسِيلُ
 وَالطَّلَاءُ : الحبل الذي يشد به رجل الطلاء .

* * *

وَيَقُولُ فِي بَابِ (الْهَلْجِ) :

قَالَ أَبُو هُرَيْرٍ : أَخْبَرَنَا ثَعْلَبُ عَنْ ابْنِ نَجْدَةَ ، عَنْ أَبِي زَيْدٍ ، قَالَ :
 الْهَلْجُ : أَحْلَامُ نَائِمٍ . وَأَحْلَامُ نَائِمٍ : ثِيَابٌ غَلَاظٌ كَانَتْ تَعْمَلُ بِالْمَدِينَةِ ،
 وَاحِدُهَا ثَوْبٌ : وَالثَّوْبُ . الْقَلْبُ . وَالْقَلْبُ : الْعَقْلُ ، وَالْعَقْلُ . الرَّقْمُ . وَالرَّقْمُ :
 الرُّوزَةُ . وَالرُّوزَةُ : الْمَاءُ يَبْقَى فِي الْحَوْضِ .
 وَأَنشَدَنَا ثَعْلَبُ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ .

* وَرُّوزَةٌ سَقَيْتُ مِنْهَا نَفْسُوْنِي ... ^(٢) *

ويلاحظ : أن الثوب بمعنى القلب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ ^(٣)
 قيل : قلبك . ومنه قول هذرة :

* فَتَشَكَّكْتُ بِالرُّمَحِ الْأَسْمُ ثِيَابَهُ *

أى قلبه . والثوب أيضاً — النفس . والعقل : ضرب من الوشي .

* * *

(١) للداخل ٨٤ (٢) للداخل ٨٥ (٣) الفتوى ٤
 (٤٢ — المفرد الفتوى)

• وقال في باب (القطاج) :

أخبرنا ثعلب ، عن عمرو ، عن أبيه ، قال :

القطاج : قَلَسُ السفينة . والقلسُ : ما يخرجُ من حلقِ الصائم من الطعام والشراب . والشرابُ : الخمرُ . والخمرُ : الخيرُ . قال : والعرب تقول : ما عند فلان خلٌّ ولا خمر : أى لا شرٌّ ، ولا خيرٌ . والخيرُ : الخليلُ . والخليلُ : الظنُّ . والظنُّ : التَّسْمُ .

قال : وأخبرنا ثعلب عن سبعة عن الفراء ، قال : من العرب من يقول : أَظُنُّ إِنْ زِيدَ تَخَارَجَ ، بمعنى : وَاقَهُ إِنْ زِيدَ تَخَارَجَ .

قال : وأشدنا ثعلب عن سبعة عن الفراء :

أظنُّ لا تَمْقَضِي عَمَّا زَارَتْكُمْ حَتَّى تَكُونَ بِوَادِيَةِ الْبَسَاتِينِ^(١)

* * *

• نهوذج من (شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة) :

شجرة (٤) :

يهود وأن العين - كعلم في المشترك - شغلت اللغويين كثيراً كما شغلت الأدباء والشعراء . وقد أفردها (أبو الطيب) بشجرة ، جاء فيها :

(العين) : عينُ الوجه ، والوجهُ : للتَّصَدُّ . والتَّصَدُّ : الكَسْرُ . والكَسْرُ : جانبُ الخِيَاءِ ، والخِيَاءُ : مصدرُ خَابَأْتُ الرجل ، إذا خَبَأَتْ له خُبْنًا وخَبَأَ لَكَ مَنَّهُ . والخَبَاءُ : السَّحَابُ ، من قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٢) . والسَّحَابُ : اسمُ عمامة النبي ﷺ - والنبي : القَلْبُ الْعَالِي » .

إلى أن يصل إلى الفرع الأول ، فيقول :

(والعين) : عينُ الشمسِ ، والشمس : شمس الخليل ، والخليل : الوهمُ .
والوهمُ : الجملُ الكبيرُ . والجملُ : دابةٌ من دَوَابِّ البحر ، قال الشاعر :

* وَيَأْتِي إِلَى أَوْطَانِهِ الْجَمَلُ الْوَهْمُ *

إلى أن يصل إلى الفرع الثاني ، فيقول :

(والعين) : النقدُ . والنقدُ : ضربك أذن الرجل أو أنفه بإصبعك .
والأذنُ : الرجل القابل لما يسمع . والقابل : الذي يأخذ الدلو من الماتخ .
والدلو : السير الرفيق ، قال الراجز :

لَا تَقْلُوَاهَا وَادُّوَاهَا دَلُوءًا إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ أَخَاهُ غَدُوءًا ...

حتى يصل إلى الفرع الثالث ، فيقول :

(والعين) : مرضع انفجار الماء . والانفجار : انشقاقُ هود الصَّبْعِ
والصَّبْع : جمع أصبح ، وهو لون من ألوان الأسود واللون : الضرب من
الضروب . والضرب الرجل المهزول ، قال طرفة بن العبد :

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ خَشَّاشُ كَرَأْسِ الْحَيَةِ الْمُتَوَقِّدِ .

حتى يصل إلى الفرع الرابع ، فيقول :

(والعين) : عين اليزان . والميزان : برج في السماء والسماء : أعلى متن
الفرس . والمتن : الصلب من الأرض . والأرض : قوائم الدابة ، قال

خفاف بن ندبة السلمي :

إِذَا مَا انْحَجَمَتْ أَرْضُهُ مِنْ سَمَائِهِ جَرَى وَهُوَ مَوْذُوعٌ وَوَاحِدٌ مَصْدَقٍ ...

إلى أن يصل إلى الفرع الخامس ، فيقول :

(والعين) : مطر لا يتلع أياماً . ومطر : حى من أحياء العرب .
والأحياء : جمع حياء الناقة ، والحياء : الاستحياء . والاستحياء :

الاستيقاء . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾^(١) . وقال الحصين ابن الحمام (جاهل) :

تَبَاكُطَاتُ أَسْتَحْيِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ ...
وفي الفرع (٦) يقول :

(والمعين) : رئيس القوم . والرئيس : المصاب في رأسه بمصا أو غيرها .
والرأس : زعيم القبيلة ، أى سيدها . والزعيم : الصَّيِيرُ (أى الكفيل) ...
وفي الفرع (٧) يقول :

(والعين) : نفس الشيء . والنفس : ملء الكف من دباغ ...
وفي الفرع (٨) يقول :

(واللين) : الذهب . يقال : ذهب الرجل ذهباً إذا تحير وزال عقله .
والذهب : زوال العقل . والعقل : الشد ، (عقلت الناقة إذا شددت يدها) .
والشد : الإحكام ، والإحكام : الكف واللمع ، قال الأصمى : وقرأت
في بعض كتب الخطباء الأول : فَاخِمْ بَنِي فُلَانٍ ، أى امتهم وكفهم .
وأشد الجور :

أَبْنِي حُنُوفَةً أَخِمْكُوا سُهَاءَكُمْ لِمَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا ...
وهكذا ، حتى تنتهى الشجرة^(٢) .

* * *

(١) البقرة : ٤٩ ، الأعراف : ١٤٩ ، إبراهيم : ٦

(٢) شجر الدر ١٦٦ - ١٩١

• نموذج آخر من الشجر :

الشجرة (٥) :

الرُّوبَةُ : الحاجة ، يقال فلان ما يقوم بروبة أهله ، أى بحاجتهم ،
والحاجة . القوم الخفقون أى الفقراء . والخفق : الصائد الذى يرمى
فلا يصيب . والمصيب : القاصد ، من قوله تعالى : ﴿ رُخَاءَ حَيْثُ أَصَابَ ﴾^(١)
والقاصد : السكامر .

(قصده : إذا كسرتة).

والسكامر : العقاب . والعقاب : راية الجيش ، والجيش : جَيْشَانُ
النَّفْسِ . والنفس : العين التى تصيب الإنسان . والعين : وَهْمٌ ، يكون فى
السقاء فيرشح ، يقال : منه سقاء عين . قال الراجز :

* مَا بَالُ عَيْنِي كَالشَّعِيبِ الْمُهِنِ *

والوهى : الصدع فى الجبل ، والصدع : المجاهرة فى الحق ، من قوله
عز وجل : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾^(٢) . والمجاهرة : مبالغة الرجلين أيهما
أجهر صوتاً .

والأجهر من الرجال : الذى لا يبصر فى الشمس إلا بصرأ ضعيفاً .
والبصر : أن يكون الرجل حاذقاً بالشئ ، فيقال : له بصر فيه . والحادق :
القاطع . والقاطع : الطير الذى يقطع فى الصيف إلى البلدان الباردة ، أو فى
الشتاء إلى البلدان الحارة . والصيف : عدول السهم عن الرمية . والسهم :
النصيب . والنصيب : حجارة تنصب على شفير القبر أو الحوض ، والجميع :
النصب والنصاب .

قال الراجز :

لَمَّا وَدَلَوْنِي لَهَا وَصَاحِي وَحَوْضَهَا الْأَفْيَحِ ذَا النَّصَابِ
رَهْنُ لَهَا بِالرُّيِّ غَيْرُ السَّكَاذِبِ

والقبر : رمس الميت أى دفنه ، والرمس : هبوب الريح الشديدة .
والرامسات : الرياح الشداد ، والظفر : داء فى العين ، ظفرت عينه تظفر
ظفرا ، والعيون : خالص الشيء ، والخالص من كل شيء : شديد البياض .
والبياض : ضوء النهار ، والنهار : فرخ السكر ، أى الكروان ، والسكرى
النوم ، قال الراجز :

يَا مَنِ لَعَيْنٍ عَنْ كَرَاهَا قَدْ جَفَتْ مُنْهَلَةً تَسْتَنْ لَهَا مَرَقَتْ
دَارًا نَطُودٍ بِالْجَنَادِبِ قَدْ عَفَتْ

والنوم : دروس الثوب . والدروس : دياس الطعام . والدياس :
مراس الأمر : داوست الأمر : إذا مارسته . والمراس الحبال ، جمع مرس .
والحبال : عروق للعائق . والعائق : البكر من النساء . والبكر : الفسيل
من النخل . والنخل : مصدر نخلت الدقيق . والرقيق من الرجال : الضئيل .
والضئيل : ضرب من الثعابين ، قال النابغة الذبياني :

فَبِتْ كَأَنى سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمُ نَاقِعُ
والثعابين : مجارى المياه إلى شعوب الأودية . والشعوب : القبائل .
والقبائل : شئون الرأس . والشئون : الأحوال ... إلخ » .

وهكذا إلى أن يصل إلى الفرع الأول لهذه الشجرة ، فيقول :
والرؤبة : جناة شجرة تسمى الزُّعُرور ، والجناة : الرطبة الجنية .
والجنية : هى الجريمة التى يحنها الإنسان . والجريمة : الجارحة من الطير .

والجارحة : الإرب من الآراب ، أى العضو ، قال الشاعر :
 تُبَكِّي حَتَّى زَبَدٍ وَلَمْ تَرَ مِثْلَهُ سَلِيماً مِنَ الْحَمَى بَرَاءَ الْجَوَارِحِ
 ... إلى أن يأتى إلى الفرع الثانى ، فيقول :

والرؤبة : الجمام من الفحل ، يقال : هب لى رؤبة فحل . والفحل :
 الشاعر المفلق . والمفلق : العالم . والعالم : الشاق شقة الأعم ، وهو المشتوق
 الشقة العليا . والأعم : الجمل ، قال الشاعر :
 * تَمَكُّو فَرِيصَتَهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ *

والجل : سمكة فى البحر ، والسمكة : برج فى السماء . والبرج : الفرفة .
 والفرفة : القصر فى الجنة (١) ... إلخ ... حتى تنتهى الشجرة .
 * * *

• نموذج من السلسل فى غريب لغة العرب :
 جاء فى الباب الأول :

أنشد أبو عبيدة لصبيان الأعراب ، وتروى لامرئ القيس
 ابن حجر :

لَمِنْ زُحْلُوقَةٍ زُلُّ بِهَا الْعَيْنَانِ تَنْهَلُ
 يُنَادِي الْآخِرُ الْأُلُّ أَلَّا حُلُوا أَلَّا حُلُوا

ويروى : (أَلَّا حُلُوا أَلَّا حُلُوا) (ويروى زحلوقة بالقف والفاء والكف) .
 الألُّ : الأول . والأول : يوم الأحد . والأحد : هو الواحد . والوحد :
 الفرد . والفرد : الثور . والثور : الظهور . والظهور : الغلبة . والغلبة :
 جمع غالب . وغالب : أبو لؤى .

قال حسان بن ثابت

حَقِيقَةُ حَيٍّ مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبٍ كِرَامٍ لِلسَّاعِي ، يَجِدُهُمْ غَيْرُ زَانِلٍ
ولؤي : تصغير اللؤي . واللؤي : الثور ، والثور : فحل البقر . والبقر :
الفرقة . والفرق : تباعد ما بين الثنايا .

والثنايا : العقاب . والعقاب : الموالاة . والموالاة : المظاهرة .
واللظاهرة : لبس ثوب على ثوب . والثوب : الرجوع . والرجوع :
السكر . والسكر : جبل النخل . والنخل : الخيار . والخيار : الحكم .
والحكم : الحكمة ، قال الله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا ﴾ (١) .
والحكمة : العلم والعدل . والعدل : القيمة . والقيمة : الثمن .
والثمن : العوض . والعوض : البذل . والبذل : الخلف .
والخلف : الجبر . والجبر : لإصلاح الكسر . والكسر : جانب البيت .
والبيت : الزوج .

قال العجاج (في صفة دلو) :

مَالِي إِذَا أَنْزَعُهَا صَافَتْ أَكْبَرُ غَيْرِي أُمِّ يَتِ
والزوج . المنط . قال عنترة .

يَقْبَعْنَ قُلَّةَ رَأْسِهِ وَكَأَنَّهُ زَوْجٌ عَلَى حَرَجٍ لَهْنٌ مُجِمْ (٢)

• ويقول في الباب السابع •

قال رجل من طيء :

وَكَمَا انْتَقَى الصَّغَانِ وَاخْتَلَفَ الثَّقَنَانِ لَا وَأَسْبَابُ الْمَنَابَا نِهَالُهَا
للنهل : العطاش . والنهل أيضا : الرواء . والرواء : الحبل . والحبل :

السبب . والسبب : السلم ، قال تعالى : ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ (١) .
والسلم : الدرج . والدرج : الرِّيمُ . والرِّيمُ : السماء . والهاء : الربع . والربع :
الرجع . والرجع : المطر . والمطر : العهد . والعهد : العقد . والعقد : ضد
الحل . والحل : الحلول . والحلول : المقيمون بالمسكان .
قال طرفة :

بِمَا قَدْ أَرَى الْحَيَّ الْجَمِيعَ بِغَيْبَةٍ إِذَا الْحَيُّ حَيٌّ وَالْحُلُولُ حُلُولُ
وَالْمَسْكَنَ : الجاه . والجاه : الخفاوة عند السلطان . والسلطان : قدرة
الأمير . والأمير : من تؤامره في أمره . قال زهير :
قَالَ أَمِيرِي : مَا تَرَى رَأَى مَا تَرَى أَنْتَ تَلُهُ عَنْ نَفْسِهِ أَمْ نَصَاوُهُ
... إلى أن يقول (في الباب نفسه) :

والسوط : الخلط . والخلط : الشوب . والشوب : المزج . والمزج : قتل
للشراب : قال حسان بن ثابت :
إِنَّ التِّيَّ عَاطِيَتَهَا يَمِزَاجِهَا قُتِلَتْ ، قُتِلَتْ ، فَهَاتِهَا لَمْ تُغْمَلِ
والشراب : الحجر . والحجر : للراح . قال زهير :
كَأَنَّ رِيْقَتَهَا بَعْدَ الْكَرَى اغْتَبَقَتْ مِنْ طَيْبِ الرَّاحِ لَمَّا يَمْدُ أَنْ عَتَقَا
والراح : جمع راحة . قال أوس بن حجر (يصف سحابة قريبة من
الأرض) :

دَانٍ مُسِفٌ فَوَيْقَى الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَاذُ يَدْقَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ
... إلى أن يقول (في الباب نفسه) :

والريح : الغلبة والقوة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَتَقَسَّلُوا وَتَذَهَبَ
رِيحُكُمْ ﴾ (٢) .

ومنه عندى قول عمرو بن قنينة اليشكري :

بِمَيْشِكَ مَا قَوْمِي عَلَى مَا تَرَكْتَهُمْ سُلَيْمِي إِذَا هَبْتَ شَمَالَ وَرِيحَهَا^(١)

• وجاء من السلسل في : (الباب التاسع) :

أنشد أبو زيد لسعد بن زيد مناة :

أَجْدُ فِرَاقُ النَّاقِيَةِ غُدُوَّةٌ أَمِ الْبَيْنُ يَحُلُو لِي لِمَنْ هُوَ مُوَلَّعٌ
لَقَدْ كُنْتُ أَهْوَى النَّاقِيَةَ حَقِيَّةً قَدْ جَعَلْتُ آسَانُ بَيْنِي تَقَطَّعُ

الآسان : المشابه ، وهى هنا القوى . والقوى : جمع قوة . والقوة : طاقة

من طاقات الحبل . والحبل : المستطيل من الرمل . والرمل : ضرب من

السعى . والسعى : الحرش . والحرش : الصيد . والصيد : ما أخذته عفواً .

والعفو : الصفح . والصفح : الجانب . والجانب : الغريب . والغريب :

الزريع . والزريع : السهم . والسهم : النصيب . والنصيب : حجارة حول

شفير الخوض . والخوض الصغير : الخريص . والخريص والخوص : الجاثع

المقرور . والمقرور : الخصر . والخصر من الماء : البارد العذب . والعذب :

ضد الفظيع . والفظيع : السكرية الذوق . والذوق : العذف . والعذف :

الأصل . والأصل : العيص . والعيص : منبت الشجر .

قال الأحرز السنيسى :

بِهَذَا قُضِبَ هِنْدَاوِيَّةٌ وَعَيْصٌ تَزَاوَرَا فِيهَا الْأُسُودُ

والشجر : ما قام من النبات على ساق . والساق : عظم القدم . قال طرفة :

لَأَسْتَقِي هَقْلُ بَيْعِشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهُ

والقدم : السابقة . والسابقة : القَرَط . والقرط : المتقدمون إلى الماء .
قال أبو النجم :

وَمَنْهَلٍ وَرَدَّتْهُ التَّقَاطَا لَمْ أَلْقَ إِذْ وَرَدَّتْهُ قُرَاطَا
إِلَّا الْحَمَامَ الْوُرُقَّ وَالْعِصَاطَا فَهَنْ يُلْغِظُنْ بِهِ الْغَاطَا

* * *

وبعد :

فهذا غيض من فيض من الشواهد الفصيحة للمشارك اللفظي ، مستقاة من أمهات الكتب اللغوية ، والأدبية ، والدواوين الشعرية ، لمن يحتاج بسلامتهم وشعرهم ، تشهد ببصرهم بأنفسهم ، وعقليتهم المنظمة ، والواعية الحافظة .

وقد هيا الله تعالى لي جمع أمثلة وفيرة وكثيرة منها ، اخبرتها في أماكنها ، وفي أقوال علماء اللغة والبلاغة ، فكانت صحيحة نصيحة . ونظمت ما جمعت من شواهد على نسق (معجم مشترك) ، ما زال مخطوطاً عندي ، لأن شواهد المشترك اللفظي لم يتم تصنيفها وترتيبها على هذا النمط قبل ذلك فيما علمنا .

أما شواهد الأضداد فهي كثيرة ومبعثرة في كتبها العديدة ، وإن بقيت لها شواهد مبعثرة في ثبائا الكتب القيمة ، والقواميس المعتمدة . وسنذكر فيما يلي بعض شواهد للأضداد ، تؤنس أبحاثه في نظريته وفقهه .

* * *

شواهد الأضداد

• لفظ (الأون) من الأضداد :

يقال : الأون لفرق والدعة ، والأون للتعب والمؤونة . ومنه المؤونة من الأين ، وهو التعب والنصب .

قال الشاعر في معنى (الرق والدعة) :

غَيْرُ يَابِتِ الْحَلِيسِ لَوْنِي مَرُّ الْهَالِي وَاخْتِلَافُ الْجَوْنِ
وَسَفَرٌ كَانَ قَلِيلَ الْأَوْنِ

(أى : قليل الرق وقليل الدعة) .

وقال أبو حاتم : يقال : أن على ماشيتك أى ارفق بها .

قال الشاعر :

أَوْنُوا نَعْدُ أَنَا عَلَى الطَّلْعِ
أَيْنًا كَأَيْنِ الْحَافِرِ لِلْوَكْعِ

(أى الذى بلغ المكان الصلب) .

قال أَعْشى باهلة (في معنى التعب والنصب) :

لَا يَغْمِرُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا يَمَسُّ عَلَى شُرُوفِهِ الصَّغَرُ
ورواية البيت في ديوان الأعشى :

لَا يَغْمِرُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَتَقَرُّ
والأون أيضاً : للثقل ، والأونان : العذلان . قال الشاعر :

لَجِئْتُ بِذِي أَوْتَيْنِ مَا زَالَ شَأْنُهُ يَغْمَرُ حَتَّى قَلْتُ : هَلْ هُوَ خَالِدٌ ؟

والأون : تسكف النفقة ، عن أبي عمرو الشيباني (- ٢١٠) وقطرب : يقال : سافر معنا فأسقطنا عنه الأون ، أي تسكفنا نفقته^(١) .

* * *

• ولفظ (البيع) من الأضداد :

يقال : بعت الشيء إذا بيعته من غيرك ، وأخذت ثمنه . وبعته أيضاً إذا اشتريته ، حكاه الأصمعي ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد .

ويؤيد الأول قول عبيدة بن ربيعة من تميم وقد أبى أن يبيع نفسه (سكاب) لملك من الملوك :

أَيَّتَ اللَّعْنِ إِنْ سِكَابَ عِلَقٌ نَفِيسٌ لَا يُبَاعُ وَلَا يُبَاعُ
فَلَا تَطْلُعُ أَيْتَ اللَّعْنِ فِيهَا وَمَنْعُكُمَا فَشَىٰ مُسْتَطَاعُ
وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾^(٢) .

* * *

• ويؤيد بعت بمعنى شريت ، قول كثير عزة :

فَمَا عَزَّ لَيْتَ النَّأْيُ إِذْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ بَاعَ الْوُدِّ لِي مِنْكَ تَاجِرُ
وَأَنشَدَ الْأَصْمَعِيُّ لِأَوْسَ بْنِ حَجْرٍ ، (جاهلي) ، في باع بمعنى شري :
وَفَارَقْتُ وَهِيَ لَمْ تَجْرُبْ وَبَاعَ لَهَا مِنْ الْفَصَافِصِ بِالْثَمِيِّ سَفِيرُ
(يصف ناقته بأنها قاربت الحرب ولم تجرب ، الفصافص : الرطاب أو التت . بالثي : بالفلوس ، وسفير : السمسار) .

• وحذيفة بن اليمان قال حين حضرته الوفاة : « بيعوا لي كفناً » ،
أي اشتروه لي .

(١) أنشد قطرب ١٩٥ ، وابن الأثير ١٣٠ ، وأبو العلي ٢١٠ ، والسجستاني ٩٢ ،
والأصمعي ٣٦ (٢) البقرة : ٢٧٥ .

ويقول الراجز :

إذا الثريا طلعت عشاء

فبغ لراعى غم ~~ك~~سَاء

(أى اشتروه ، لأن الثريا إذا طلعت عشاء برد الهواء) .

وسمع القراء أعرابياً يقول : بع لى تمراً بدرهم ، أى اشتر .

والحصين بن الحُمام المرى (جاهلى) يقول فى معنى الشرى خاصة :

فلستُ بمبتاعِ الحِمَاةِ بذلةٍ ولا مُرتَقٍ مِنْ خَشِيةِ الموتِ سُلماً^(١)

ويقول طرفة بن العبد :

وَبَايَتِكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبْعْ لَهُ بَتَانَا وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ قَطُّ مَوْجِدَ^(٢)

* * *

• وللفظ (البين) من الاضداد :

يكون البين بمعنى الفراق ، ويكون أيضاً بمعنى الوصال .

فمن (الفراق) قول جرير (أموى) :

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَوْ طُوِوعَتْ مَابَانَا وَقَطَعُوا مِنْ حَبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا

وقال القطامي :

ألم يحزنك أن حبال قيس وتغلب قد تباينت انقطاعا

وأنشد أبو زيد عن الفضل :

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ بَانَوْنِي

غربان فى جدول مجنون

(بانونى : فارقونى ، ويعنى بالمجنون هنا : الدافق) .

(١) ااضداد أبى طيب ١/٤٠ ، والأصمعى ٣٠ ، وابن الجكيت ١٨٤ ، وابن الأنبارى ٧٣ ،

وفرح اللغات ٩٨ ، وجهرة أشعار العرب ٢٦٤

وقال المعاج :

* والبينُ قطاعٌ رَجَا من رجا *
(أى : الفارقة والبعد).

* * *

وفى البين بمعنى (الاتصال) : جاء قول المهلهل (جاهلى) :
كَانَ رَمَاحُهُمْ أَشْطَانُ بَثْرٍ بَعِيدٍ بَيْنَ جَالِيهَا جُرُورُ
(الجال : جدار البئر ، والجُرور : البئر البعيدة القمر هاهنا) .
وأشد ابن الأعرابي لقيس بن ذريح (أموى) فى المعنيين :
لَعَمْرُكَ لَوْلا الْبَيْنُ لَا تَقْطَعُ الْهُوَى وَلَوْلا الْهُوَى مَاحَنَ لِلْبَيْنِ آلَفُ
(لولا البين : أى لولا الوصل . وماحن لابن : أى الفراق) .
وقال الشاعر :

لَقَدْ فَرَّقَ الْوَاشُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَفَرَّقَتْ بِذَلِكَ الْوَصْلَ عَيْنِي وَعَيْنَهَا
أَرَادَ : لقد فرق الواشون وصلى ووصلها .
وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾^(١) . قرئ بالنصب .
وبالرفع قراءة ابن كثير ، وأبى عمرو ، وابن عامر ، وحزرة .
قال القراء : وكان مجاهد يقرأ بالرفع : أى وصلكم ، وقد قرئت بالفتح أيضاً .
وحكى قطرب : يقال : أعجبني بينهم : أى اتصاهم .
وأعجبني بينهم : أى تفرقهم^(٢) .

* * *

(١) الانعام : ٩٤

(٢) أستاذ أبي الطيب ٧٨/١ ، ابن الأثير ٥٥ ، وقطرب ١٧٧ ، وأمالى القالى ١٣٠/١

• ولفظ (التلعة) من الاضداد :

يقال لما ارتفع من الوادى وغيره تَلَمَّة ، ويقال لما تَسَقَّلَ وجرى فيه الماء لانخفاضه تلعة .

وأبو الطيب يرى أن يكون الأصل في التلعة الارتفاع ، لأن الأصمعى حكى ذلك .

وشاهد (الارتفاع) قول طابغة بنى ذبيان :

عفا ذو حُصَا مِنْ فَرَتْنِي فَالْفَوَارِعُ فَجَنَّبَا أَرِيكَ فَالْقَلَاعُ الدَّوَامِعُ
(الفوارع ، وأريك . مواضع ، وفرتنى : اسم امرأة ، والقلاع : مجارى الماء من أعلى الأودية . والخليل يراها : أرضاً مرتفعة غليظة) .

وفى معنى (الارتفاع) أنشد أبو حاتم والتوزى قول الراعى :

كُدْحَانِ مُرْتَجِلٍ بِأَعْلَى تَلَمَّةٍ غَرْنَانِ ضَرَمَ عَرَفْجًا مَبْلُولًا
(المرتجل : الذى يطبخ رجلا من الجراد ، والغرنان : الجامع ، والعرفج : شجر سريع الاشتعال) .

ومثله قول طرفة بن العبد فى وصف عنق ناقته :

وَأَتْلَعُ نَهَاضٌ إِذَا صَعِدَتْ بِهِ كَمُسْكَانٍ بَوَصَى بِدَجَلَةٍ مُضْعِدٍ
(أى إذا رفعته كسارى سفينة يشد عليه الشراع ، والبوصى : ضرب من السفن) .

وقال بعض الأعراب :

إِذَا أَشْرَفَ الْحَزُونُ مِنْ رَأْسِ تَلَمَّةٍ
عَلَى شَيْبِ بَوَانٍ أَفَاقَ مِنَ الْكَزْبِ

• وشاهد التلمعة بمعنى (الانخفاض) :

ما أنشد قطرب وأبو حاتم للراعى :

رَأَيْتُكَ ذَوُوَ الْأَحْلَامِ خَيْرًا خِلَافَةً مِنْ الرَّاغِبِينَ فِي التَّلَاعِ الدَّوَاخِلِ
(دواخل الأرض تخرها وغامضها) .

وقال زهير بن أبى سلمى :

وَلَمَّا مَتَى أَهْطَطُ مِنَ الْأَرْضِ تَلْعَةً أَجِدُ أَثَرًا قَتَلْتِى جَدِيدًا وَعَافِيَا
وقال أبو عبيدة : التلمعة : بطن من الوادى تَقْسَعُ ، وأنشد :

خَلْتُ الْقَدَى الْجَائِلَ فِي حِجَابِهَا

مِنْ حَسَكِ التَّلْعَةِ أَوْ مِنْ حَاجِبِهَا ^(١)

(الحجاب : العظم الذى ينبت عليه الحجاب ، ويريد عيناها . والحسك
ها هنا : الشوك ، والحاج : ضرب من النباتات له ورق دقاق طوال كأنه
الشوك) . وبطن الوادى منخفض .

* * *

• ولفظ (جلل) من الأضداد :

قال أبو عبيدة : يقال : أمر جَلَلٌ أى جليل عظيم .

وأمر جلل أى هين صغير يسير .

وأبو عمرو الشيبانى يرى أن الجلل : الصغير ، والجليل العظيم ، ولم
يعرف الجلل بمعنى العظيم .

فمن شواهد الجلل بمعنى العظيم قول الخارث بن وسملة النهلى :

قَوْمِ ثُمَّ قَالُوا أَمِمْ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصَيِّبُنِي سَهْمِي
فَلَمَّا عَفَوْتُ لِأَعْفُونَ جَلَلًا وَلَمَّا سَطَوْتُ لِأَوْهِنَ عَظْمِي

(أى ، لأعفون عن أمر عظيم) .

(١) أشعاده أبو الطيب ١٠٨/١ ، وابن الأنبارى ٢١٩ ، والمجذبات ٢٠٩ ،

وَأَنشَدَ الْأَصْمَعِيُّ فِي مَعْنَى (الْعَظِيمِ) قَوْلَ الْمُعْتَمِلِ الْمَذَلِّ :
أَقُولُ لِمَا أَتَانِي النَّاعِيَانِ بِهِ لَا يَبْعَدُ الرَّمْحُ ذُو الْفَضْلَيْنِ وَالرَّجُلُ
رُمْحٌ لَنَا كَانَ لَمْ يَقُلْ نَفْوَاهُ بِهِ تُنْفَى بِهِ الْحَرْبُ وَالْمَرْءُ وَالْجَلَلُ
وَقَالَ لَهَيْد :

وَأَرَى أَرْبَدَ قَدْ فَارَقَنِي وَمِنَ الْأَرْزَاءِ رَزَاءُ وَجَلُّ
وَأَنشَدَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فِي مَعْنَى الْعَظِيمِ .

وَقَالَ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ :
رَسْمُ دَارٍ وَقَفْتُ فِي ظِلِّهِ كِدْتُ أَقْفِي الْحَيَاةَ مِنْ جَلِّهِ

* * *

• وشاهد « الجلل » بمعنى : المهين ، والحقير ، والصغير :
قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

لَتَقْتُلَ بَنِي أَسَدٍ رَبِّهِمْ إِلَّا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلٍ
وَقَالَ نَابِغَةُ بْنُ شَيْبَانَ (فِي ذَاتِ الْمَعْنَى) :
كُلُّ الْمَصِيبَاتِ إِنْ جَلَّتْ وَإِنْ عَظُمَتْ إِلَّا الْمَصِيبَةُ فِي دِينِ الْفَقِي جَلَلٌ^(١)
وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ خَالِدٍ الْحِزْوَمِيُّ :

قُلْتُ لِلرَّئَةِ لِمَا أَقْبَلْتُ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا هَرَمًا جَلَلًا
(وَالرَّئَةُ : الصَّيْحَةُ فِي الْفَرَحِ أَوِ الْحُزَنِ) .

وَقَالَ الْمُتَنَقِّبُ الْعَبْدِيُّ :

كُلُّ رَزَاءٍ كَانَ عِنْدِي جَلَلًا غَيْرَ كُرْسُفَةٍ مِنْ قِنَعِي قُطُرُ

(١) أُنْشَدَ أَبُو الطَّيِّبِ ١٥٠/١ ، وَالْأَصْمَعِيُّ ١٠٠ ، وَالسَّجِسْتَانِيُّ ١٠٠ ، وَابْنُ الْأَثَرِ ٨٩ ،
وَالسَّكَاكِلُ ٦٣ ، وَمَا اتَّفَقَ لَفْظُهُ وَاخْتَلَفَ مَعْنَاهُ لِهَيْد ، وَأُنْشَدَ قُطْرُبُ ، ٤ .

وقال عمران بن حِطَّان :

ياخول ياخول لا يَطْمَحُ بك الأملُ فقد بُسَكِدْبُ ظَنِّ الأملِ الأجلُ
ياخول كيف يذوق الخفضَ معترفٌ بالموتِ . والموتِ فيما بعده جُلُ
وأُشدُّ أبو عمرو الشيباني :

كلُّ رزءٍ كانَ عندي جَلالاً غير ما جاء به الرَّكْبُ ثَنِي
(ثني : مرتين ، أى مرة بعد مرة ، وجلل : أى هين) .

وقال الشاعر ، في الشيء اليسير :

يقولُ جَزءٌ ولم يَقُلْ جَلالاً إني تزوجتُ ناهِماً جَدِلاً
ويقول لبيد بن ربيعة :

كلُّ شيءٍ ما خلا الموتَ جَلُ والفتى يَسْمَى ويُلهِيهِ الأملُ
وقال الأغلب بن جشم العجلي الواحز (مخضرم) :
* كل شيء ما خلا جارى جَلَلٌ *

وتقول ابنة حكيم بن جهل العبديّة : (إسلامية) :

مالَ عبد القيس أزرى بالأملِ قَتَلَ اليومَ حَكيمُ بن جَبَلِ
فطمت رِجلُ أبي من ساقِهِ كلُّ شيءٍ ما خلا هذا جَلَلِ^(١)
وقال هروة بن أذينة (أموى) :

لا يَبْعَدُ اللهُ حُسادِي وَزادُهُمُ حَتَّى يَمُوتُوا بِدَاءٍ فِي مَسْكُونِ
إِنِّي رَأَيْتُهُمْ فِي كُلِّ مَنزِلَةٍ أَجَلٌ قَدَرًا مِنَ اللَّائِي يُحِبُّونِي^(٢)

• • •

(١) أُنشَدَ الأَصمَى ، وابن السكيت ١٦٧ ، ديوان لبيد ١٩٩ ، وأُنشَدَ أبو الطيب

١٤٩/١ ، وابن الأثير ٩٠ ، والبغستاني ٨٤

(٢) ديوان هروة بن أذينة ٣٩٠ .

• وللفظ (الجون) من الأضداد :

قال الأصمى وأبو عبيدة : الجون : الأسود ، والجون : الأبيض .

قال أبو حاتم : والأكثر الأسود .

ويرى قطرب : أن الجون الأسود في لغة قضاة ، وفيها يليها : الأبيض .

وشواهد الجون بمعنى الأسود كثيرة منها ما يلي :

قال لمبيد يصف جلا :

جَوْنٌ دَجَوِجِيٌّ وَخِرْقٌ مِمْسَفٌ

يَرْمِي بِهِمَا الْهَيْدَاءَ وَهُمْ مُسْدِفٌ

(دجوجي : من صفات الأسود ، والخرق من الفتيان : الظريف

هو المروءة ، وممسف : هو الذي يعسف للمقاومة ويقطعها . والوم : لعله الطريق

الواسع ها هنا ، وربما كان معنى الجل الضخم ، والمسدف : المظلم) .

وأشد أبو زيد لعمر بن معد يكرب ، (في شعر رأسه الأبيض المسود) :

تقول خليلتي كذا رأته سرائحَ بَيْنَ مُبْيَضٍّ وَجَوْنٍ

وقال أبو عرار : عمرو بن شأس (مخضرم) لامراته عن ولده أسود ،

من أمة له سوداء :

ولإن عراراً إن يكن غير واضحٍ فإن أحبُّ الجَوْنِ ذا المسكب العم^(١)

* * *

أما الجون بمعنى الأبيض ، فنشاهد :

قال ربيعة بن مقروم يصف حماراً وحشياً وأنته ، ويريد بالجونة الشمس :

ظِلٌّ وَظِلَّتْ حَوْلُهُ ضِيَاءُ يَرِاقِبُ الْجُونَةَ كَالْأَحْوَلِ

ثم رَمَى اللَّيْلُ بِهِ قَارِبًا يَسْتَوْقِدُ النَّيْرَانَ فِي الْجَلْدِ وَلِ

(١) اشتد أبو الطيب ١٥٤/١ وقطرب ٧٩ ، وأبو الطيب ١٥١/١ ، والجمهرة ٤٨٩/٣ ،

والشعر والنقراء ٣٨٩ ، وشرح الحاشية للرزوقي ٢٨٥/٨ .

وقال ابن مقبل :

وأطأته بالسرى حتى تركت به ليل التمام ترى أسدانه جونا
(أى ترى ظلمه بيضاً) (أى سريت حتى أضاء لى الصبح) .

وأشد أبو عهيدة قول الراجز (بمعنى النهار) :

غير يا بنت الخليس لو نى مر الليلي واختلاف الجون
وسفر كان قليل الأون

وقال الفرزدق : يصف قصراً أبيض فيه امرأة مريضة النظر :

وجون عليه الجص فيه مريضة تطلع منه النفس والموت حاضره

وقال الخطيم الصنباني يصف فرساً :

لا تسفه حرراً ولا حليماً إن لم تجده ساجحاً يعبوبا
ذا ميعاة بلمتهم الجبوبا يُعادِرُ الآثار أن تؤوبا
وحاجب الجونة أن يغيباً^(١)

(يعنى بالجونة : الشمس . واليعبوب : كثير الجرى ، والحبوب .

وجه الأرض) .

وأشد الأصمعي للهنلى (والبيت للبيد ، وليس للهنلى) .

جون بصارة أقفرت ليراده وخلا له السوبان فالبرعوم

(والجون هاهنا : الحمار الوحشى ، وهو أبيض يشبه ناقته بفحل الإبل ،

وحمار الوحش . وصارة : اسم ماء ، ومراده : موضع الرعى ، والسوبان :

اسم واد فى بنى تميم ، والبرعوم : موضع فى ديار بنى أسد) .

(١) أشداد الأصمعي ٣٦ ، وأبي طيب ١٥٥/١ ، وابن السكيت ١٩٠ ، ومجالس طلب

١/٣٧١ ، وابن الأثير ١١٣ ، واللسان : (جون) .

وقال الأصمعي : إن أنيساً الجرميَّ - وكان فصيحاً - عرض على الحجاج درع حديد ، وكانت صافيه ، فجعل لا يرى صفاءها فقال : ليست بصافية . فقال أنيس : إن الشمس جونة ، يعني شديدة الضوء ، حتى قد غلب ضوءها بياض الدرع .

قال أبو حاتم : وقال بعضهم : بل عرضها عليه في الشمس ، فقال له الحجاج : الشمس جونة فأدركها ، أي نخبها عن الشمس .
وحكى الكوفيون أن الذي قال هذا للحجاج : عنبسة بن سعيد ابن العاص (١) .

ويمكن أن نفهم من البيت التالي معنى السواد ، ومعنى البياض : قال ابن مقبل في صفة طريق :

واظأنه بالسرى حتى تركت به ليلَ التَّامِ تُرى أعلامُه جونا
(ليل التمام : أطول ما يكون من الليل في الشتاء . وجونا : أي سوداً كما قال الأصمعي . قال : يعني أنهن في الليل لم يصبهن النهار) .
وهناك رواية تقول : « حتى ترى أسدأفه جونا » ، يعني ظلمته ، أي إنى رحلت عنه بليل طويل ، وتركته الليل فيه .

ولكن عبد الواحد يقول : قال اللغوي . ويمكن أن يكون أراد العيون البيضاء ، أي سريت ليل التمام حتى تركت أعلامه بضاء من ضوء الصبح ، يريد أنه سرى إلى الصباح (٢) .

○ ○ ○

• ولفظ (خفى واخفى) من الاضداد :

تقول . أخفيت الشيء . إذا سترته ، وأخفيته . إذا أظهرته . حكى ذلك أبو حاتم عن أبي هبيلة .

ويرى أبو الطيب . أن الأكثر في معنى الكتمان . أخفيته أخفيه إخفاء . وفي معنى الإظهار . خفيته أخفيه خفياً ؛ وهو قول الأصمعي وأبي زيد . وقال قطرب . يقال . خفا خفواً أى ظهر ، وخفى يخفى . ظهر . وأخفيته . أظهرته ، وخفيته خفياً بالإسكان وخفاية بكسر الخاء .

والتوزي يرى : خفيت الشيء وأخفيته ، لفطان في الإظهار والكتمان جميعاً . وعد من ذلك قوله تعالى : ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ (١) .

وقال قطرب : أخفيت الشيء إذا كتمته ، وأخفيته أيضاً إذا أظهرته . قال : وخفيته أيضاً بغير ألف إذا أظهرته .

ويرى أبو حاتم أن قراءة : ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ بالفتح ، بمعنى أظهرها . فنحنى بمعنى نسر ونسكتم ، كافى قوله تعالى : ﴿ تَنَلَّمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (٢) .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ (٣) . فعناه : أكاد أسترها ، وفي قراءة أبي : ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ من نفسى ، فكيف أطلعكم عليها . (وتأويل من نفسى : « من قبلى » ، ومن « غيبي ») .

ويقال : إن معنى الآية : « أكاد أظهرها » ، ونص ابن الأنبارى على أنه يقال : خفيت الشيء ، إذا أظهرته . « ولا يقع هذا - أى الذى لا ألف فيه - على السر والتعطية » .

وقال القراء : حدثنا الكسائي ، عن محمد بن سهل ، وعن وقاء ،
عن سعيد بن جبير ، أنه قرأ : « أَكَاذُ أَخْفِيهَا » بالقحح ، فعنى أخفيها :
أظهرها^(١) .

• • •

وفي معنى الإظهار جاء قول عبدة بن الطيب يذكر ثوراً يحفر كذاً ،
ويستخرج ترابه فيظهره :

يَخْنِي التَّرَابَ بِأَظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعٍ مَسْنُونِ الْأَرْضِ تَحْلِيلُ
(يريد . أربع قوائم ، تقع بالأرض وقهاً خفيفاً بقدر تحلة العين) .
وقال قطرب : يخني : يظهره .

وقال امرؤ القيس بن عابس الكندي (له صحة) :
فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا نَخْفِهِ وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لَا نَقْمُدُ
(أى . لا نظهره . وروى . لا نخفه . بضم النون . . وقال قطرب . وبنفتح
للنون لغة يمانية) .

وقال النابغة الذبياني :
يَخْنِي بِأَظْلَافِهِ حَتَّى إِذَا بَلَقَتْ يُبْسَ الْكَثِيبِ تَدَاعَى الثَّرْبُ فَأَهْدَمَا
وقال أبو ذؤيب الهذلي يرثي نُشَيْبَةَ بن محرث الهذلي :
وَمُدَّعَسٍ فِيهِ الْأَنْفِيسُ خَفِيَّتُهُ يَجْرِدَاءُ يَنْقَابُ الشَّمِيلِ حَارُهَا
(مدعس : مُحْتَبَزٌ أو مُطْبَخ . والأنفيس : اللحم الذي لم ينضج . وخفيته :
استخرجته من الدجاجة ، لم أدعه ينضج) .

وبقال للرّكبة التي اندفنت ثم استخرجت : خفية ، أى مظهره :

(١) أشداد أبي الطيب ٢٣٧/١ ، وقطرب ٤٥ ، وابن الأباري ٩٥

قال ساعدة بن جؤبة الهذلي (مخضرم) : في حر الوحش والسحاب :
 حيرانُ بركبُ أعلاه أسافلُهُ يَخْفَى ترابُ جديدهِ الأرضِ منهزمُ
 (يخفيه : يستخرجه لشدة وقعه ، حيران : يعني الغيم يتوجه لأكثر من
 جهة ، منهزم : مدفوع بالماء ، وأصل الهزم : التفرق في الجلد وغيره ، فشبه
 الغيم بسقاء قد انخرق ، فهو يخرج مائه) .
 وعن أبي عمرو : خفا البرق يخفو خفوا ، ويخفَى خفياً ، إذا ظهر ولمع ،
 وأنشد الحُمَيد بن ثور (إسلامي) :
 أَرَقْتُ لِبَرْقٍ فِي نَشَاصٍ خَفْتُ بِهِ سَوَاجِمُ فِي أَهْوَاقِهِمْ بِسُوقٍ (١)
 (بسوق : طول) .

ووجدت في المفضليات قول امرئ القيس :
 خَفَاهُنَّ مِنْ أَهْوَاقِهِمْ كَأَنَّمَا خَفَاهُنَّ وَدَقَ مِنْ عَشِيٍّ مَجْلَبُ
 (أى أظهرهن : يعني الفأر من الحَيَرَةِ ، والودق : المطر الذي يقع
 بالأرض . أى كما يظهرهن ، ويخرجهن المطر الشديد الوقع . والمجلب :
 سحاب فيه جلبة رعد) .

* * *

وحمل علماء الأضداد ما اشتق من مادة « خفي » عليها :
 حكى قطرب : « من الأضداد : الاستخفاء . قال الله عز وجل :
 ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ (٢) . إذ خبره من يثق به :
 « أن معناه ظاهر بالليل ، من قولك : خفيته : أى أظهرته » . وحكى

(١) أضداد قطرب ٤٥ ، والاصمعي ٢٣ ، والجستان ١١٦ ، وابن السكيت ١٧٨ ،
 وأبي الطيب ٢٤١/١ ، وديوان الهذليين ١٩٨ ، والساك (خفي) ، ونوادير أبي زهيد ٩
 (٢) الرعد : ١٠

أبو الطيب : يقال : استخفيت الشيء واخففته . أى أظهرته . ويقال : خفا الشيء إذا ظهر ، وخفيته أنا ، وهذا أحد ما جاء على : فَعَلْتُهُ فَعَعَلَ .

وفصل ابن الأتباري فقال :

إذا كان المستخفي بمعنى « المتوارى » فهو من قولهم : قد استخفى الرجل إذا توارى .

وإذا كان من « الظاهر » فهو من قولهم : خفيت الشيء إذا أظهرته ، من ذلك الحديث المروي : « ليس على المختفي قطع » ، معناه ليس على النباش ، وإنما سمي النباش مختفياً لأنه يخرج الموتى ، ويظهر أكفانهم ^(١) .

وقال : فني المستخفي في الآية الكريمة قولان : هو المتوارى في بيته ، ويقال . هو الظاهر .

• • •

• واللفظ (السدفة) من الأضداد :

قال أبو زيد : بنو تميم يذهبون إلى أن السدفة . الظلمة . وقيس يرونها الضوء .

وقال أبو عبيدة . السدف . الظلمة ، والسدف . الضوء . وذكر قطرب مثل ذلك .

وقال الأصمعي . يقال . أسدف الليل ، إذا أظلم . وأسدف الصبح . إذا أضاء . وهذه لغة هوازن دون سائر العرب . وذكر أن هوازن تقول . أسدفوا لنا أي أخرجوا لنا . وقال أيضاً . يقال . أسدف . أى تنح هن الضوء .

وقال غير الأصمى . أهل مكة يقولون للرجل الواقف على الهيئ
أسدف يارجل ، أى تفتح عن الضوء حتى يبدو لنا .
وشاهدها في (الضوء) :

ما أنشد قطرب والسجستاني من قول ابن مقبل :
وليلة قد جعلت الصبح موعدها بضرة العيس حتى تعرف السدفا
(والمعنى : أنى كلفت الإبل السير طول الليل إلى طلوع الصبح ويبدو
الضوء وتراه) .

وأنشد أبو عبيدة في الضوء أيضاً :

• قد أسدف الليل وصاح الخنزاب •

(والخنزاب : الديك ، وأسدف : أضاء) .

وبمعنى الأبيض أيضاً ما روى عن امرأة من هوازن تذكر زوجها :

لا يرتدى مرادى الحرير

ولا يرى بسدفة الأمير

فسره ابن الأنبارى بأنه لا يرى بقصر الأمير الأبيض الحسن . قال :
« وزعم بعض الناس أن السدفة في هذا البيت الهاب ، وأن العرب تذهب
بالسدفة إلى معنى الهاب »^(١) .

وأوضح مما سبق في معنى الضوء ، قول عمر بن أبي ربيعة ، يشغل :

كشفت عن وجهها كالشمس حين تسدف^(٢)

• • •

(١) أزداد قطرب ٥ ، والأصمى ٣٥ ، والسجستاني ٨٦ ، وأبي الطيب ٣٤٦/١ ،

وابن الأنبارى ١٤ ، والسان (سدف) .

(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة ١٩٠

ومن شواهد (السدف) بمعنى (الظلمة) :

قول البريق : (عياض بن خويلد الخناعي) :

وماء وردت قبيل الكرى وقد جنه السدف الأدهم

وذکر قطرب قول حميد الأرقط :

قد كان يهدو أو بدت تهاشره وسدف الخيط إليهم سائره

وأنشد الأصمى للمعاجم ، بمعنى (أظلم) :

* وأظلمن الليل إذا ما أسدفا *

وقال حذيفة الخطاطبي (جد جري ربن عطية) ، يصف إبلا رجل عليها أهماؤه :

يَرَقَنَ لَيْلِ إِذَا مَا أَسْدَفَا

أَصْنَاقَ جِنَانٍ وَهَامًا رُجْفًا

وعنقا بعد الكلال خيطفا

(أسدف : أظلم . وعنقا : ضربا من السير . والخيطف : السريع .

والجنان : ضرب من الحيات) .

وقال ذو الرمة في معنى (الظلمة) :

ولما رأى الرائي الثريا بسدفة ونشت نطاف المبقعات الوقائع

وقال إبراهيم بن هرمة ، في معنى (الظلمة) :

إليك خاضت بنا الظلماء مسدفة والبيد تقطع فندا بندا أفناد

(والفند : الشراخ من الجبل) .

وأشدفنا : لغة في أشفنا ، ولها كلا المعنيين : حكى ذلك الأصمى .
وعطيه جاء قول الراجز بمعنى الضوء عند الفجر :

وحرَّج دوسرةٍ قد أشرفت

كلفتها الدُّلجة حتى أشفدت^(١)

* * *

• ولتقتل (شام) من الأضداد :

يقال « شام سيفه » يشيمه شيئا ، إذا سلَّه ، وأخرجه من غدم . ويقال .
شامه أيضا ، إذا أغدده . وحكى ثعلب عن سلمة عن القراء . أن الثلاثي
والرباعي ، بمعنى .

أنشد التوزي قول الفرزدق في معنى (أغد) .

بأيدي رجالٍ لم يشيموا سيوفهم ولم يكثروا القتل بها يوم سُبَّتِ
قال الأصمى . « لم يشيموا ، أى لم يغمدوا » .

وأنشد قطرب للأغلب العجلي ، بمعنى (لا تغمدها) .

* وللشرفياتُ فلا تشيمها *

وأنشد أبو حاتم للأغلب العجلي (مخضرم) يصف ما كان بين مسيلة

السكراب ، وبين سجاح المخبئة .

* فشام فيها مثلَ محراثِ الغصا *
*

(محراث الغصا عود تعلق به النار) .

* * *

وفي معنى (السل) والإخراج من الغمد .

جاء قول الشاعر - ونسبه أبو الطيب للفرزدق - يصف سيوفنا .

إِذَا هِيَ شِمَتْ فَالْقَوَائِمُ تَحْتَهَا وَإِنْ لَمْ تُشَمْ يَوْمًا عَلَتْهَا الْقَوَائِمُ
(شيمت . سلت وأخرجت من أعغادها ؛ لأن السيف إذا أغمد كان قائمه فوقه ، وإذا سل كان قائمه تحته) (١) .

والنص صريح في معنى الإخراج ، صراحة ما سبق في معنى الإغداد .

• • •

• ولفظ (الشرى والاشترى) من الأضداد :

جمع بينهما أبو الطيب ، وكلاهما يفسر على وجهين ؛ إذ يقال : اشتريت الشيء على معنى قبضته وأعطيت منه ، وهو المعنى المعروف عند الناس . ويقال : اشتريته إذا بعته . ومثل ذلك يقال عن شريكه شرى وشراء . وأوضح الوجهين في شريكه . معنى البيع .

وقال قطرب . الشرى بمعنى البيع في لغة غاضرة (حى من بنى أسد) . وطبيعة المبادلة هى التى جاءت بالضدية ، كما ذكر بعضهم .

وفى شريكه بمعنى بعته ، جاء قول الله تعالى : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾ (٢) . أى يبيعون . وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ (٣) . أى يبيعها . وقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا بَشْرَى هَذَا غُلَامٌ ، وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ . وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ (٤) . أى باهوه .

وقال الخوارزمي : نحن الشراء ، لقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى

(١) أسد قطرب ٥٥ ، وأبى الطيب ٣٨٩/١ ، وابن الانبارى ٢٥٩ ، والجهتاني ٩٤ ،
وشرح الفضليات ١٧٦ . (٢) النساء : ٧٤ .
(٣) البقرة : ٢٠٧ . (٤) يوسف : ٢٠ ، ١٩ .

نَفْسُهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ^(١)، أَى يَبِيعُهَا وَيَبْذُلُهَا فِي الْجِهَادِ، وَتَمْنَاهَا الْجَنَّةُ^(٢).
وَأُنْشَدَ قَطْرِبَ فِي الشَّرَى بِمَعْنَى الْبَيْعِ عَلَى لَفَةِ غَاضِرَةٍ، قَوْلُ الْمَسِيبِ
بْنِ عِلَسَ (جَاهِلِي)، وَتَنْسَبُ لِلْأَعَشَى السَّكْبَرِ، يَمْدَحُ قَيْسَ بْنَ مَعَدٍ يَكْرِبُ
السَّكَنْدَى.

يُغْطَى بِهَا تَمْنًا، فَيَمْنَعُهَا وَيَقُولُ صَاحِبُهُ. أَلَا تَشْرَى
أَى أَلَا تَبِيعُ؟

وَأُنْشَدَ قَطْرِبَ أَيْضًا لِلنَّمْرِ بْنِ نَوَلَبِ:

وَلَمَّا لَأَسْتَجِبِي الْخَلِيلَ، وَأَتَقَى مُنْقَايَ، وَأَشْرَى مِنْ تِلَادَى بِالْجَدِ
(أَى أَسْفَحِي مِنَ الْخَلِيلِ، وَأَشْرَى: أَى أَبِيعَ مَالِي بِالْجَدِ).

وَقَالَ الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْفَرٍ:

فَأَلَيْتَ لَا أَشْرِيهِ حَتَّى يَمْلِكَنِي وَأَلَيْتَ لَا أُلْقَاهُ حَتَّى يُفَارِقَا^(٣)
أَى لَا أَبِيعَهُ.

وَأُنْشَدَ أَبُو حَاتِمٍ أَيْضًا فِي مَعْنَى (الْبَيْعِ):

شَرِيتُ غُلَامًا بَيْنَ حِصْنٍ وَمَالِكٍ بِأَصْوَاعٍ تَمُرٍ إِذْ خَشِيتُ الْمَهَالِكَ
(أَرَادَ بَعْتَ، لِأَنَّهُ خَشِيَ الْهَلَاكَ، فَبَاعَهُ بِالتَّمْرِ الْقَلِيلِ، لِلضَّرُورَةِ).

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مُقَرَّرٍ الْخَمِيرِيُّ (إِسْلَامِي) فِي شَرِيتَ
بِمَعْنَى بَعْتَ، وَكَانَ بَاعَ غُلَامًا لَهُ يُسَمَّى بُرْدًا، وَنَدِمَ عَلَى بَيْعِهِ: (لَمَّا بَاعَهُ
الْوَالِي نَسَاكِيَةً فِيهِ لِقَسْدِيدِ دِينِهِ وَهُوَ مَحْبُوسٌ):

وَشَرِيتُ بُرْدًا، لِيَتَقَى مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَةً
أَى هَمْتُ بِرَدِّهَا.

وَيَبْدُو أَنَّ يَزِيدًا هَذَا كَانَ يَعْزُ بُرْدًا كَثِيرًا، فَقَدْ قَالَ فِيهِ أَيْضًا:

(١) البقرة: ٢٠٧

(٢) أَشْدَادُ أَبِي الطَّيِّبِ ١/٣٩٣، وَقَطْرِبَ ٧٣، وَابْنُ الْأَثَارِيِّ ٧٤، وَالْجِسْتَانِيُّ ١٠٧،

(٣) السابق.

وَبْنُ السَّكَبَتِ ١٨٥

شريتُ بُزْداً وَلَوْ لَا مَا تَعَرَّضَ لِي مِنْ الْحَوَادِثِ مَا قَارَفْتُهُ أَبَدًا
وَأُنْشِدُ أَبُو عَمْرٍو بَيْتَ الشَّمَاخِ (مُخَضَّرَم) يَذْكُرُ رَجُلًا بَاعَ فَرْسًا :
فَلَمَّا شَرَاهَا قَاضَتْ الْعَيْنُ عُبْرَةً وَفِي الصَّدْرِ حَزَازٌ مِنْ الْقَلَمِ حَامِزٌ
(والحزاز : غيظ في الصدر ، وحامز : قابض مشمر) .

وَأُنْشِدُ الْفَرَاءَ :

شَرَيْتُ لِمَنْ نَفْسِي بِقَفْرَةٍ بَعْدَ مَا دَنَا لِلْمَوْتِ حَتَّى صَارَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ (١)
(قفرة : ناقته . يبنى : نحرها لما أثقله العطش في القفلة ، وشرب
ما في كرشها) .

• • •

وَأُنْشِدُ أَبُو حَاتِمٍ فِي مَعْنَى (اشْتَرَيْتُ) ، بَيْتَ أَبِي ذُوَيْبٍ .
فَإِنْ تَزْعُمِي كُنْتُ أَجْمَلُ فَيْسَكُمُ فَإِنِّي شَرَيْتُ الْحِلْمَ بِمَذَكِّ الْجَهْلِ
وَأُنْشِدُ أَبُو حَاتِمٍ وَالتَّوْزِيَّ :
وَاشْرَوْا لَهَا خَاتَمًا ، وَابْنُوا لُحْفَتَيْهَا مَعَاوِلًا سَبْعَةً فَيَهْنُ تَذَكِيرُ
(الحفقب : طرف البظر ، مثل اللثك . الخاتنة . الخافضة . واشروا :
اشتروا) .

وَأُنْشِدُ التَّوْزِيَّ :

شَرَيْتُ بِكَ بَشِيرٍ شَيْبَةً لَيْلَى ، وَلَوْ أَبَوَا لِأَعْطَيْتُ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدِ (٢)

• • •

(١) العائقي .

(٢) السَّابِقُ ، وَتَوَادَّرَ أَبِي زَيْدٍ ٤٤٠ . وَمَقَامَاتُ الْحَارِثِيِّ ٤٧٦ ، وَالشَّيْخُ
وَالْفَرَاءُ ٤٤٢

● ولفظ (عنوة) من الأضداد :

يقال : أخذت الشيء « عنوة » إذا أخذته قهراً وغصباً وغلبة .
ويقال : أخذت الشيء « عنوة » أى بمحبة ورضا من المأخوذ منه .
حكى ذلك ابن الأنبارى عن أبى ثعلب .
وقال أبو حاتم : « عنوة » بمعنى عن رضا واختيار : لغة أهل الحجاز ،
لما يقولون : العنوة : الطاعة .

أنشد أبو العباس قول كثير عزة : فى معنى الطاعة والرضا :
فما أخذوها عنوةً عن مودةٍ ولكن بحمد الشرف استقلها
وأنشد أبو حاتم لكثير عزة أيضاً :
تجبت كئلى عنوة أن تزورها وأنت امرؤ فى أهل ودك تارك
(عنوة : طائفة . وتارك : مبق . وفى القرآن : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ
فِي الْآخِرِينَ ﴾ ^(١) .

وأنشد أبو حاتم وقطرب :
هل أنت مطيعى أيتها القلب عنوة ولم تلح نفسك لم تلح فى اختيها
(لم تلح : لم تلم ، أى : لم تأت ما تلام عليه) .

° ° °

وفى معنى الخضوع والذل والتهير ،
جاء قول الله تعالى : ﴿ وَصَغَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ التَّيُّومِ ﴾ ^(٢) .
أى خضعت وذلت . ويقال : عبوت لفلان : إذا خضعت له . وقال
قطرب عن الشيبانى عنت : كُت .

وقال أمية بن أبى الصلت :
ملك على عرش السماء مهين
تعمو لعرزته الوجوه وتسجد

(٢) ملة : ١١١

(١) الصفات : ١٠٨

وقال أمية أيضاً ، في معنى خضع وذل :
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَقَدَّرَ خَلْقَهُ تَقْدِيرًا
 وَمَعَا لَهُ وَجْهِي وَخَلَقَنِي كُلَّهُ فِي الْخَاشِعِينَ لَوَجْهِهِ مَشْكُورًا
 ويقال للأسير : عان لخضوعه وذه .
 وجاء في الحديث : « اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ
 عَوَانٌ » ^(١) .

• • •

• ولفظ (الغابر) من الأضداد :

يقال : غابر للماضي ، وغابر للباقي .
 ونص أبو حاتم على أن الغابر بمعنى الباقي هو الأكثر الأعراف .
 وغابر كل شيء بقيقه ، وكذلك غُبرُهُ وغُبرُهُ ، وغُبرُ اللبن بقيقه
 في الضرع .

وغابر من : غَبَرَ يَغْبُرُ غَبْرًا وَغُبُورًا .

وجاء قوله تعالى (بمعنى الباقيين) :

﴿ فَتَجَنَّبْهُ وَأَهْلَهُ أَتَجْمَعِينَ . إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴾ ^(٢) .

قال أبو ذؤيب الهذلي يصف فرساً لا يرضع ما بقي من لبنها لسنها :
 مَفْطَلَقُ أَنْسَاؤُهَا عَنْ قَائِيءٍ كَالْقَرْطِ ضَاوٍ غُبْرُهُ لَا يُرْضِعُ
 وقال أبو كبير الهذلي ، قيل في صفة تأبط شرأ ، وقيل في صفة فتى جرى :
 وَمُبرَأً مِنْ كُلِّ غُبْرٍ حَیْضَةٍ وَنَسَادٍ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مُفْطِلٍ
 (غبر : باقية . والمفطيل : التي ترضع على حبل فيضوى ولدها ويمتل) .
 وتزوج غنمُ بن حبيب بن كعب : رقاش بنت عامر ، بعد ما أيسن ،

(١) أضداد قطرب ١٧٣ ، وابن الأثير ٧٩ ، وأبي الطيب ٤٩٢/٣ ، والجصماني

١٢٦ ، والأصمعي ٤٤ ، وابن السكيت ١٩٧ (٢) الشعراء : ١٧٠ ، ١٧١

تفيل له في ذلك ، فقال : لعل أنعتبر منها وثداً ، أى أبى . فولدت له ولداً
فسماه « غبر » .

وقال المعجاج يمدح همر بن عبيد الله بن معمر :
فَأَوَى مُحَمَّدٌ مَدُّ أَنْ غَفَرَ
لَهُ الْإِلَهُ مَا مَضَى وَمَا غَبَرَ
(محمد : يريد به الرسول ﷺ ، وما غبر : ما بقى) .

وأشدد القراء بمعنى الباقية :
مَخَافَةً أَلَّا يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَلَا يَبْنِيهَا أُخْرَى اللَّيَالِي الْقَوَابِرِ (١)
وقال الشاعر في معنى الباقي أيضاً :
نَعَزَّ بِصَبْرِ لَا وَجَدَكَ لَنْ تَرَى سِنَامَ الْحِمَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْقَوَابِرِ
وقال أبو ذؤيب الهذلي ، في بقيت بعدهم :
فَعَبَّرْتُ بَعْدَهُمْ بِعَيْشٍ نَاصِبٍ وَلِإِخْلَالِ أُنْتَى لِاحِقٍ مُسْتَفْتِحٍ
وقال ابن الأنبارى : قال المعجاج في (الباقين) :
أَغَابِرَانِ نَحْنُ فِي الْقُبَارِ
أَمْ غَابِرَانِ نَحْنُ فِي الْقُبَارِ

ورواية أبى الطيب لهذا الرجز :

أَغَابِرَانِ نَحْنُ فِي الْقُبَارِ
أَمْ غَابِرَانِ نَحْنُ فِي الْقُبَارِ

وذكر أن هذا مما يحتمل اللغتين جميعاً ، وضربه بقوله : « يريد :
أذا هجان نحن فيمن ذهب ؟ أم باقيان فيمن بقى ؟ » .

(١) أضاءد أبى الطيب ٥٢٧/٢ ، والسجستاني ١٥٤ ، نوائى الأنبارى ١٢٩ ،
والفضلات ٢٢٤/٢ ، ودبوان الهذليين ١٩/١ ، وجمهرة أشعار العرب ٢٤٧ ، والجمهرة
لابن دريد ٢٦٨/١ ، والاشتقاق لابن دريد ٣٤١ ، والسان : (غير) .

ومن الغابر بمعنى «الماضي» قول الأعشى :

عَصَّ بِمَا أَبْقَى الْمَوَاسِي لَهُ مِنْ أُمِّهِ فِي الزَّمَنِ الْغَابِرِ^(١)

ويقال : كان كذا وكذا في غابر الدهر ، أى في الزمان الماضي ،

ويقال : كان كذا وكذا وكذا ، ثم غير الدهر غبوره ، أى مضى مضيه ،
فهذا الغابر الماضي .

° ° °

• واللفظ (التعزير) من الانسداد :

١ - يقال : عزرت الرجل ، إذا أدبته وعنفته ولتته ، ومنه قول الفقهاء :

يجب عليه التعزير . وعزرت الجاني أعزره تعزيراً إذا أدبته وقوّمته تقويماً .

وكذلك عزّرتُه عزراً بالتخفيف .

٢ - ويقال : عزّرتُ الرجلُ أعزّره تعزيراً ، وعزّرتُه أعزّره عزراً

بالتخفيف ، إذا عظّمته وعصّدته وكرمته .

ففي معنى التعظيم والتكريم والتعصيد :

جاء قول الله تعالى : ﴿ اٰتٰوْمُنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَتَعَزَّوْهُ وَتُقِرُّوْهُ

وَتُسَبِّحُوْهُ بُكْرَةً وَّاٰصِيًا ۝ (٢) .

وقرىء : « وعزّروه » بالتخفيف : أى عظموه .

وقال الشاعر (لمن يعظم في المجلس) :

وَكَمَّ مِنْ مَّاجِدٍ لَهُمْ كَرِيْمٌ وَمِنْ كَيْثٍ يُعَزِّرُ فِي النَّدَى

وقريب من التعظيم والتعصيد ، ما حكى عن القراء أنه قال : العزّ

والتعزير : التعليم . ومنه قول سعد بن أبي وقاص الصحابي : « صحبت رسول

الله ﷺ ، ثم هؤلاء أهل الكوفة يُعزّرنِي » . أى يعلمونى الفقه والأدب .

وعن ابن عباس : (التعزير : النصر بالسيف واللسان) .

* * *

وجاء في التأديب ، قول القُطَّاعِي :
 أَلَا بَكَرْتُ مَيَّ بَغَيْرِ سَفَاهَةٍ تُعَاتِبُ ، وَلِلْوُدُودِ يَنْفَعُهُ الْعَزْرُ (١)
 ويقال : عزرت فلاناً عن كذا وكذا أعزته عزراً : إذا منعه .
 وقال قوم : التعزير الذى هو ضرب دون الحد مأخوذ من هذا .

• • •

• ولفظ (القراء) من الأضداد :
 يقال (القراء) للحمض ، ويقال : للظهر أيضاً .
 والقراء بمعنى الظهر ، هو مذهب أهل المدينة ، والقراء بمعنى الحمض ،
 هو مذهب أهل الحجاز .

وجمع القراء : أقرأ وأقروا . وقال الأصمعي : عن أبي عمرو بن العلاء .
 يقال : قد دفع فلان إلى فلانة تُقْرَأُهَا ، يعنى أن تحمض ثم تطهر للاستبراء .
 وأبو عبيدة يرى القراء : الدخول في الحمض ، والقراء أيضاً : الخروج
 من الحمض إلى الظهر ، فقد لاحظ الوقت . ويقول قطرب : قرأت المرأة :
 إذا حاضت ، وقرأت المرأة : إذا طهرت .

وقال أبو عمرو ، القراء : الوقت ، فقد يكون وقتاً لهذا ، أو لذلك .
 والقول بالوقت معناه التداخل الذى أشار إليه المحدثون ، والمتكرون للأضداد .
 وشاهد القراء بمعنى الوقت ، قول مالك بن الحارث الهذلي (مخضرم) :
 شَتِثْتُ الْعَقَرَ : عَقَرَ بَنِي شَالِيلٍ إِذَا هَبَّتْ لِقَارِئِهَا الرِّيحُ
 (العقر : موضع . شليل : هو جد جرير بن عبد الله البجلي . وقارئها :
 لوقتها . وهو يعتذر عن فراره من الحرب) .

ويقال : قد أقرأت النجوم . إذا غابت . وابن الأنباري يرى هذا حجة
 لمن قال . الأقرأ . الأطهار ، لأنها خرجت من حال الطلوع إلى حال الغيبة .
 ويقول ابن الأنباري . روى أبو عبيد عن الأصمعي وأبي عبيدة ،

(١) أضداد أبي الطيب ٥٠٦/٢ ، وابن الأنباري ١٤٧ ، وقطرب ٥٠ .

أنه يقال : « قد أقرأت المرأة إذا دنا حيضها . وأقرأت إذا دنا طهرها » .
وروى غير أبي عبيدة : أقرأت وقرأت إذا حاضت ، وإذا طهرت أيضاً .
وبرجح ابن الأنباري ما رواه أبو عبيدة (١) .

ومعنى هذا . أنه الوقت ، أو الدخول في الطهر أو الحيض ،
أو الدنو منها .

وقال قطرب : « قرأت المرأة » ، بمعنى حلت .

وقال أبو عبيدة : يقال : ما قرأت الناقة سلاً قطاً ، أى لم تضم ولداً
في رحمها ، وأنشد عمرو بن كلثوم :

ذراعتي حرّة أدماء بكرٍ هجانٍ اللونِ لم تقرأ جنيناً
أى لم تضم في رحمها ولداً .

وهذا معنى آخر للقرء ، وهو مأخوذ من « قرأ » بمعنى جمع .

وروى ابن الأنباري عن أبي العباس عن سبعة عن القراء ، قال : يقال :
أقرأت المرأة إذا حاضت ، وقرأت : حلت .

° ° °

ومن الحجة لمن قال ، القرء : الطهر ، قول الأعشى :

وفي كلِّ عامٍ أنت جاشمٌ غزوةٍ تُشدُّ لأقصاهَا هَزِيمَ مَرَاثِكَا
مُورِثَةٍ مَالَا وفي الأصلِ رِفْعَةٌ لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا^(٢)
(معناه : لما ضيعت من أطهار نسايتك فلم تغشهن مؤثراً الغزو ،
فأورثك ذلك المال والرفعة) .

° ° °

ومن الحجة لمن قال : القرء الحيض :

قول النبي ﷺ للمرأة : « دَعِي الصَّلَاةَ أَيَّامَ أَقْرَائِكَ » .

(١) أستاذ ابن الأنباري ٢٧ ، وأبي الطيب ٥٧١/٢ ، والأصمعي ، وابن السكيت : ١٦ :
واللسان (قرأ) .

(٢) أستاذ قطرب ٩٩ ، وابن السكيت ١٦٥ ، وأبي الطيب ٥٧٥/٢ ، واللسان : (قرأ) .

وقال : قد تحيض المرأة إذا تركت الصلاة أيام الحيض ، ومن ذلك الحديث الذي يروى في المستحاضة . أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : « احْطِي كُوسًا » قالت : إني أُتْبِعُ نَجًّا . فقال : « اسْتَفْرِى وَتَحَيِّضِي فِي عِلْمِ اللَّهِ سِتًّا أَوْ سَبْعًا ، ثُمَّ اغْتَسِلِي وَصَلِّي » (١) . أى . اتركى الصلاة أيام الحيض . (والكَرْسُ والْبِرْسُ والطَّائُ : القطن . والثَفَرُ : ما تلجم به المرأة فرجها في الحيض) .
فالقرء هو الحيض أَر هو الطهر .

* * *

● ولفظ (تلحج) من الأضداد :

يقال : قد تلحج الرجل : إذا أقام في الموضع وثبت .
وتلحج إذا زال وذهب . وكذا مقلوبه : (تحلج) .
جاء بمعنى أقام وثبت : فيما روى بالسعد الطويل الثابت :
« أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة ودخلها جاءت ناقته إلى موضع المنبر ، فاستناحت وتلحجت » أى : ثبتت .
وقال ابن مقبل (في معنى ثبتوا) :

أَنَّا إِذَا قِيلَ انْفِرُوا قَدْ أَتَيْتُمْ أَقَامُوا عَلَى أُنْقَالِهِمْ وَتَلَحَّجُوا

* * *

وجاء بمعنى تحرك وذهب ، قول امرأة تدعو على زوجها بعد كبره :
تَقُولُ وَرَبًّا كُلَّمَا تَنَحَّجْنَا شَيْخٌ إِذَا حَرَّ كُنْتُ تَلَحَّجًا (٢)
(أى : تحلج ، فندم وأخر ، كما في جذب وجذب ، وعث وعثا .
وتلحج : تحرك) .

ونقول لمن نريد تحركه : تلحج يارجل .

* * *

• واللفظ (لحن) من الأضداد :

يقال للخطأ : لحن . ويقال للصواب : لحن . رواه أبو العباس عن ابن الأعرابي .

وشاهده بمعنى الصواب ، قوله تعالى : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّهُمْ فِي لَحَنِ الْقَوْلِ ﴾ ^(١) أى فى صواب القول وصحته .

وروى بالسند عن أبي بن كعب ، قال : « تَعَلَّمُوا اللَّحْنَ فِي الْقُرْآنِ كَمَا تَعَلَّمُونَهُ » .

قال ابن الأنبارى : يجوز أن يراد باللحن هنا : الصواب ، ويجوز أن يكون الخطأ : لأنه إذا عرف القارىء الخطأ عرف الصواب .

وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، وَالسُّنَّةَ ، وَاللَّحْنَ ، كَمَا تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ » وجوز ابن الأنبارى فيه الوجهين أيضا .
وسئل يزيد بن هارون عن اللحن فى حديث همر . فقال : النحو .

ويقول عمر بن عبد العزيز : « عَجِبْتُ لِمَنْ لَا حْنَ النَّاسُ ، كَيْفَ لَا يَعْرِفُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ » : أراد به « لاحن » : فاطن .

وقال أبو العالية : كان ابن عباس يعلمنا لحن الكلام .

وقال لبيد :

مُتَمَوِّدٌ لِحْنٍ يُعِيدُهُ بِكَفِّهِ قَلَمًا عَلَى عُسْبٍ ذَبَانٍ وَبَانٍ

وقال القتال :

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْلًا تَفْهَمُوا

وَوَحَيْتُ وَحْيًا كَيْسَ بِالْمُرْتَابِ

وقال ابن أحر يصف صحيفة كتبها :
وتعرفُ في عُنوانِها بِمَعْضَ لَحْنِها وَفِي جَوْفِها حَمِيمَةٌ تُبْئِلُ الدُّوَاصِيا
(فالقتال ما أخطأ ليفهموا ، وابن أحر لا يصف ما كتب بالخطأ ،
والصمماء : الداهية) .

وأنشد أبو العباس وغيره . كما ذكر ابن الأنباري :
وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مِمَّا تَشْتَهِيهِ النُّفُوسُ يُوزَنُ وَزْنًا
مَنْطُوقٌ صَائِبٌ وَتَلَحُّنٌ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا
فسر ابن الأنباري ، « تلحن » و « لحنا » بالصواب والقطنة . وفسره
ابن قتيبة بالخطأ ، لأن الشاعر - في رأيه - استملح ما يقع من الخطأ في كلام
هذه المرأة . ورد عليه ابن الأنباري بأن هذا محال ، لأن الخطأ في الكلام
إنما يستقيم وقوعه من الجفسين . ويستملح البارع الصائب . وذكر نماذج
للتصبيعات من شهرات النساء (١) .

* * *

وما ذكر في اللحن بمعنى « الخطأ » .
أن العرب كانت تُدْرِبُ المرءين وتنفقص اللاحنين وتبعدهم :
فالرسول ﷺ يقول : « رحم الله امرأً أصلح من لسانه » .
وابن عمر رضى الله عنهما ، كان يضرب بنيه على اللحن .
ويستقيح عمر بن الخطاب رضى الله عنه رمى قوم ، فيقول لهم : ما أسوأ
رميكم : فيجيبونه : نحن قوم « متعلمين » ، فيقول : لحنكم أشد على من
فساد رميكم .

(١) أضعاد ابن الأنباري ٢٤٠ ، وأمالى القالى ٤/١ ، والريية • ليومان نك •
(لحن) • والسان : (لحن) .

وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أعرّبوا الكلام كنى تُعربوا القرآن » .

وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول : أكاد أضرس إذا سمعت اللحن .

ولحن محمد بن سعد بن أبي وقاص في بعض الأوقات ، فقال : (حس)
لانى لأجد مرارتها في حلقي . (أفترأه كان يقولها ، لو كان اللحن هنا هو الصواب ؟) .

ويستأذن رجل من عليّة أهل الشام على عبد الملك بن مروان ، فيفعل الشطرنج الذي كانوا يلعبون به ، فلما دخل الرجل فتكلم لحن . فقال عبد الملك : يا غلام . اكشف عنها الغطاء « ليس للاحن حُرمة » .
ويضع أبو الأسود الدؤلى باب التعجب كما قيل لأن ابنه أخطأت في قولها : ما أشدّ الحر ، بدلا من : ما أشدّ الحرّ ، وقيل : ما أجلّ السماء ، وما أجلّ السماء !! .

وشكا رجل خفنه إلى عبد العزيز بن مروان ، فيسأله : ومن خفّك ؟
(يفتح النون) فيجيبه الرجل : خفّني اخلتان . فجعل عبد العزيز . وألزم نفسه بأن يتعلم النحو^(١) .

* * *

• ولفظ (هجْد) من الأضداد :

فالهاجد : النائم : والهاجد : اليقظان الساهر ، حكى ذلك أبو حاتم .
وقال قطرب : هَجَدَ يَهْجُدُ هُجُودًا ، إذا نام ، وإذا سهر .
وقال الأصمعي : الهاجد : النائم ، والهاجد : المصلي بانهليل .

وشاهد المجهود بمعنى النوم : قول المرقش الأكبر :
سرى ليلا خيالاً من سُلَيْمَى فَأَرْقَى وَأَصْحَابِي هُجُودُ
أُمَى نِيَامِ .

وقال لبديد بن ربيعة يصف رجلاً غلبه النعاس في السفر :
قال : هَجْدُنَا فَقَدْ مَنَّكَ السَّرَى وَقَدَرْنَا إِنْ خَنَّا الدَّهْرَ غَفْلُ
(والمعنى : قدرنا على ما نريد ، وطال سرائنا ، فقيم بنا ونؤمنا) .
وأشد الأصمعي قول الخطيئة يمدح بغيض بن عامر :
لخياك ربى مَنْ هَدَانِي لَفْتِيَةِ وَخُوصِ بِأَهْلِ ذِي طُوَالَةِ هُجْدِ
(خوص . وصف لناقة غائرة العينين . وذى طوالة : موضع) .
وقال الأخطل :

عوامدٌ للألجام أجلام خامرٍ يُبْزَنُ قَطْلًا لَوْلَا مُرَاهُنٌ هُجْدًا (٣)
(الألجام : واحدها لجم : ما بين الحزن والسهولة ، وهجدا : نياما) .

* * *

ومن شواهد « المجهود » بمعنى السهر ، جاء قول الله تعالى : ﴿ وَمِنْ
الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (٢) . قال القوزي . معناه : صل به .
وقال غيره : فتعقظ به . وقال ابن الأنباري : فاسهر به .

وقال نابغة بنى ذبيان في وصف المتجردة :

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْطَرِّ رَاهِبٍ عِندَ الْإِلَهِ صَرُورَةٌ مُتَهَجِّدٍ
لَرْنَا لِبَهْجَتِهَا وَحَسَنَ حَدِيثِهَا وَلِغَالَةِ رُشْدِهَا وَإِنْ لَمْ يَرُشِّدْ (٣)
(الصرورة هاهنا : الذي لم يأت النساء قط . متهجج : ساهر) .

(١) أزداد الأصمعي ٤٠ ، والسجستاني ١٢٤ ، وابن السكيت ١٩٤ ، ومخزنات
ابن السجري ١٥ ، والاسان (هجد) . (٢) الإسراء : ٧٩ . (٣) السابق .

وقال آخر: (وجدته في المفضليات ، وفي مجالس ثعلب ، لامرأة من
بنى حنيفة ترى يزيد بن عمرو (الحنفي) :

ألا هلك امرؤٌ ظلت عليه بِشَطٌّ عُنَيْزَةٌ بقرٌ هُبُودُ
(أراد نسوة كالقفر في حسن أعينهن ، سواهن) .

وقال الشاعر :

أَسْرَى لِأَشْعَثَ هَاجِدٍ بِمَفَازَةٍ بِخِيَالٍ نَاعِمَةِ السَّرَى مِكْسَالٍ

وقال الآخر :

بَسِيرٌ لَا يَنْبِغُ الْقَوْمُ فِيهِ لِسَاعَاتِ الْكَرَى إِلَّا هَجُودًا
معناه إلا ساهرين ، أى : من السهر نومه وإناخته ، فلا نوم ولا إناخة له .
وسابٌ أعرابى امرأته ، فقال : عليها لعنة التهجدين ، يريد الساهرين
بذكر الله تعالى والمصلين بالليل .

وروى أبو الطيب بالسند عن ابن عباس ، رضى الله عنهما : قال :
« يُحْسَبُ أَحَدُكُمْ إِذَا قَامَ بِاللَّيْلِ أَنَّهُ قَدْ تَهَجَّدَ ، لَا ، وَلَكِنْ حَتَّى يَقُومَ ،
ثُمَّ يَنَامَ ، ثُمَّ يَقُومَ ثُمَّ يَنَامَ ، ثُمَّ يَقُومَ ثُمَّ يَنَامَ ، فَذَلِكَ التَّهَجُّدُ بِاللَّيْلِ » ^(١) .

• • •

• ولفظ (وراء) من الأضداد :

يقال للرجل : وراءك ، أى خلفك ، ووراثك : أى أمامك ، حكام
أبو عبيدة .

قال كُثَيْبٌ عَزَّةٌ فِي مَعْنَى (الْخَلْفِ) :

الضَّارِبُونَ أَمَامَهَا وَوَرَاءَهَا بِمُهَنْدَاتٍ قَدْ أُجِيدَ صِقَالُهَا

(١) أضداد ابن الأنبارى ٥٠ ، وأبو الطيب ٦٨١/٢ ، ومجالس ثعلب ٢٩٨ ،
والمفضليات ٧٣/١

وقال تعالى : ﴿وَلَا نُنِي خِفْتُ لَلْوَالِي مِنْ وَرَائِي﴾^(١).

وفي معنى الوراء أيضاً ولد الولد ، سأل ابن عباس رجلاً من هذيل عن رجل ، فقال : مات . وترك كذا وكذا من الولد ، وثلاثة من الوراء ، أى من ولد الولد .

وذكر الفراء عن بعض المشيخة ، قال : أقبل الشعبي ومعه ابن له ، فقيل له : أهذا ابنك ؟ فقال : هذا ابني من الوراء : يريد من ولد الولد^(٢) . وعلى ذلك معنى قوله تعالى : ﴿فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾^(٣) .

وجاء في معنى الأمام والقدام ، قول الله تعالى : ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيَةٍ غَضَبًا﴾^(٤) .

يعنى قدامهم وأمامهم . وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقرؤها : « وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا » .

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾^(٥) .
أى : من قدامه .

وقال تعالى : ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾^(٦) .

وقال المرتضى الأكبر :

لَيْسَ عَلَى حُلُولِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ وَمِنْ وَرَاءِ الْمَرْءِ مَا يَعْلَمُ

وقال سوار بن المضرب ، وأنشده قطرب وأبو عبيدة :

أَتَرَجُّوْا بَنُو مَرْوَانَ سَمِيَّ وَطَاعَتِي وَقَوْمِي تَمِيْمٌ وَالْغَلَاةُ وَرَائِيَا

(١) مريم : ٨٣ ، وأبى الضيب ٦٥٧/٢ ، وقطرب ٩٥ ، وابن الأنباري ٦٩

(٢) الكهف : ٢٩

(٣) هود : ٦١

(٤) المجانية : ١٠

(٥) إبراهيم : ١٢

ويقول لبيد بن أبي ربيعة :

أَكَيْسَ وَرَأَى إِنْ تَرَأَخْتَ مَنِيَّ لُزُومُ الْعَصَا تُحَنِّي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ
أَخْبِرْ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ أَدَبٌ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ

وقال عروة بن الورد (جاهلي) :

أَكَيْسَ وَرَأَى أَنْ أَدِبَ عَلَى الْعَصَا فَيَأْمَنَ أَعْدَائِي وَيَسْأَمُنِي أَهْلِي
وَأُنْشِدُ قَطْرَ النَّبَاطَةِ الذَّبْيَانِي :

حَافَلْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وَلَئِيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لَأَمْرُهُ مَذْهَبٌ (١)

أراد وليس قدامه ، وزاد ابن الأنباري : ويقال معناه : وليس سوى

الله ، على حد قوله تعالى : ﴿ وَيَسْكُتُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾ (٢) .

* * *

• التشبيه بالأضداد .

ذكر بعض علماء الأضداد على أن من الألفاظ ما يفسر تفسيرين
مضطلفين ، لكنها لا تستحق اسم الأضداد ، ولما كانت قريبة التفسير من
معنى التضاد ، أطلقوا عليها شبه الأضداد .

ونبه عليها ابن سيده في المختص ، وجعلها ملحقة بالأضداد .

وذكر ابن الأنباري بعض هذه الألفاظ في أضداده ، وعظمها من
ألفاظ الألوان .

(والتنبه على التشبيه بالأضداد ، يعني : أن علماء الأضداد لم يجمعوا
كل ماهب ودب ، ونسبوه للأضداد ، كما تقدم بذلك بعض المحققين .
ولما دعاهم إلى القول بالضد أو شبه للنص والاستعمال) .
وهذه نماذج من التشبيه بالأضداد :

(١) أضداد ابن الأنباري ٦٨ ، وقطرب ٩٥ ، واللفظيات ٢٣٩ ، والأصمعي ٢٠ .
وابن السكيت ١٧٦ ، والمعزني ٥٢ ، والشر والشعراء ٣٣٧ (٢) البقرة : ٩١ .

• « الأحمر ، مما يشبه الأضداد :

يقال : أحمر للأحمر ، ويقال : رجل أحمر ، إذا كان أبيض أيضاً :
قال أبو عمرو بن العلاء : أكثر ما تقول العرب في الناس : أسود ،
وأحمر ، قال : وهو أكثر من قولهم : أسود وأبيض .

وأنشد ابن السكيت لأوس بن حجر :
وَأَحْمَرُ جَعْدًا عَلَيْهِ النَّشُورُ وَفِي ضَبْنِهِ ثَعْلَبٌ مُنْكَسِرٌ
(ضبته : لبطه . والثعلب : ما دخل من طرف الزمخ في جبة السنان) .

* * *

• و « الأخضر ، مما يشبه الأضداد :

يقال : للأخضر أخضر ، وللأسود أخضر أيضاً :

قال الشاعر :
وَلَيْلٍ كَوْنِ السَّاجِ أَسْوَدَ مُظْلِمٍ قَلِيلِ الْوَعَى دَاجٍ كَلِيلِ الْأَرَنْدَجِ
(الساج : طيلسان أخضر . فشبه الليل بالطيلسان الأخضر ويريد شدة
سواده . والوعى : الصوت والأرندج : جلود سود) .

وقال أبو هريرة : « أَصْغَابُ الدَّجَالِ عَلَيْهِمُ السَّيِّجَانُ ، شَوَارِبُهُمْ
كَالنَّصِيصِ » ، وَخِفَافُهُمْ تُحْرَطَةٌ » .

(والنصيص : قرون البقر . وتحرطمة : لها خراطيم) .

وقال ذو الرمة : (في ظل ليل مظلم) :
قَدْ أَغْشَى النَّازِحَ الْمَجْهُولَ مَعْسِفُهُ فِي ظِلِّ أَخْضَرَ يَدْعُوها مَهُ الْبُومُ (١)
(أعسف : سار على غير هدى . النازح : التجميد . والمجهول : الذي
لا علم له . والأخضر : يقصد به هاهنا الليل . والهام : ذكر البوم) .

(١) أضداد ابن الأثير ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ودبوان ذى الرمة ٧٤ .

وبعض المفسرين فسر قول الله تعالى : ﴿ مَذْهَبَانِ ﴾^(١) . فقال :
خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الري .

وقال الهمي : (أبو أمية الفضل بن العباس بن عتبة) يفخر بأن لونه
أسود كلون العرب :

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجِلْدَةِ من بيت العرب

* * *

• و « الأسود ، شبيه بالأضداد :

يقال للأسود : أسود . ويقال درهم أسود : إذا كان أبيض خالص
القضة جيدها .

روى بالسند : أن الأعشى سئل عن حديث فأنى أن يحدث به . فلم يزل
المسائلون يحاورونه ويداورونه . حتى استخرجوه منه . فضرب لهم مثلاً .
فقال : جاء قَفَّافٌ إلى صيرفي بدرهم يريه إياها قنف منها الصيرفي سبعين
درهماً ، فلما وزنها القفاف عرف النقصان ، فقال :

عَجِبْتُ عَجِيبَةً مِنْ ذَنْبِ سُوءٍ أَصَابَ قَرِيسَةً مِنْ لَيْثِ غَابٍ
وَقَفَّ بِكَفِّهِ سَبْعِينَ مِنْهَا تَنَفَّاهَا مِنَ السُّودِ الصَّلَابِ
فَإِنْ أَخْدَعَ قَدَّ أَخْدَعُ وَوُيُخَذُ عَتِيقُ الطَّيْرِ مِنْ جَوْ السَّحَابِ
(قفاف : سارق الدراهم بإصبعه . السود : يقصد البيض) .

وقال بعضهم : ليس الأسود من الأضداد ، لأن الدرهم إذا وصف
بالسواد فإنما يذهب به إلى أنه قديم القضة جيدها ، وأنه قد تغير لونه ،
واسود بعض الاسوداد ، لمرور الأيام والليالي ، كما حكى ابن الأنباري^(٢) .

* * *

(١) الرحمن : ٦٤

(٢) أضداد أبو الطيب ١/٢٣١ ، وابن الأنباري ٣٤٩ ، ومعجم الشعراء ٣٠٩ ،
وللأؤتلف والمختلف ٣٥

شواهد المترادف

• نموذج من (الترادف) في اللغة العربية :

ذكر القالى باباً في (مطلب أسماء الزوجة) ، جاء فيه أنها :
الحليلة ، والعرس ، والحوبة ، والطة ، والبضة^(١) . ومنها أيضاً :
الزوج ، والزوجة ، والتعميدة ، والحديد . قالت أم تمنى حظها في ابنها :
فَلَمَّا تَرَجَّتْ نَفْعَهُ وَشَبَّابُهُ أَتَتْ دُونَهَا أُخْرَى حَدِيدًا تَسْكُلُ^(٢)
ومنها : الحنة ، والبهمة ، والحال بلغة هذيل ، قال الأعمى :
لِإِنَّ لَدَّكَرْتَ حَالَكْ غَيْرَ عَصَرٍ وَأَفْسَدَ صُنْعَهَا رِيكَ الْوَجِيفُ
قال الجحى : الحال : المرأة ، هكذا سمعتها من أعراب هذيل .

وقال الأعمى :

يَلَطُّمٌ وَجَهَ حَفَّتُهُ إِذَا مَا تَقُولُ : تَلَفَّتَنَ إِلَى الْعِيَالِ
وهي أيضاً : طلقة ، وربضة ، وجارته ، وامراته (كله بمعنى واحد)^(٣) .

* * *

• ويقول ابن هذيل الأندلسي :

من أسماء السيف : الجنى ، والصفحة ، والقضيب ، والصفيل ،

والخشيب ... يقول طرفة بن العبد :

فَأَلَيْتُ لَا يَنْفُكُ كَشْحِي بَطَانَةً لِعَضْبٍ صَيْلِ الشَّفَرَتَيْنِ مُهَمِّدٍ
حُسَامٍ إِذَا مَا قُتُّ مُتَّصِرًا كَنَى الْعُودَ مِنْهُ الْهَيْدَةُ كَيْسَ يَمْتَصِدُ^(٤)

* * *

(١) أمالى القالى ١٩/١ (٢) ديوان عروة بن الزور ٥٨

(٣) شرح أشعار هذيل ٣١٩/١ - ٣٢٩

(٤) حلية القرساق ، لابن هذيل ١٩١ - ١٩٢

• وقال أبو العلاء المعري : في الأصل ومرادفه : السنج ، والنجار ،
والنصاب ، بمعنى الأصل ^(١) .

وقال ابن دريد : النجار بمعنى الأصل ، واستشهد بقول زرار
ابن فردان :

قَدْ اخْتَلَطَ الْأَسْفَلُ بِالْأَعَالِي وَمَا جَ النَّاسُ وَاخْتَلَطَ النَّجَارُ ^(٢)
وقال الضبي : المجد : الأصل ، والمجد ، والمحتد ، والنحت ، والأرث ،
والنفس . قال يزيد بن الحذاق الشني :

يَأْتِي لَنَا أَتَا ذُووْ أَنْفٍ وَأَصُولُنَا مِنْ مَحْيِدِ الْمَجْدِ
وقال المعاج : * مِنْ قَنْسٍ مَجْدٍ فَوْقَ كُلِّ قَنْسٍ *
ويقال فيه أيضاً : ضُضِي ، وجَذَل ، وأرُومَة ، وصَلَب ، وسِنْخ ،
ونُحَاس ، وأنشد يعقوب :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ نُحَاسٍ قَصَّرَ مِقْيَاسَكَ عَنْ مِقْيَاسِ
وقال للشاعر :

أَنَا مِنْ ضُضِيٍّ صِدْقٍ بَخٍ ، وَمِنْ أَكْرَمِ جِذَلٍ
مَنْ عَزَانِي قَالَ : بِهِ بِهِ سِنْخٌ ذَا أَكْرَمِ أَصْلٍ
وقال ضمرة النهشلي :

وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ أُرُومَتِي بِقَاعٍ إِذَا عُدَّ الرَّوَائِي الْمَوَاجِدُ
وقال الشاعر .

أَجَلْ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَضَّلَكُمْ فَوْقَ مَا أَحْكِي بِصُلْبٍ وَإِزَارٍ ^(٣)

(١) شرح ديوان ابن أبي حصينة ، للمعري ٤٧ ، ٨٢

(٢) الاشتقاق لابن دريد ٢٩٥

(٣) ديوان الضبي ، بشرح ابن الأنباري ٤٩٥ ، وشرح ديوان الحماسة ١/ ٢٢٢ ،

رَوَاهُ الْفَخَّالُ ١٦٢ - ١٨

ومن رسالة عامر بن غرسية في الشعوبية : « أرومة رومية ، وجرثومة
أصفرية » ، فرد عليه أبو الطيب القروى : « وعلام جثنت أصلك من الأقباط
وأزحت فصلك عن الأقباط ؟ والعرب أهل الغرائر الكريمة ، والنحائر
السليمة » (١) .

وقال عوف بن الأحوص .

* مُلُوكٌ كَلَى أَنَّ النَّحِيَّةَ سُوْقَةٌ * (٢)

(والنحيتة : النجر والأصل) .

يقول الحضرمي في تذكرة الحفاظ :

(كالأصل) والعنصر قل جُرْثُومَةٌ والنَّجْر والضنْفِيَّة والأرُومَةُ (٣)

ومحمدٌ وَتَبَعَةٌ وَمَنْبَتٌ عِرْقٌ نَجَارٌ مَغْرِسٌ أَبُوهُ

* * *

• وذكر القالى ما يقال (للسنام) : كالدروة ، والشرف ، والقصة ،
والقعدة ، والهودة ، والعريكة ، والكنز .

وأشد قول علقمة بن عبدة :

* كَثُرَ كَحَافَةٌ كَبِيرِ الْقَيْنِ مَلُومٌ *

وقال الأصمعي : ولم أسمع بالكثرة إلا في هذا البيت (٤) . إنما يدل على
سعة اللغة ، وأن بعضها ضاع .

ويقول الحضرمي :

كُلُّ حَسَنٍ وَاجْمَالٍ قُلْ نَضَّارُهُ وَسَامَةٌ وَضَاءَةٌ وَنُضْرَةٌ

صِبَاحَةٌ مَلَاخَةٌ رِشَاقَةٌ وَرَوَاقٌ وَزُهْرَةٌ وَزَيْنَةٌ

٤

(١) نوادر المخطوطات ١/٣٢٣ (٢) شرح ديوان المفضليات لابن الانباري ٣٥٢

(٣) تذكرة الحفاظ ، للحضرمي ٢ - ١٦ (٤) أمانى القالى ٢/٢٥٣

مثل (عطية) حياء نَحْلَه وَمُنْعَه وَصِلَه وَنُصْفَه
 موهبة نافلة وجائزه وصفد رِفْدٍ وَنَبْل عائله
 ومن أسامى (الحمر) قل سُلَافَه رَاحُ حَيَا خَنْدَرِيس قَهْوَه
 وعاتق وَفَرَقَتْ مُدَامَه لِمَ رَحِيقٌ وَغُقَارُ مُرَه
 وسلسيلٌ وَكُنَيْتٌ وَطَلَا صَهْبَاهُ أَمْ كُلُّ خُبَيْثٍ وَبَلَا
 (كالوت) حَتَفَ وَوَفَاةٌ وَحَامٍ مَنِيَه سَامٌ وَحَيْنٌ وَلِزَامٌ
 كل منونٍ وَهَالِكٍ وَرَدَى قَاضِيَه قَصَى يَقِينٌ وَرَدَا
 (كالقبر) لَحْدٌ حَدَثٌ حُفْرَه رَمَسٌ ضَرِيحٌ رَجْمٌ حَاوِرَه
 (كالغفو) غُفْرَانٌ تَجَاوَزٌ كَذَا إِقَالَه إِغْضَا وَصَفَحَ حَبْدًا^(١)

وفي القرآن الكريم أمثلة واضحة للترادف ، قال تعالى :

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ ﴾ ، ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ﴾ .
 ﴿ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا ﴾ ، ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا ﴾ .
 ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ ، ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ .
 ﴿ مَاوَأْتُمْ جَهَنَّمَ ﴾ ، ﴿ مَقَوَأْتُمْ جَهَنَّمَ ﴾ ، ﴿ أَشْكُو بَثِّي وَحُزِّي إِلَى اللَّهِ ﴾ .
 ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ .
 ﴿ تَا اللَّهُ لَقَدْ أَتَرَكُ اللَّهَ عَلَيَّهَا ﴾ ، ﴿ وَأَنْتَى فَضَّلْتَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

وراجع (الخجلال) بمعنى السم^(٢) ، في المداخل ، للطروز الزاهد ،
 وقد سقناه كنموذج من كتاب المداخل ، في هذا الكتاب .

والحمد لله رب العالمين .

* * *

ثبت المراجع

- الإبدال : لأبي الطيب عبد الواحد الهنوي . تحقيق عز الدين القنوصي
ط . دمشق ١٣٨٠ هـ
- الإبدال والمعاقبة والنظائر : للزجاجي (الكنز اللغوي) ط بيروت
- الإبل : لعبد الملك بن قريب الأصمعي (الكنز اللغوي) ط بيروت
- الإتيان في علوم القرآن : لجلال الدين السيوطي . ط الثالثة : القاهرة ١٣٧٠ هـ
- الأجناس من كلام العرب ، وما اشبهه في اللفظ واختلاف في المعنى :
لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي . تصحيح الرامغوري ط الهند ١٣٥٦ هـ
- الإحكام في أصول الأحكام : للآمدني ط صبيح ، القاهرة ١٣٨٧ هـ
- أحكام القرآن : للجصاص . ط أولى . دار الكتاب بيروت ١٣٣٥ هـ
- أدب الكاتب : لابن قتيبة . ط القاهرة ١٣٥٥ هـ
- أدب الكتاب : لأبي بكر الصولي . تصحيح بهجة الأثرى . ط السفينة
بمصر ١٣٤١ هـ
- الأزمنا : لأبي علي بن السقير قطرب . (ط المجمع العلمي بدمشق ١/٣٤ ،
المجلد : السنة الثانية)
- أساس البلاغة : لجلال الله محمود الزغشري .
- أسرار البلاغة : للإمام عبد القاهر الجرجاني . ط الاستقامة . القاهرة
- الاشتقاق : لابن دريد الأزدي - تحقيق عبد السلام هارون . ط مصر ١٣٧٨ هـ
- إصلاح المنطق : لأبي يوسف بن السكيت . تحقيق شاكر ، وهارون .
ط . دار المعارف بمصر ١٩٥٦ م
- الأصمعيات : لعبد الملك بن قريب الأصمعي . ط القاهرة دار المعارف
بمصر ١٩٦٤ م

- الأضداد : لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري . تحقيق أبو الفضل إبراهيم ط الكويت

- أضداد ابن الدهان : لأبي محمد سعيد بن المبارك . ط النجف بالعراق ١٣٧١ هـ

- أضداد ابن السكيت : لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت .

(ثلاثة كتب في الأضداد) ط الكاثوليكية بيروت ١٩١٢ م

- أضداد السجستاني : لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ثلاثة كتب في

الأضداد) بيروت ١٩١٢ م

- أضداد الأصمعي : للأصمعي . (ثلاثة كتب في الأضداد) ط الكاثوليكية

بيروت ١٩١٢ م

- أضداد الصغاني : لأبي الفضل الحسين بن محمد الصغاني . (ذيل ثلاثة كتب

في الأضداد) ط الكاثوليكية - بيروت ١٩١٢ م

- أضداد قطرب : لأبي علي بن المسكين قطرب (في مجلة إسلاميك الألمانية)

وعندي نسخة مصورة منه .

- الأضداد في اللغة : للأستاذ حسين محمد (القاهرة) مجلة اللسان العربي

مجلد ٨ ج ١ ص ٩٣ - ١٢٠

- التضاد في ضوء اللغات السامية : دراسة مقارنة . د. ربحي كمال . ط بيروت ١٩٧٢ م

- الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني . ط بيروت . و ط دار الكتب المصرية

سنة ١٩٣٥ م

- الأفعال : لابن القطاع . ط الهند ١٩٦٠ م

- الأفعال : لابن القوطية . ط القاهرة ١٩٥٢ م

- الألفاظ : لابن السكيت . ومعه (تهذيب الخطيب التبريزي)

ط الكاثوليكية - بيروت ١٨٩٥ م

— الألفاظ اللغوية : خصائصها وأنواعها . للأستاذ عبد الحميد حسن . القاهرة
سنة ١٩٧١ م

— أمالي الزجاجي : لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي . ط القاهرة
١٣٢٤ هـ

— أمالي السهيلي : تحقيق الأستاذ إبراهيم نجا . ط القاهرة
— أمالي القالي : لأبي علي القالي ، ومعه (ذيل الأمالي) ط دار الكتب
المصرية ١٣٤٤ هـ

— أمالي المرتضى : (غرر الفوائد ، ودرر القلائد) للشريف المرتضى ،
تحقيق أبو الفضل إبراهيم . ط أولى - القاهرة ١٣٧٣ هـ

— الإنصاف في مسائل الخلاف : لابن الأنباري . ط القاهرة ١٣٦٤ هـ
— البيان والتبيين : لأبي عمرو الجاحظ - تحقيق هارون - ط الثالثة مصر ١٣٨٨ هـ
— بصائر ذوي التمييز ، في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين الفيروز آبادي
تحقيق الشيخ محمد علي النجار . ط أولى . المجلس الإسلامي . القاهرة ١٣٨٥ هـ
— البئر : لابن الأعرابي . تحقيق د. رمضان عبد التواب . ط وزارة الثقافة
بمصر ١٩٧٠ م

— تاج العروس من جواهر القاموس : للزبيدي . ط أولى ١٣٠٦ هـ
— تاريخ آداب العرب : لمصطفى صادق الرافعي . ط أولى ١٩١١ م ، وط ثانية
١٣٧٣ هـ

— تاريخ آداب اللغة العربية : جورجى زيدان . ط دار الهلال بمصر ١٩٥٧ م
— تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان أعجاز القرآن : لابن أبي الإصبع
المصري ط القاهرة ١٣٨٣ هـ

— تنقيف اللسان وتلقيح الجنان : لابن مكي الصقلي . تحقيق عبد العزيز مطر
القاهرة ١٣٨٦ هـ

- تذكرة الحفاظ في بعض مترادف الألفاظ : لسعيد بن نهان الحضرمي ،
ط الحلبي بمصر ١٣٧٩ هـ

- القطور النفوى التاريخي : لادكتور الساعرائي . ط دار الرائد بمصر ١٩٦٦ م
- (تفسير) : تفسير جامع البيان : للطبري ، وتفسير القرآن العظيم : للجلالين ،
والتفسير الكبير : للوازي ، والجامع : للقرطبي ، وتفسير الكشف : للزحشمري ،
وتفسير غريب القرآن : لابن قتيبة .

- تأويل مشكل القرآن : لابن قتيبة . ط . القاهرة

- التمام في تفسير أشعار هذيل ، مما أغفله السكري : لابن جني . ط أولى بغداد
١٣٨١ هـ

- اللجان في تشبيهات القرآن : لابن نايف الميغدادى . تحقيق الزرور والداية
السكريت ١٣٨٧ هـ

- جهرة اللغة : لابن دريد الأزدي . ط الهند ١٣٤٤ هـ

- جهرة أمثال العرب : لأبي هلال العسكري (على هامش مجمع الأمل - مال
الميداني) ط القاهرة ١٣١٠ هـ

- جهرة أشعار العرب : لأبي زيد القرشي . ط دار صادر ، بيروت ١٣٨٣ هـ
- حاشية البناني على شرح المحلى ، على متن جمع الجوامع للسبكي . ط دار إحياء
للكتاب بمصر .

- الحماسة الشجرية : لأبي السعادات الحسن العلوي . ط الهند ١٣٤٥ هـ

- حلية الفرسان وشعار الشجعان : لابن هذيل الأندلسي ، ط دار المعارف بمصر
- حياة الحيوان الكبرى : لسكندر الدين محمد بن موسى الدميري . ط ثالثة .

الخطي بمصر ١٣٧٦ هـ

- الحيوان : للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . ط ثانية . الحلبي بمصر
- الخصائص : لأبي الفتح عثمان بن جني . تحقيق الشيخ محمد علي النجار .

ط دار الكتاب بمصر ١٣٧١ هـ

- خلق الإنسان : للأصمعي (السكندر اللغوي) ط السكاكوليكية بيروت
- دراسات في فقه اللغة : للدكتور صبحي الصالح . ط ثالثة بيروت ١٣٨٨ هـ
- دلائل الإعجاز في علم المعاني : عبد القاهر الجرجاني . ط أولى . القاهرة ١٨١٣ م

- دلالة الألفاظ : د . إبراهيم أنيس . ط القاهرة ١٩٥٨ م
- (ديوان) اطلعت على مجموعة كبيرة من الدواوين الشعرية - حوالى الثلاثين ديواناً - للشعراء الجاهليين ، والمختصرين ، ومن بعدهم ، ممن يحتاج بشعرهم ، كما هو ميثوث في ثنايا الكتاب .

- وهناك دواوين شرحها الأعلام اطلعنا عليها ، ومنها :
- ديوان الخطيئة (شرح ابن السكيت، والسكري، والسجستاني ط الحلبي بمصر)
- ديوان ابن الدمينية (صنعة ثعلب وابن حبيب . ط النفاخ - القاهرة) .
- ديوان عامر بن الطفيل (رواية ابن الأنباري عن ثعلب) .
- معجم الأدباء : لياقوت الحموي . ط الحلبي بمصر
- المختصر في اللغة : لابن سيده (١ - ١٧ ج) ط بولاق ١٣١٦ - ١٣٢١ هـ
- المدخل في اللغة : لأبي عمر المطرز الزاهد . تحقيق محمد عبد الجواد . ط الأنجلو بمصر

- المسلسل في غريب لغة العرب : لأبي طاهر التميمي . ط وزارة الثقافة بمصر
- المؤلف والمختلف : لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي . ط القاهرة
- المشترك وضعاً والمختلف صقماً : لياقوت الحموي . تصوير مكتبة المثنى ببغداد
- المفردات في غريب القرآن : لأراغب الأصفهاني . ط المطبعة الميمنية بمصر
- الملاحن : لابن دريد . تحقيق إسحاق اطفيش . ط السلفية بمصر ١٣٤٧ هـ
- معاني القرآن : لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء . ط دار الكتب بمصر ١٣٧٤ هـ

- المعاني الكبير : لابن قتيبة الدينوري . ط الهند ١٣٦٨ هـ
- المعمرون والوصايا : لأبي حاتم السجستاني . ط دار إحياء الكتب بمصر
- مفتاح الوصول في علم الأصول : للشيخ الفيلسوف . ط أولى بمصر ١٣٨٢ هـ
- المفضليات : للمفضل بن يعلى الضبي . ط دار المعارف بمصر ١٣٦١ هـ
- مقاييس اللغة : لأبي الحسن أحمد بن فارس . تحقيق هارون . ط مصر ١٣٦٦ هـ
- المقدمة : للعلامة ابن خلدون . ط التقدم بمصر .
- مقدمة لدرس لغة العرب : للشيخ عبد الله العلايلي . ط المصرية بمصر ١٩٣٧ م
- مميزات لغة العرب : حفي ناصف . ط ثانية بمصر ١٩٥٧ م
- للنصف : شرح ابن جني لتصريف المازني . ط أولى الحلبي بمصر ١٣٧٣ هـ
- نصوص في فقه اللغة العربية . د. السيد يعقوب بكر . ط بيروت ١٩٧١ م
- النهاية في غريب الحديث والأثر : لابن الأثير . ط الحلبي بمصر ١٣٨٣ هـ
- النوادر في اللغة : لأبي زيد الأنصاري . ط الكاثوليكية بيروت ١٨٩٤ م
- نوادر أبي مسحل : لأبي محمد عبد الوهاب بن حريش ، ط الجمع العلمي بدمشق ١٣٨٠ هـ
- نوادر المخطوطات : (المجموعة ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) تحقيق عبد السلام هارون ، ط أولى نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ١٣٧٣ هـ
- الوحشيات : (الحماسة الصغرى) لأبي تمام . تحقيق الميمنى الراجوتى ومحمود شاكر . ط دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م
- الورقة : لابن الجراح . ط أولى . دار المعارف بمصر
- (هذا عدا المعاجم اللغوية الأخرى . والمحاضرات اللغوية ، والمجلات ، والأبحاث المتخصصة ، والدوريات ، والمراجع التي رجعنا إليها قليلا وكلها مبهثرة في ثنايا هذا الكتاب) .

محتويات الكتاب

تقديم

القسم الأول - مع النظرية

(١٣ - ٤٩)

المصنف	الموضوع	الصفحة
١٥	بين يدى المشترك اللفظي	١٥
	هو العرب تقول ما تشاء	١٦
٨٦	ظاهرة التضمن	٢٢
٨٩	المشترك اللفظي في الكلام	٢٧
٩٩	أثر المشترك وخطره	٣١
١٠٤	أصل الوضع اللغوي	٣٩
١٠٦	نشأة المشترك اللفظي	٥٤
١٢٥	إنكار المشترك اللفظي	٦٥

الأضداد في اللغة العربية

١٣٠	التضاد نوع من الاشتراك	١٣١
١٨٢	تعريف الأضداد	١٣٣
١٨٣	التصنيف في الأضداد	١٣٤
١٩٠	أبحاث المستشرقين فيها	١٤٠
١٩٢	الضد والمشارك في غير العربية	١٤١
١٩٥	أصل الأضداد ونشأتها	١٤٨
١٩٩	الأضداد بين الإيجاب والنفي	١٧٠
٢١١	المفسرون والأضداد	١٧٩

المشترك المعنوي : الترادف اللغوي

٢١٤	تعريفه	٢١٦
٢٢٥	شروط تحققه	٢١٧
٢٣٣	نماذج له	٢١٨
٢٤٠	سر وجوده في العربية	٢٢٣
٢٤٦		

القسم الثاني - في التطبيق

(٢٥١ - ٢٨٩)

شواهد المشترك اللفظي

س	الموضوع	س	الموضوع
٢٥٣	لفظ (العجوز)	٢٥٣	لفظ (الامة)
٣٠٤	د (العفو)	٢٥٥	د (أم)
٣٠٧	د (الغرب والغروب)	٢٥٨	د (الجد)
٣١٤	د (كذب)	٢٦١	د (الخال)
٣٢٣	د (وجد)	٢٧٧	د (رهو، ورهوه)
٣٢٦	أسماء الطير في الفرس	٢٨٨	د (العين)
٣٣١	شواهد المداخل، والشجر والمسلسل		
٢٣٥	نموذج من المسلسل	٢٣٥	نموذج من المداخل
٣٤٣		٢٣٨	نموذج من المشجر

شواهد الأضداد

س	الموضوع	س	الموضوع
٢٤٨	لفظ (الشرى والاشترام)	٢٤٨	لفظ (الأون)
٣٦٦	د (عنوة)	٢٤٩	د (البيع)
٣٦٩	د (الغابر)	٢٥٠	د (العين)
٣٧٠	د (التعزير)	٢٥٢	د (التلعة)
٣٧٢	د (القرم)	٢٥٣	د (جلل)
٣٧٣	د (تلحاح)	٢٥٦	د (الجون)
٣٧٥	د (لحن)	٢٥٩	د (خفي وأخفى)
٣٧٦	د (هجد)	٣٦٢	د (السدة)
٣٧٨	د (وراء)	٢٦٥	د (شام)

التشبيه بالأضداد

س	الموضوع	س	الموضوع
٣٨٢	شواهد المترادف		
٣٨٥	نموذج للتترادف		
٣٨٥	المراجع		
٣٨٩	محتويات الكتاب		
٣٩٥			

للمؤلف

- ١ - علم اللغة العام
- ٢ - المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً
- ٣ - أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية
- ٤ - عوامل تنمية اللغة